المعرفة 134

العدد ١٣٤ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ يونية ٢٠٠٦م

أسامة شبكشي : سأشجع الجامعات السعودية على إدخال اللغة الألمانية

هل الطموح في: الجينات أم العائلة أم البيئة؟

السنة العربية للغات .. متى تأتي؟

أينَ نحنُ من طاقة الله فينا؟



ألمانيا مونديال مؤقت للكرة مونديال دائم للعباقرة

إن جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها وفخامة رئيس الرايخ الألماني، رغبة منهما في تأسيس روابط الصداقة بين الدولتين وتوثيق عراها واعتقادا بأن إنشاء العلاقات بين الدولتين يخدم نمو الشعبين ويساعد على رفاهيتهما، قد قررا عقد معاهدة صداقة.

ولهذا الغرض عين من لدن جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها الشيخ حافظ وهبة مستشار جلالته والشيخ فوزان السابق معتمد جلالته في مصر ومن لدن فخامة رئيس الرايخ الألماني الهر فون شتورد المندوب فوق العادة والوزير المفوض للرايخ الألماني في مصر مندوبين مفوضين عنهما وقد اتفقوا بعد تقديم أوراق اعتمادهم والتثبت من صحتها على المواد الآتية.

المادة الأولى

يسود بين مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها والرايخ الألماني وبين رعايا كلتا الدولتين سلام لا يمس وصداقة خاصة دائمة.

المادة الثانية

لما كان في نية الدولتين المتعاهدتين إنشاء العلاقات السياسية والقنصلية بينهما في الوقت المناسب فقد اتفقتا على أن يتمتع الممثلون السياسيون والقنصليون لكل منهما في بلاد الدولة الأخرى بالمعاملة التي قررتها مبادئ القانون الدولي العامة بشرط أن تكون هذه المعاملة متبادلة.

المادة الثالثة

يقبل رعايا كل من الدولتين المتعاهدتين في بلاد الدولة الأخرى وفاقًا لمبادئ القانون الدولي العام وطبقًا لمقتضياته المرعية ويتمتعون فيما يتعلق بأشخاصهم وأملاكهم بنفس المعاملة التي يتمتع بها رعايا الدولة الأكثر رعاية. كذلك تعامل سفن كل من الدولتين المتعاهدتين وشحناتها في موانئ الدولة الأخرى بنفس المعاملة التي تتمتع بها سفن الدولة الأكثر رعاية وشحناتها من كل وجه.

المادة الرابعة

يعامل ما يدخل من حاصلات أرض كل من الدولتين المتعاهدتين ومصنوعاتها في بلاد الدولة الأخرى بقصد استهلاكه أو إعادة تصديره أو مروره منها بنفس المعاملة التي تتمتع بها حاصلات أرض الدولة الأكثر رعاية ومصنوعاتها التي من نوعها.

المادة الخامسة

هذه المعاهدة مدونة من نسختين أصليتين بالعربية والألمانية وللنصين قيمة واحدة.

وتبرم المعاهدة ويكون تبادل وثائقها المبرمة في القاهرة بأقرب وقت. ثم تصير المعاهدة نافذة المفعول بمجرد تبادل الوثائق المبرمة.

وإثباتًا لما تقدم قد وقع مندوبو الفريقين المفوضون على هذه المعاهدة وبصموها بأختامهم.

القاهرة في ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٤٧ الموافق ٢٦ أبريل سنة ١٩٢٩

- حافظ وهبة
- فوزان السابق

المعرفة

مجلة شهرية تصدر عن

وزارة التربية والتعليم

المملكة العربية السعودية

تأسست عام ١٣٧٩ هـ في عهد وزير المعارف صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز

وأعيد إصدارها عام ١٤١٧ هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

العدد (١٣٤) - جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ - يونية ٢٠٠٦ م

إدارة النشر

Rawnaa

Specialized Communication

روناء للإعلام المتخصص

ردمد: ٦٢٠٠-١٣١٩

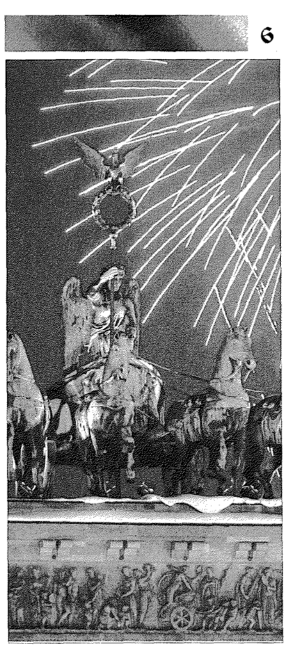
بسم الله الرحمن الرحيم

نحن على موعد مع بطولة كأس العالم، حيث سيتغلب العالم على كثير من مشكلاته وعوائقه من الفقر والحرب والعنصرية، ويجتمع في مكان واحد ليشرب من هذه الكأس الفاتنة، هذه الكأس العالمية التي ستستمر شهرًا كاملاً «مباراة» بين عوامل التفريق وعناصر الفريق العالمي الواحد في مشهد حضاري لا يليق إلا بالإنسان.

على المستوى المحلي أحسنت وزارة التربية والتعليم حين قدمت الاختبارات أسبوعًا ليتسنى للطلاب فرصة هذا المشهد العالمي فيشاهدوه ويتفاعلوا معه وينسجموا وهم الجيل القادم مع العالم، بعد أن تفوقوا في دروسهم واختباراتهم ونجحوا مع أنفسهم التي أرهقوها بلذة عام دراسي كامل.

«مدارس» كرة القدم في كل العالم ستتجمع أمام الناظرين لإفساح مجالات من المتعة البريئة وفتح آفاق وقنوات تؤكد للمرة الألف أننا جزء هام لا يتجزأ من هذا العالم، وما كرة القدم إلا نافذة مشرعة لتقديم أنفسنا كمجتمع أنجز الكثير مع نفسه ولنفسه ولغيره.

الطلاب المتفوقون ثم الناجحون يؤمنون بفكرة «المباراة» مع ظروفهم وتحديات المدرسة لذا سيجدون كأس العالم متعة فائقة النكهة، فالحياة مباراة شيقة مع الآخر الذي قد يكون إنسانًا أو ظرفًا أو واجبًا أو نجاحًا، فعسى أن يعي الطلاب الفاشلون أو «المتفشلون» من مباريات كأس العالم هذه القاعدة: الحياة مباراة مع النجاح! المعرفة



تقرأ في الملف (ألمانيا) :

المراسلات

باسم: رئيس التحرير

ص.ب ٢٣٠٠٠٧- الرياض ١١٣٢١

هاتف: ٤١٩٤٠٤٠ فاكس: ٤١٩٤٧٤٧

فاكس مجاني: ٨٠٠١٢٤٢٢٧٧

Letters should be sent to
Editor-in-chief
P.O.Box: 7 Riyadh 11321
Tel: 419 40 40 Fax: 419 47 47
Free Fax: 800 124 2277
info@almarefah.com

الأسعار

السعودية ١٠ريالات، الإمارات ١٠ دراهم،
الكويت ٨٠٠ فلس، قطر ١٠ ريالات،
البحرين ١٠٠٠فلس، سلطنة عمان ١٠٠٠بيسة،
اليمن ١٢٥ ريالاً، سوريا ٦٥ ليرة،
الأردن ١,٢٥دينار، لبنان ٣٠٠٠ ليرة،
مصر ٥ جنيهات،السودان ١٥٠ دينارًا ،
المغرب ١٥ درهمًا.



150

محمد الأحيدب :

فشلت في أقناع د. القصيبي في فرض حد أدنى للأجور للسعوديين



154

شهادة و.. ملابس داخلية



156

الحاج «هتلر» !

الاشتراكات

سعر الاشتراك داخل السعودية للأفراد (١٠٠) ريال

وللمؤسسات (٢٠٠) ريال.

سعر الاشتراك للدول العربية ٥٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.

سعر الاشتراك للدول الأخرى ٦٠دولارًا شاملاً أجرة البريد.

للاشتراك

الرياض: 4197333 ـ فاكس: 4197696

فاكس مجاني: 8001242277

Subscriptions@rawnaa.com

للإعلان

الرياض: 4197333 ـ فاكس: 4197696

Advertising@rawnaa.com

روناء للإعلان والتسويق

ص . ب 26450 الرياض 11486

التوزيع

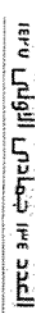
الوطنية للتوزيع



ألمانيا
مونديال مؤقت للكرة
مونديال دائم للعباقرة

تعثرت ألمانيا مرتين، إلا أن هذه «العنقاء» - كما أسماها التاريخ - نهضت أيضًا بفعل جينات القوة التي يحتفظ بها الفرد الألماني في نفسه، فكل شيء في ألمانيا «قوي». ولعل هتلر - رغم قلة مساحة شنبه - قذف في روح وروع أفرادها هذه القوة؛ وإن كانت قوة غاشمة متعالية وعمياء، إلا أن من بعده حولوا هذا «التقوي» من الفردية إلى المجتمعية فصنعوا شعبًا وتاريخًا وبلدًا يحب القوة ويعشقها حتى في أصغر صناعاته وأبسطها ولا يتنازل عنها في أصعب الظروف. الألمانيون نهضوا من وسط ركام هزيمتهم وحولوا أنقاضهم إلى بنيان متماسك بعد أن تخلوا عن العنصرية لجنسهم وبعد أن فعلت المرأة الألمانية فعلتها التاريخية العظيمة بعد الحرب العالمية لتقوم بدور كبير بعد أن قل «الرجال»، وكذلك بعد تغيير مناهجهم الدراسية وتطهيرها من «الألمنة» الزائدة والشاطحة ودمج معركتهم ضمن معارك البشرية ضد التقوقع والانعزال والخصوصية الطارئة. وكذا صناعة الإنسان «الصناعي» المهني الذي يعشق الآلة ويتناغم معها بداية من سيارة «الفلوكس فاغن» و«المرسيدس» وانتهاء بتقاليد الصناعة العريقة التي تضرب بجذورها في النفس الألمانية.

ألمانيا ذات موارد طبيعية محدودة إلا أنها تمثل ثالث أكبر اقتصاد في العالم. وتلك معادلة لا





تستطيع صياغتها إلا الشعوب التي تكتنز عناصر الجدية والعملية، وتستطيع توجيهها التوجيه الأصح والأعمق. وتلك مهارة حضارية لا يجيدها «الكسالى» والمسترخون على قارعة الطريق في انتظار «قطار الصدفة». وألمانيا القوية التي صنعت «المرسيدس» وأتقنت جودته وقوته، هي ألمانيا التي صنعت بيتهوفن الرقيق الحالم، وصنعت الشاعر الكبير «جوته» الذي جذبه سحر الشرق وأدبه ومعتقداته دون تعال أو تعصب لنفسه أو لأدب مجتمعه رغم سيرة «العنصرية» العتيقة في تاريخ ألمانيا.

الألمان فازوا بجائزة نوبل ست وسبعين مرة منها خمسة وستون فوزًا في المجال العلمي. وتلك ترجمة صادقة لحياة هذا الشعب الذي تخال وجوههم «ساعات» من الانضباطية، وتخال أنه لا يوجد ما يسمى «النكتة» في حياتهم. حتى كرة القدم الألمانية قوية في أدائها وخططها وتعاملها داخل الملعب لا مجال فيها لـ«التفنن» أو «التغنج»، فنحن على موعد معها هذه الأيام وهي تتبارى مع كل مدارس كرة القدم العالمية. دعوا عنكم التنظيم فهو سيكون قويًا محبوكًا كعقارب الساعة، أو لنقل كملامح رجل ألماني. دعونا «نلف» ألمانيا في الأوراق القادمة من هذا الملف.. وانسوا «هتلر»! المعرفة



نظام التعليم المدرسي في ألمانيا

٦٠٠٠٠٠ منشأة تدريب على ٣٥٠ مهنة

سيد همام - مصر

إنّ مما يلفت نظر أي زائر لألمانيا، سواء جاء إليها للسياحة أو للدراسة أو أقام فيها فترة للعمل، يلفت نظره شغف معظم الألمان رجالاً ونساءً بالقراءة. فالمرء يجدهم ممسكين على الدوام بشيء في أيديهم: كتاب أو مجلة أو أوراق ما، وهم يقرؤون غالبًا في أي مكان يوجدون فيه ويجدون فيه الفرصة للقراءة مثل وسائل المواصلات أو في لحظات انتظارهم في عيادة الطبيب أو لوسائل المواصلات أو في الحدائق العامة، فضلاً عن القراءة داخل البيوت الخاصة بهم. ولو سألتهم عن ذلك الأمر لأجابوك بقولهم: «لقد تعودنا على حب القراءة من الصغر، من البيت ومن المدرسة ومن الجو العام المشجع على ذلك» أو يقولون: «إن المعرفة لازمة للإنسان» وإن «العلم قوة»، أي أن من يمتلك المعرفة ومفاتيح العلم فقد امتلك القوة بكل مناحيها.

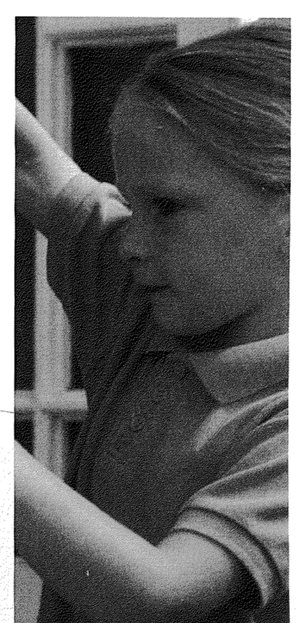
الدليل الآخر على شغف الألمان بالمعرفة هو كم الكتب المترجمة من معظم لغات العالم إلى اللغة الألمانية. فألمانيا هي من أكثر الدول ترجمة للكتب في العالم، وفي مدينة برلين وحدها يوجد أكثر من خمسة آلاف مترجم. ولو لم تجد دور النشر والجهات المسؤولة والهيئات الخيرية المشجعة للترجمة القارئ والمستفيد من هذه الترجمات لما أقدمت على هذا العمل المضني والمكلف في نفس الوقت.

والآن يمكننا إرجاع شغف الألمان بالمعرفة لعوامل عديدة منها إيمانهم العميق بقيمة المعرفة التي تؤدي للنهوض بالبلاد في مختلف مناحي الحياة سواء العلمية أو الأدبية أو الفلسفية أو الاقتصادية أو الفنية والرياضية الخ... فألمانيا دولة ذات موارد طبيعية محدودة ولكنها بالمعرفة أصبحت دولة ذات ثالث أكبر اقتصاد في العالم، ودولة رائدة في المجالات الصناعية والعلمية والتقنية. والعامل الآخر الدافع للمعرفة هو حب الألمان للمنافسة التي تعودوا عليها منذ نشأتهم: فالمنافسة العالمية والبقاء في الصورة باستمرار يتطلب معرفة أصول اللعبة العالمية وكيفية المنافسة وغزو الأسواق وجعل شعار «صنع في ألمانيا» دليلاً على الجودة في كل مكان في العالم.

وإذا ما بحثنا في بدايات الاهتمام بالتعليم الألماني فعلينا أن نرجع للوراء حتى نصل لفترة العصور الوسطى. صحيح أنه كان يتم تعليم الأطفال في هذه الفترة من قبل الوالدين إلى حد بعيد، إلا أنه يمكننا أن نعتبر أن ما قامت به الطوائف العمالية في عام ١١٠٠م للتدريب على تعلم مهنة محددة هو أول شكل لما نراه اليوم من التعليم المهني. كما أن جذور التعليم العالي ممتدة أيضًا إلى فترة العصور الوسطى. ومن المعروف أنه قد تم تأسيس أول جامعة في ألمانيا عام ١٣٨٦م، وهي جامعة هايدلبرج. أما التعليم المدرسي فقد كان يتم في المدارس الكنسية ومدارس التعليم باللاتينية، وكان يتم تعليم أبناء النبلاء ورجال الدين وأبناء الطبقة العليا. واستمر هذا الوضع إلا أن ظهرت حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر، وهي التي أدت لظهور الكنيسة البروتستانتية وأيضًا لتطوير نظام التعليم العام. ومع نهاية فترة العصور الوسطى بدأ ظهور المدارس التي تقوم بتعليم الشؤون المحاسبية. ومنذ بداية القرن الثامن عشر كان هناك الانتشار الواسع للمدارس، وكانت

المدارس المهنية هي الممهدة لهذا. وكانت الخطوة المهمة في تطوير شؤون التعليم هو المناداة بإلزامية التعليم العام والذي تم إقراره في عام ١٧٦٣م. وفي هذه الفترة تم تأسيس أول مدارس تقنية عليا في براوشفيج وكارلسروهه وآخن.

ومنذ بداية فترة التنوير مع نهاية القرن الثامن عشر التي كانت تنادي بتغليب العقل والاستفادة منه للوصول للمعرفة المادية الحقيقية بالطرق العلمية، وبضرورة توفر المعلومة للجميع وبكل شفافية لكل الطبقات، بدأ الكل مؤسسات وأفراد يدركون بوعي أهمية المعرفة التي ستؤدي بالضرورة لانحسار الأمية من ناحية القراءة والكتابة وكذلك



الأمية الثقافية، وبالتالي ستؤدي للنهوض بمستوى الأفراد والبلاد إلى آفاق رحبة مرضية.

وقد ظل نظام التعليم بشكله هذا حتى عام ١٩٤٥م. ومع تأسيس جمهورية ألمانيا الاتحادية عام ١٩٤٩م تم تكليف الولايات بحمل راية التعددية الثقافية في التعليم. ومنذ عام ١٩٥٤م كانت هناك محاولات عديدة لتوحيد أنظمة التعليم المختلفة، مما أسفر عنه تكوين لجنة على مستوى الولايات للتخطيط للتعليم ومسائل البحث العلمي. وقامت اللجنة في عام ١٩٧٣م بوضع مرئياتها حول هذا الأمر، وإن كانت الخطة الشاملة التي وضعتها اللجنة لم تطبق بالكامل حتى الآن، وذلك لأن الجهود في السياسة التعليمية قد أصيبت في الثمانينات بالجمود. إلا أن الأمر بدأ يتغير في منتصف التسعينيات، حيث أصبح موضوع التعليم وتطويره من الموضوعات التي تحتل الصدارة وخاصة بعد ظهور نتائج الدراسات الدولية التي أخذت فيها ألمانيا مركزًا غير لائق بها لأول مرة في تاريخها.

وأيًا ما كان الأمر فلا يزال نظام التعليم في ألمانيا هو من أفضل الأنظمة في العالم. هذا التعليم هو ما نرى ثمراته في كل المجالات سواء العلمية أو الاقتصادية أو الفنية...إلخ.

ففي المجال العلمي على سبيل المثال لا تزال المعاهد العليا الألمانية من أفضل المعاهد في العالم. والقارئ العربي الكريم لابد أن يكون قد سمع عن معاهد ماكس بلانك المنتشرة في ألمانيا، ولا بد أن يكون قد عرف أن عدد الحاصلين على جوائز نوبل من الألمان قد وصل عددهم حتى الآن إلى ٧٦ حاملاً للقب، منهم ٦٥ عالمًا في مجال العلوم الطبيعية والطب. وبرغم قلة الموارد الطبيعية نسبيًا في ألمانيا فإن نظام التعليم بأشكاله المتميزة هو الذي أخرج العامل التقني المدرب أحسن تدريب، وصنع المهندس الناجح المتمكن من أدواته مما ساعده على تطوير وسائل الإنتاج والدخول بكل قوة في صناعة المحركات والسيارات والطائرات والأسلحة الحديثة ودخول عالم التقنيات الدقيقة الحديثة. كما أن هذا النظام التعليمي المتميز هو الذي وضع ألمانيا من الناحية الاقتصادية في صدارة دول

الاتحاد الأوروبي وثالث أكبر اقتصاد في العالم بعد أمريكا واليابان. ومن ناحية حق تسجيل المخترعات فإن ألمانيا تحتل الصدارة في أوروبا. ومن منا لا يعرف أسماء ألمانية عملاقة مثل «سيمنس» و«فولكس فاجن» و«دايملر كرايسلر» و«ساب»، التي جعلت من شعار «صنع في ألمانيا» دليلاً على الدقة والإتقان التي تتميز بها الصناعات الألمانية في كل مكان في العالم.

ومن هنا يتعين علينا التعرف على هذا النظام التعليمي والمعرفي الذي قاد هذه القاطرة البشرية لتتبوأ مكانًا عالميًا رفيع المستوى في تاريخ حضارتنا الإنسانية.

يتكون النظام التعليمي في ألمانيا من أربعة مراحل، غير المرحلة التي تسبق دخول المدرسة. فالمرحلة التعليمية الأساسية تبدأ بعد مرحلة رياض الأطفال .

ولأن الأمور الثقافية وكذلك صلاحيات التعليم في ألمانيا هي من شأن الولايات الألمانية إلى حد بعيد، فإنه من الممكن أن نرى هناك اختلافًا ما في جزء من نظام التعليم الألماني. وكذلك قد نجد مسميات مختلفة لهذه الأنظمة التعليمية. إلا أن نظام التعليم الألماني على وجه العموم يتبع هيكلاً عامًا على مستوى الولايات الألمانية، ولا يتسنى للاتحاد أن يقرر أهدافًا أو إجراءات في هذا الشأن إلا بمشاركة الولايات. ولكن تنظيم التدريب المهني في إطار النظام الثنائي هو من اختصاص الاتحاد.

هذا ويمنح دستور جمهورية ألمانيا الاتحادية جميع المواطنين الحق في تكوين شخصيتهم بحرية، وكذلك حرية اختيار المهنة ومكان العمل. وتهدف السياسة التعليمية الألمانية إلى إتاحة الفرصة لكل فرد في الحصول على دعم أمثل وتعليم مؤهل، يتطابق مع قدراته واهتماماته.

والدراسة في كل المدارس الحكومية العامة وكذلك في الجامعات مجانية. وإن كانت هناك بعض الولايات التي تقوم بتحصيل مصروفات إذا لم ينته الطالب من إكمال دراسته في الوقت المحدد للدراسة. كما أن من الممكن الحصول على دعم مادي أثناء الدراسة بداية من الصف العاشر إذا ما كان دخل الوالدين محدودًا.

في مدينة برلين وحدها يوجد أكثر من خمسة آلاف مترجم . ولو لم تجد دور النشر والجهات المسؤولة والهيئات الخيرية المشجعة للترجمة القارئ والمستفيد من هذه الترجمات لما أقدمت على هذا العمل المضني والمكلف في نفس الوقت

- هيكل النظام المدرسي الألماني:

ينقسم النظام التعليمي الألماني إلى أربع أو خمس مراحل، وتشكل المراحل الثلاث الأولى من هذا النظام هيكل النظام المدرسي الألماني:

١- المرحلة الابتدائية: وهي أول مرحلة مدرسية، وتتكون في معظم الولايات الألمانية من أربع سنوات مدرسية، وفي بعض الولايات مثل برلين وبراندنبورج تتكون من ست سنوات مدرسية حيث تعتبر السنة الخامسة والسادسة فيها كأنها مرحلة متوسطة.

٢- المرحلة المتوسطة ويطلق عليها المرحلة الثانوية الأولى: تأتي هذه المرحلة مباشرة بعد المرحلة الأولى وتؤدي للالتحاق إما بالمدرسة الرئيسية أو المدرسة المتوسطة أو المدرسة الثانوية العامة.

٣- المرحلة الثانوية الثانية: وهي تبدأ بعد المرحلة الثانوية الأولى وتعد بمثابة المرحلة الثانوية العليا أو الثانوية المهنية.

٤- المرحلة العليا: وتبدأ بعد حصول الطلاب والطالبات على الشهادة التي تعطيهم الحق في الالتحاق بالجامعات أو بالمعاهد العليا المتخصصة أو المدارس المهنية المتخصصة.

٥- التأهيل الحر بعد المرحلة المدرسية يستطيع أي شخص أن يكون لديه تأهيل إضافي، وذلك بمواصلة الدراسة للتأهيل على اكتساب مهارات وظيفية إضافية تفتح المجال أمامه للعمل في مجالات أخرى غير تلك التي عرفها، وخاصة

أن الحصول على وظيفة لم يعد بالأمر الهين في كل الأحوال.

وقبل الدخول في شرح المراحل الدراسية السابق ذكرها سنتعرض للفترة التي تسبق المرحلة الابتدائية والتي تسمى بمرحلة الحضانة أو «رياض الأطفال» وذلك للدور الذي تلعبه هذه الفترة في تشكيل الأطفال وتجهيزهم للمرحلة الدراسية الأولى بالمدارس، ثم نركز بشكل خاص على التعليم في المدرسة الابتدائية.

رياض الأطفال:

من الناحية القانونية يحق لكل طفل بلغ الثالثة من عمره أن يلتحق بإحدى رياض الأطفال المنتشرة في كل مكان بألمانيا ويظل فيها إلى أن يدخل المدرسة. وهذا الأمر معمول به منذ شهر أغسطس لعام ١٩٦٩م. أما وجود الأطفال في معظم دور الحضانة في الولايات الألمانية القديمة فهو عبارة عن فترة واحدة تنتهي قبل الظهر. أما معظم دور الحضانة في الولايات الجديدة فإنها تقدم رعاية اليوم الكامل. ويتم تمويل رياض الأطفال عن طريق الجمعيات الخيرية والكنائس والبلديات وبعض المنشآت الاقتصادية والاتحادات. كما يطلب من الوالدين دفع مصاريف للحضانة، تتحدد وفقًا لدخل الأسرة. وقد يتم الإعفاء منها في حالة إذا ما كان دخل الأسرة محدودًا. وتقوم رياض الأطفال بمهمة تعليم وتربية الأطفال. وتعد التربية الاجتماعية هي النقطة الأساسية التي يركز عليها العمل التربوي في رياض الأطفال. وتقوم هذه الدور بتوعية الأطفال وتعويدهم على الاعتماد على الذات وعلى تنمية مهاراتهم سواء في الرسم أو اللعب الفردي والجماعي وترديد أناشيد المناسبات المختلفة وحفظها وسماع قصص الأطفال والأساطير المثيرة لخيال الطفل وزيارة بعض المصالح الحكومية والتعرف على شكل وطبيعة عمل رجل الشرطة من خلال دعوة بعضهم للحضانة والتعريف ببعض أعمالهم وتوعية الآباء والأطفال أو التعامل مع إشارات المرور أو اصطحاب الأطفال لبعض مراكز الشرطة وأماكن تربية الخيول الخاصة بهم. كما تقوم رياض الأطفال بتنظيم رحلات ترفيهية وتثقيفية في نفس الوقت للأطفال وذويهم. ومن هنا تعد رياض الأطفال بحق المصنع الأول بعد الأسرة في تشكيل أطفال المستقبل. هذا على الرغم من أنه لا توجد برامج تعليمية محددة ومتفق عليها في رياض الأطفال، وإن كانت هناك الآن أصوات عديدة تنادي بإدخال برامج تعليمية محددة في هذه السن المبكرة وذلك بعد الدراسات التي أجريت مؤخرًا مع عدم إنكار حق الطفل في الاستمتاع بطفولته من خلال الألعاب العديدة التي يمارسها داخل رياض الأطفال.

وتوجد في ألمانيا أيضًا دور حضانة للأطفال الرُّضع وصغار الأطفال حتى سن الثالثة وذلك للأسرة التي يعمل فيها الأب والأم، وإن كانت هذه الحضانات غير كافية إلا في الولايات الجديدة، مما يجعل بعض الأسر تستعين بإحدى المربيات أو المربين على حسابهم الخاص.

وتوجد في عدة ولايات ألمانية مؤسستان إضافيتان لرعاية الأطفال في الفترة الانتقالية ما بين روضة الأطفال ودخول المدرسة هما: الفصول التحضيرية للأطفال المهيئين لدخول المدرسة ولم يصلوا بعد لسن التعليم الإلزامي، أو مدارس رياض الأطفال الذين بلغوا السن الإلزامي ولكنهم غير مؤهلين بعد للالتحاق بالمدرسة.

المدرسة الابتدائية:

يبدأ السن الإلزامي للتعليم في ألمانيا بعد إتمام الطفل السنة السادسة من عمره قبل الثلاثين من شهر يونيو. ويرسل الوالدان طفلهم حين بلوغه هذه

> الدراسة في كل المدارس الحكومية العامة وكذلك في الجامعات مجانية. وإن كانت هناك بعض الولايات التي تقوم بتحصيل مصروفات إذا لم ينته الطالب من إكمال دراسته في الوقت المحدد للدراسة



السن إلى المدرسة الواقعة في دائرته السكنية، أما مقاطعة نوردراين فستفاليا فقد ألغت هذا النظام بداية من عام ٢٠٠٦م، وأصبح من حق الوالدين إرسال طفلهم لأي مدرسة يريدونها. وعادة ما تستغرق الدراسة في هذه المرحلة أربع سنوات مدرسية، أما في برلين وبراندنبورج فتستغرق ست سنوات. ومن أهم سمات المدرسة الابتدائية هو البعد عن الضغط المبكر للتلاميذ بالحصول على معدلات معينة للانتقال من صف إلى الصف الذي يليه وخاصة في السنتين الأوليتين من التحاق التلميذ بالمدرسة، بل يحصل التلاميذ على تقييمات في صورة تقارير لإرشاد الوالدين عن سير الدراسة بالنسبة لأطفالهم، حتى يمكن تجاوز ضعف التلاميذ عن طريق إجراءات معاونة للتلميذ وليس من خلال إعادة السنة الدراسية. وتعتبر المدرسة الابتدائية هي أول مؤسسة اجتماعية إلزامية خارج نطاق الأسرة، وبالتالي يتم فيها تجربة كل ما هو جديد من وسائل تربوية. ويظهر ذلك الاهتمام التربوي في تدريب وتأهيل المدرسين العاملين أو الذين سيعملون في المدارس الابتدائية. ومن الأمور الجديدة التي يتم تطبيقها بنجاح منذ بداية الصف الثالث الابتدائي هو تدريس اللغة الأجنبية والدعم القوي لوسائل التعلم للعلوم المتخصصة والهياكل الجديدة لعملية التعلم مثل العمل الحر والتدريس المفتوح والتدريس في شكل مشروع الخ.

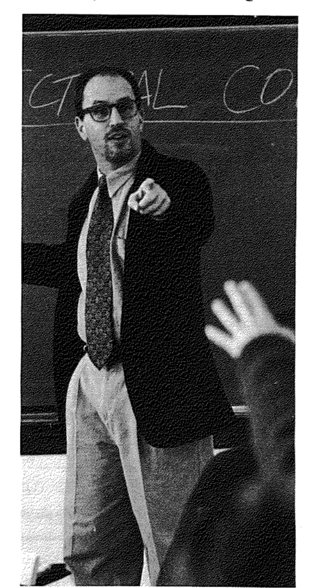
وتخضع المدرسة الابتدائية اليوم لتغيرات متسارعة نتيجة للتغيرات الاجتماعية. ويتمثل ذلك في أن تعمل المدرسة بنظام نصف اليوم الكامل والتدريس بنظام العام الكامل وليس بنظام الفصل الدراسي ومراعاة أن تكون بالفصل مجموعات غير متجانسة بشكل متزايد. والتعليم في المدارس الألمانية مختلط، إذ لا توجد مدارس خاصة بالأولاد وأخرى للبنات. ويزيد عدد تلاميذ المدرسة الابتدائية في الوقت الحالي عن ثلاثة ملايين تلميذ وتلميذة، وهناك اتجاه متزايد لتناقص هذا العدد في ألمانيا نظرًا لتراجع أعداد السكان وقلة المقبلين على الزواج وإنجاب الأطفال.

وعادة ما يوجد لكل فصل في المدرسة الابتدائية مدرس يقوم بتدريس مجموعة من المواد لهذا الفصل طيلة فترة المرحلة الابتدائية بكاملها أو يقوم بذلك لمدة عامين. ويتم تبرير ذلك عادة بمصلحة التلاميذ في أنهم يتعرفون على شخص ثابت يلجؤون إليه باستمرار وهذا من الأمور المهمة في هذه السن، وإن كان من عيوب هذا النظام أن

مدرس الفصل يكون مؤهلاً أساسًا في تخصصين اثنين وبالتالي ستنقصه المعلومة والمعرفة التربوية في التخصصات الأخرى. ومن ناحية أخرى فهناك علاقة وثيقة بين طرق تدريس المدرس وبين النجاح الذي يتحقق من قبل التلاميذ. وبالتالي ستكون النتائج سلبية في حالة وجود مدرس غير جيد أو كانت هناك مشاكل التوافق لدى التلميذ أو المدرس.

أما المواد التي يدرسها تلاميذ المرحلة الابتدائية، والتي تعد بمثابة الأساس للدراسة في المدارس التي تتلو المدرسة الابتدائية، فهي:

١- اللغة الألمانية: وفيها تتم تنمية المهارات الأساسية للتلاميذ والتلميذات مثل القراءة والكتابة والاستماع والحديث، بحيث يمكنهم التعبير عن



أنفسهم وكتابة قصص وحكايات والتعامل مع بعض الأشكال الأدبية وكتابة ذلك بلغة ألمانية صحيحة بدون أخطاء نحوية. فالتلاميذ يتعلمون القراءة والكتابة بطريقة مقروءة واضحة والإملاء والإنشاء ويتعودون على الحفظ

٢- الرياضيات: في هذه المادة تتم معرفة العمليات الحسابية الأساسية مثل الجمع والطرح والضرب والقسمة والتقريب ومعرفة الأطوال والمسافات والأوزان إلى آخر ذلك من عمليات حسابية أساسية في حدود الأرقام من واحد إلى مليون، والتعرف على أساسيات الهندسة وكيفية التعامل مع الخرائط والرسوم البيانية وكذلك تعلم التعامل مع الساعة وأجزائها واستخدام الآلة الحاسبة ومعدات الرسوم الهندسية.

٣- اللغات الأجنبية: ويتم التركيز فيها في البداية على مهارات الاستماع والحديث والفهم، ثم بعد ذلك وبالتدريج على مهارات الكتابة والقراءة. ويتم في هذه المرحلة اختيار موضوعات محددة تساعد التلميذ على المشاركة وعلى فهم ما يتم تقديمه له مثل موضوع الأسرة والمدرسة وأوقات الفراغ والأكل والشرب وجغرافية المكان إلخ. وفي نهاية الصف الرابع يكون الطالب قد اكتسب كمًا معقولاً من الثروة اللغوية في حدود الموضوعات التي تناولها في المدرسة، كما يكون قد تعرف على العادات وأشكال الحياة المختلفة للشعوب التي يدرس لغاتها مما سيساعده مستقبلاً على فهم ثقافة الآخر والتعامل معه.

٤- المعارف العامة: وتشمل مجالات الأحياء والكيمياء والجغرافيا والتاريخ والتربية المرورية والتربية الجنسية إلخ. وكذلك التوجه لمعرفة الأساسيات في الكيمياء والأحياء والطبيعة استنادًا للحقائق التي يعايشها التلميذ في محيطه ويبحث عن تفسير لها مثل: لماذا تسقط التفاحة على الأرض عندما أتركها تسقط من يدي؟ لماذا تنطفئ الشمعة إذا وضعت عليها كوبًا من الزجاج؟ ما الذي يحدث في الجسم عندما يقع الإنسان على كوعه ويدمى؟ كذلك تهدف هذه المادة إلى تعويد التلاميذ على معرفة وسائل المواصلات (ففي السنة الرابعة من المرحلة الابتدائية هناك اختبار لمعرفة قيادة

التلميذ للدراجة). إن هذه المادة من شأنها أن تساعد تلاميذ المرحلة الابتدائية على التعرف على حقائق الواقع المحيط بالتلميذ من أمور اجتماعية وطبيعية وتقنية. وقد تم تصنيف مجالات التعلم المحيطة بالتلاميذ إلى اثني عشر مجالاً تعليميًا تساعد التلميذ على التعرف على المجالات المحيطة به والتعامل معها مثل:

- العمل بكل أبعاده والتعرف على والوظائف وآثار البطالة.

- التعرف على جسم الإنسان ووظائفه والفروق بين البنات والأولاد والرجال والنساء وكيفية الحفاظ على الصحة وما الذي يضر بالجسد، كذلك يتم توصيل المعرفة بشأن أضرار الإدمان والوقاية من الحوادث والمساعدات الأولية.

- التعرف على الظواهر الطبيعية وإجراء التجارب والاستفادة من مصادر المعلومات المختلفة عن الظواهر الطبيعية.

- التعرف على الحياة العامة المحيطة بالتلميذ بدءًا من معرفة موقع مدرسته وحدوها مع البيئة المحيطة بها مرورًا بكيفية عمل التواصل مع التلاميذ الآخرين من الفصول الأخرى وعمل أنشطة جماعية خارج إطار الفصل والمشاركة بشكل متزايد في فهم الأحداث الخارجية والاستفادة من المعلومات المختلفة من وسائل الإعلام وكيفية عرضها.

- التعرف على عالم النبات بأنواعه المختلفة وكيفية التكاثر في النبات وكيفية نموه وزيادة الوعي بأهمية النباتات للبيئة والتوازن البيئي.

- التعرف على الأماكن وكيفية الوصول إليها عن طريق الخرائط والرسوم التوضيحية وإعطاء التلميذ ما يساعده على التعرف الجغرافي وربما التاريخي للمنطقة التي يقطنها (في حدود ٢٠ كم).

- اللعب وأوقات الفراغ واستغلال أماكن اللعب وأوقات الفراغ القريبة من المدرسة والمشاركة في الأنشطة الرياضية بها.

- التعرف على المشاكل التقنية البسيطة وكيفية التعامل معها.

- التعرف على عالم الحيوان من حيث صفاتها وطرق وأماكن معيشتها وضرورة وجود الحيوانات في البيوت أو في الغابة ومسؤولية الإنسان في الحفاظ عليها.

- اكتساب معلومات عن المياه وفوائدها وطبيعتها ودورتها ودورها في التوازن البيئي وكيفية الحصول عليها والاستفادة منها.

- التعرف على مفهوم الزمن والوقت والإيقاع الزمني الطبيعي وتأثيره على الإنسان وعلى الطبيعة ومعرفة أحداث الماضي والحاضر.

- التعايش مع الآخرين واستخدام الألعاب لاكتساب مفهوم الديمقراطية والانصياع لقرار الأغلبية وحماية الأقليات وتصور حياة الأطفال أو الناس في مجتمعات أخرى مختلفة من حيث الجنس واللون والديانة. إذن من الأهداف هنا هو تعلم الكفاءة الاجتماعية والديمقراطية ومبادئ الديموقراطية (مثل كيفية اختيار المتحدث عن الصف والمساهمة في ذلك، والتصويت على الأنشطة المشتركة وكيفية حل النزاعات بين التلاميذ إلخ).

٥- تربية موسيقية: تهدف هذه المادة لتطوير المهارات والقدرات الموسيقية للتلاميذ والتلميذات في مجال الغناء والتدريب على الآلات الموسيقية وسماع الموسيقى والاستمتاع بها وتعلم النوتة الموسيقية والتعرف على أسماء أشهر الملحنين والعازفين.

٦- التربية الفنية: هنا يتعلم التلميذ مهارات الرسم وتشكيل المواد والتعبير بالرسم عما يحيط بالتلميذ من بيئة قريبة لذهنه وتصوراته.

البيت لا يتهاون في ذلك، بل يؤدي الوالدان دورهما في مراقبة تطور طفلهم في الدراسة وتشجيعهم له والضغط عليه لأداء واجباته المدرسية كاملة واستيعاب ما درسه يومًا بيوم. وهذه أمور موجودة في كل بيت ألماني تقريبًا

٧- تربية رياضية: وفيها يتعلم الطالب اللعب بأشكاله المختلفة وأداء الحركات الإيقاعية والرقص والسباحة والاستمتاع بكل ذلك.

٨- تربية دينية (كاثوليكي / إنجيلي): وفيها يتعلم التلاميذ والتلميذات وفقًا لمذاهبهم الدينية على الأمور الأخلاقية والأعياد الكنسية والتعرف على الأنبياء والحواريين وكيفية أداء الصلوات وكيفية نشأة الإنجيل والوصايا العشر والتعميد وما إلى ذلك من معلومات دينية تتناسب مع أعمار التلاميذ.

ومما يجب ذكره هنا أن هناك تباينًا في عدد المواد وكم المادة التعليمية التي يجب أن يعرفها التلميذ من ولاية لولاية أخرى. ومما سبق عرضه من مواد وأهداف نستخلص أهمية هذه المرحلة في حياة التلميذ المدرسية اللاحقة بل وحياته العملية، حيث إن المدرسة تعد التلميذ إعدادًا جيدًا من حيث المادة الدراسية ومن حيث طريقة التعامل معها ومن حيث تعويد التلميذ على الاعتماد على الذات في حل واجباته المدرسية ومساعدة الأم في بعض أعمال البيت وكيفية التعرف على ما يحيط به. وهنا لا نغفل جوانب إيجابية عديدة تساعد على الاستفادة القصوى من هذه المرحلة وهي:

- أن كل المدارس مجهزة تجهيزًا جيدًا من حيث المعامل والفصول والملاعب والوسائل المساعدة على التعلم الذاتي وتطوير مهارات التلميذ والتلميذة. فلا تعاني المدارس الحكومية الألمانية من نقص في الإمكانيات البشرية متمثلة في المدرسين وإدارة المدرسة ولا من الإمكانيات الأخرى كتزويد المعامل والمختبرات بما تحتاجه من مواد أو آلات ولا من الملاعب الواسعة وأماكن ممارسة الرياضة أو السباحة أو الموسيقى أو أماكن القراءة ولا من مكتبة يستطيع الطالب القراءة فيها واستعارة الكتب لتنمية مهاراته وزيادة معارفه، كما لا تعاني المدارس من الكثافة العددية للتلاميذ في الفصل وما إلى ذلك من أمور تعاني منها معظم مدارسنا في العالم العربي.

- إن المادة التعليمية والأفكار المقدمة في كل تخصص معروضة بشكل تربوي ومنطقي وبلغة تتناسب وقدرات التلاميذ في هذه المرحلة وبالتالي يسهل استيعابها بقليل من العناء.

- إن انتقال التلاميذ فيما عدا الصف الأول والثاني من المرحلة الابتدائية مرتبط بالإنجاز الدراسي وإلا تعثروا. ولا محاباة في هذا الجانب أبدًا، لا من قبل مدرس الفصل أو الإدارة أو الأسرة.

- التنافس الشديد بضغط من البيت يحفز التلميذ لإثبات ذاته وتحقيق آماله. والبيت لا يتهاون في ذلك، بل يؤدي الوالدان دورهما في مراقبة تطور طفلهم في الدراسة وتشجيعهم له والضغط عليه لأداء واجباته المدرسية كاملة واستيعاب ما درسه يومًا بيوم. وهذه أمور موجودة في كل بيت ألماني تقريبًا.

- يقوم بالتدريس في المدرسة الابتدائية مدرسون أنهوا دراساتهم الجامعية، وهي عبارة عن سبعة فصول دراسية (ثلاث سنوات ونصف)، بالإضافة لأداء امتحان الدولة ثم الحصول على تدريب عملي، في شكل إعداد وظيفي لمدة عامين من خلال دورات تربوية عملية وفي أنواع المدارس المختلفة، تنتهي بأداء امتحان الدولة الثاني، وبعد اجتيازه بنجاح يبدأ عمل هؤلاء كمدرسين في المدارس الابتدائية. ومن هنا نرى وعلى الرغم من النقد السابق في تخصيص مدرس لكل فصل أن هناك إعدادًا جيدًا للمدرسين المؤهلين الحاصلين على تعليم عال للعمل في المدارس، وليس هناك أي استهانة بالمرحلة الابتدائية.

يسري الإلزام التعليمي على هؤلاء الأطفال أيضًا بلا استثناء. ويدخل المدارس الخاصة بالمعاقين أكثر من أربعين ألف تلميذ وتلميذة، يدرس حوالي ٥٠٪ منهم في فصول خاصة بذوي القدرة المحدودة على التعلم

- الرقابة على المدارس وحرص كل مدرسة على سمعتها وإرادة أولياء الأمور في تفوق أولادهم وحرص الدولة على التميز والمنافسة، كل هذا يصب في رفع مستوى الأداء والتطوير المستمر والمنافسة العالمية. فإرادة كل الأجهزة وإرادة الأفراد إرادة حقيقية وليست أماني دون عمل.

- إن الدراسة مجانية في المدارس الحكومية، ولا تنافسها المدارس الخاصة بالمصروفات. ويحصل التلاميذ والتلميذات على جزء من الوسائل التعليمية مجانًا، ويمكنهم استعارة الجزء الآخر. كل هذه أمور تخفف العبء المادي للمدرسة من على كاهل الأسرة.

وبالرغم من كل هذه الأمور الإيجابية المذكورة أعلاه فهناك حاليًا مناداة ونقاش عام بإصلاح نظام التعليم المدرسي الألماني وذلك بالمطالبة بأن تطول فترة المدرسة الابتدائية للوصول للفصل السادس أو التاسع والعاشر.

وبعد انتهاء المرحلة الابتدائية التي تستمر أربعة أعوام ينتقل التلاميذ والتلميذات إلى مدرسة أخرى للتعليم العام في إطار المرحلة الثانوية الأولى. ويتمتع الصفان الدراسيان الخامس والسادس بأهمية خاصة، حيث يتم فيهما تحديد اتجاه التلاميذ والتلميذات نحو مجالات التعليم التالية واختيار نوع المدرسة، الذي يتحدد بناءً على إنجاز التلاميذ والتلميذات وعلى توصية المدرسة وعلى رغبة أولياء الأمور. وبناءً عليه سيكمل التلميذ مرحلته المدرسية إما في المدرسة الرئيسية أو المتوسطة أو الثانوية.

المدرسة الرئيسية:

يلتحق بهذا النوع من المدارس حوالي ٢٠٪ من الأطفال بعد إنهاء المرحلة الابتدائية. وتستغرق مدة الدراسة بهذه المدارس خمس سنوات، وهذا معناه أن التلميذ يدرس حتى الصف التاسع ويحصل بعدها على شهادة إتمام المدرسة الرئيسية. وتقوم المدرسة الرئيسة بإعداد الملتحقين فيها للتدريب على حرف أو مهن معينة في مجال العمل اليدوي والصناعات. ومن الملاحظ أن الذين يلتحقون بهذا النوع من المدارس هم من أبناء الطبقة الفقيرة أو من المناطق الريفية أو ممن لا تعتبر اللغة الألمانية لديهم هي اللغة الأم، ولإذابة الشعور بهذا الأمر



فقد قام الكثير من المقاطعات الألمانية بدمج المدرسة الرئيسية بالمدرسة المتوسطة. ومع ذلك تحتفظ ولايات أخرى بالشكل التقليدي للمدارس الرئيسية.

المدرسة المتوسطة:

وهي نمط آخر من المدارس الذي يلتحق به أكثر من مليون تلميذ وتستغرق الدراسة فيه ست سنوات، أي أن التلميذ يحصل على شهادة إتمام المدرسة المتوسطة بعد الصف العاشر. وتقوم المدرسة بإعداد الملتحقين بها للعمل في الوظائف المطلوبة في المجتمع مثل البنوك وأعمال السكرتارية

إلـخ. وينتمي تلاميذ هـذه المدارس عـادة لأبنـاء الطبقة المتوسطة. ويعتبر نموذج المدرسة المتوسطة من النماذج التي لا تتعرض للنقد، فالتلاميذ الذين يحصلون على شهادة إتمام المرحلة المتوسطة تنفتح أمامهم أبواب التدريب على الوظائف العديدة أو أن يكمل تعليمه في مدارس أخرى/ مثل المدارس المهنية المتخصصة أو في المدارس الثانوية الفنية أو حتى المرحلة الثانوية العامة العليا.

المدرسة الثانوية العامة

تستغرق الدراسة عـادة في المدارس الثانوية العامة حتى الحصول على شهادة الثانوية العامة «الأبيـتـور» تسع سنوات، ويتلقى فيها التلاميذ تعليمًا متعمقًا ودراسة للغات القديمة. ويلتحق بالمدارس الثانوية العامة أكثر من مليوني تلميذ وتلميذة. وفي المرحلة الثانوية العليا التي تشمل عـادة الصفوف الدراسية من الحـادي عشر إلى الثـالث عشر (وفي بعض الـولايـات مـن العاشر إلى الثاني عشر أو الحـادي عشر والثاني عشر) يستبدل بنظام الفصل الدراسي التقليدي نظام الـدورات الدراسية. وللحصول على شهادة إتمام المرحلة الثانوية يقوم التلميذ بـأداء الامتحان في أربـع أو خمس مـواد، وبعد النجاح فيها والنجاح في الامتحان الشفهي يحصل التلميذ على «شهادة التأهيل الـعـام للدراسة الجامعية». وتفتح هذه الشهادة المجال أمام الحاصلين عليها بالجامعات والمعاهد العليا والمعاهد المتخصصة أو لتلقي أي نوع من أنواع التدريب على الوظائف.

المدرسة الشاملة:

وهـي نمط آخر مـن المـدارس يشمل الأنـواع الثلاثة من المدارس (الرئيسة والمتوسطة والثانوية) في مدرسة واحـدة، إذ يلتحق بها التلاميذ بعد المرحلة الابتدائية إلى أن يحصلوا على شهادة إتمـام المرحلة الرئيسية أو المتوسطة أو الثانوية. ويلتحق أكثر من نصف مليون تلميذ بهذا النوع من المدارس في ألمانيا. وهناك نوعان رئيسيان من المدارس الشاملة: النوع الأول هو وجود كل الأنواع الثلاثة مـن المـدارس فيها ولكن التدريس فيها مختلف لكل نوع من المدارس. أما النوع الثاني من المدارس الشاملة وهو الأهـم فإنه يتيح للتلاميذ



جميعًا باستمرار المشاركة في بعض المواد ثم دراسة المواد الأخـرى منفصلاً وفقًا لنوع الشهادة التي يمكن الحصول عليها، وإذا ما تحسن أداء التلميذ وأدرك ذلك المعلمون بالمدرسة فإنهم ينصحون التلميذ بـأن من الممكن له أن ينتقل من مسمى مدرسي إلى مسمى مدرسي آخر ودراسة مواد هذه المدرسة. وقد تم إنشاء أول مدرسة شاملة في بداية السبعينيات لتكون بمثابة تجربة يمكن تعميمها في حال نجاحها. ويوجد اليوم أكثر من ٨٠٠ مدرسة شاملة حتى الآن في ألمانيا.

المدرسة الخاصة (للمعاقين)

هي مدارس مخصصة للتلاميذ المعاقين الذين لا يستطيعون الحصول على عناية تعليمية كافية في

المدارس العامة بسبب ظروف إعاقتهم. ويتلقى بعض من الأطفال والشباب المعاقين تعليمهم في فصول مدمجة بالفصول العادية. وهناك مدارس خاصة على حسب نوع الإعاقة. ويسري الإلزام التعليمي على هؤلاء الأطفال أيضًا بلا استثناء. ويدخل المدارس الخاصة بالمعاقين أكثر من أربعين ألف تلميذ وتلميذة، يدرس حوالي ٥٠٪ منهم في فصول خاصة بذوي القدرة المحدودة على التعلم.

خريجو المدارس

ينهي كل من ربع عدد الخريجين والخريجات التعليم المدرسي الإلزامي ذي الدوام الكامل بشهادة المدرسة الرئيسية أو بشهادة ثانوية فنية أو شهادة ثانوية عامة. ويحصل حوالي ٤٠٪ من الخريجين والخريجات على شهادة الدراسة المتوسطة، ويترك ما يقرب من ١٠٪ المرحلة الثانوية الأولى دون الحصول على شهادة، لكن ثلث هؤلاء الشباب يعود بعد ذلك فيحصل على شهادة مدرسية مؤهلة في إطار المدارس المهنية. ويعد هذا المعدل ثابتًا بالنسبة لمن تخرجوا من نظام التعليم منذ منتصف التسعينيات.

التعليم المهني والنظام الثنائي:

يوجد في ألمانيا تسعة أشكال من المدارس المهنية، ولكل نوع منها مهمة محددة. وتتيح المدارس المهنية للشباب بعد إنهاء مرحلة التعليم العام فرصة التأهيل المهني. فمثلاً يمكنهم الالتحاق بمدرسة مهنية متخصصة ذات دوام يوم كامل. وتهدف سنوات الدراسة الثلاث بالمدارس المهنية التقليدية إلى الإعداد للوظيفة أو أيضًا إلى التدريب المهني. وهناك مدارس أخرى تختص بالتدريب على المهن غير الأكاديمية، في مجال الصحة مثلاً للعمل كممرض أو ممرضة. ويركز التعليم المدرسي بالمدارس المهنية على مادة التخصص التي تشمل حوالي ثلثي المنهج ويبقى حوالي الثلث لدروس المعارف العامة. ويلتحق أكثر من مليون ونصف المليون من الشباب والشابات بالمدارس المهنية في ألمانيا.

وتعتبر المدرسة المهنية غير التقليدية جزءًا من نظام التعليم الثنائي. وتتعلم الغالبية العظمى من الشباب في ألمانيا بعد انتهائهم من التعليم المدرسي مهنة معتمدة من قبل الدولة في إطار نظام التعليم الثنائي. ووفقًا لهذا النظام يتلقى التلاميذ مواد التخصص النظري في المدارس المهنية، ثم يتلقون التدريب العملي للمهنة من خلال التعليم المباشر في مكان العمل أو في ورش مخصصة للتدريب. ويضمن هذا النظام الذي تمتزج فيه النظرية بالتطبيق تخريج مؤهلين على مستوى عال يحظى باعتراف دولي. وتتحدد مهن التدريب ومواد التدريب في النظام الثنائي وفقًا لمتطلبات سوق العمل. وتستغرق الدراسة مدة تتراوح بين عامين وثلاثة أعوام ونصف تبعًا للمهنة المراد تعلمها. ويتم تمويل النظام الثنائي من قبل المنشأة الاقتصادية التي تقوم بتدريب المهتمين وذلك بدفع أجر للمتدرب ومن قبل الدولة التي تقوم بالإنفاق على المدارس المهنية.

ويختلف النظام الثنائي عن التدريب المهني المدرسي الخالص في أمرين:

١- في نظام التعليم الثنائي تصل مدة التدريب والتعليم في المنشأة الاقتصادية إلى ثلاثة أو أربعة أيام في الأسبوع، وفي التدريب المهني الخالص تصل مدة التدريب في المنشأة الاقتصادية يومًا واحدًا أو يومين أسبوعيًا

- يختص الاتحاد بالتدريب في المنشأة الاقتصادية، بينما تختص كل ولاية بالتعليم في المدرسة المهنية.

وتقوم في الوقت الحالي حوالي ٦٠٠٠٠٠ منشأة من كل فروع الاقتصاد والجهات العاملة في المهن الحرة بتدريب الشباب على ما يقرب من ٣٥٠ مهنة معتمدة. وغالبًا ما يفضل الذكور المهن اليدوية أما الفتيات فيفضلن العمل كموظفات أو بائعات أو مساعدات للأطباء.

ومن الملاحظ في ألمانيا أن هناك جهات تقدم التعليم والتدريب المستمر للعاملين بالمهن، إذ إن التعليم المهني لا ينتهي أبدًا بإتمام مرحلة التعليم المهني التقليدي أو وفقًا للنظام الثنائي. ويشارك في التعليم المستمر عدد كبير من البالغين. ويخصص كل من الاتحاد والولايات مبالغ إضافية لتشجيع التعليم والتدريب المستمر للذين يريدون مواصلة تعليمهم.■

اللغة الألمانية

اللغة الأم لـ ٢٤٪ من سكان الاتحاد الأوربي، يتعلمها ٢٠ مليون كلغة أجنبية منهم ٢٥٠ ألف عربي

السيد مدبولي سلمي - الرياض

*أستاذ مشارك بقسم اللغة الألمانية وآدابها كلية اللغات والترجمة جامعة الملك سعود بالرياض

في البداية نذكر بعض الأرقام والحقائق التي تبرز أهمية ومكانة اللغة الألمانية في الوقت الحاضر: تعتبر اللغة الألمانية هي اللغة الأولى في الاتحاد الأوروبي، إذ يتحدث حوالي ٢٤٪ من سكان دول الاتحاد الأوروبي الألمانية كلغة أم، يليها كل من الإنجليزية والفرنسية بنسبة ١٦٪ لكل منها. نحو ١٠٪ من الكتب تُنشر باللغة الألمانية وتحتل المرتبة الأولى من حيث الترجمة إليها والثالثة من حيث الترجمة منها. وحوالي ٨٪ من صفحات الويب في الإنترنت باللغة الألمانية وهي بذلك تأتي في المرتبة الثانية بعد الإنجليزية متفوقة على لغات أخرى مثل الفرنسية واليابانية. على مستوى العالم يتعلم أكثر من ٢٠ مليونًا اللغة الألمانية كلغة أجنبية.

مرت اللغة الألمانية بتاريخ يمتد إلى أكثر من ١٢٠٠ سنة حتى وصلت إلى صورتها الحالية، وفيما يلي عرض موجز لمراحل تطورها.

من الهندو أوروبية إلى الألمانية

تمتد جذور اللغة الألمانية إلى عائلة اللغات الهندو أوروبية التي ينتمي إليها مجموعات لغوية متعددة منها اللغات الهندو إيرانية (مثل اللغة الهندية، واللغة الفارسية)، واللغات الرومانية (مثل اللغة الفرنسية، واللغة الإسبانية، واللغة الإيطالية). وتنتمي اللغة الألمانية إلى مجموعة اللغات الجرمانية مع لغات أخرى مثل اللغة الإنجليزية، اللغة الهولندية، واللغة الدانمركية واللغة السويدية.

بدأ انفصال مجموعة اللغات الجرمانية عن اللغات الهندو أوروبية في عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد تقريبًا، ونتج ذلك عن انتقال العديد من الهندو أوروبيين إلى منطقة غرب بحر البلطيق واستقرارهم فيها مما أدى إلى حدوث بعض التغيرات اللغوية التي تميزت بها اللغات الجرمانية عن باقي اللغات في العائلة الهندو أوروبية.

وفي القرنين السادس والسابع الميلاديين حدث الانفصال بين اللغات الجرمانية، وجاء ذلك نتيجة لانفصال وهجرة القبائل الجرمانية وانتشارها في أوروبا، وهو ما مهد الطريق لتطور كل لغة بعيدًا عن الأخرى. ومن هنا بدأ بزوغ اللغة الألمانية وتميزها عن لغات العائلة الجرمانية ببعض التغيرات الصوتية والصرفية والنحوية، منها مثلاً التغيرات الصوتية الآتية (مقارنة باللغة الإنجليزية):

p ► pf/ff (pepper►Pfeffer)
t ►ts/ss (eat►essen, cat ►Katze
d►t/tt (daughter►Tochter, bed► Bett

وكان انفصال اللغة الألمانية عن اللغات الجرمانية هو بداية تطورها الذي يمكن أن نطلق عليه «معاناة لغة الشعب حتى أخذت مكانتها»، ولم يكن ذلك بمعزل عن الظروف التاريخية والاجتماعية التي أحاطت بها.

لغة الشعب بعيدة عن الصورة

أول مراحل تاريخ اللغة الألمانية بدأت بعد الانفصال عن اللغات الجرمانية وميلاد ما سُمي باللغة الألمانية القديمة (٧٥٠م – ١٠٥٠م)، وكانت

لغة الحديث لعامة الشعب، أما لغة الكتابة فكانت اللاتينية، لذلك توجد وثائق قليلة مكتوبة باللغة الألمانية القديمة. هذه الوثائق متعلقة غالبًا بالأمور الدينية، لأن الملك كارل العظيم أمر بكتابة بعض الأمور المتعلقة بالمسيحية بلغة الشعب (الألمانية القديمة) لتسهيل تنصير الرعايا في إمبراطوريته. كما كانت الألمانية القديمة تستخدم لشرح وترجمة النصوص اللاتينية لتسهيل تعلمها، من هنا نشأ نوع آخر من الوثائق المكتوبة بالألمانية القديمة.

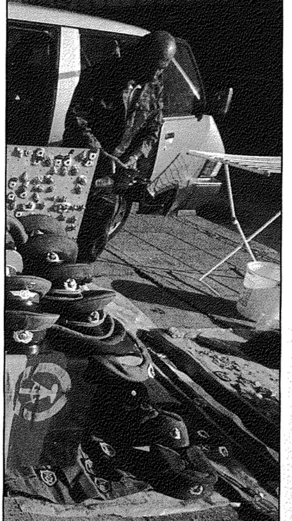
لغة أدب الفرسان تسيطر على اللغة المكتوبة

ثم انتقلت اللغة الألمانية لمرحلة العصور الوسطى، وتأثرت بظهور طبقة الفرسان التي كانت لها تقاليد خاصة منها البحث عن المغامرة والحب. وظهر مع هذه الطبقة نوع جديد من الأدب وهو قصص المغامرات وقصائد الغزل كنوع من التسلية في حفلات السمر التي كان يقيمها الفرسان في قلاعهم. شهدت هذه الفترة محاولة الشعراء وكتاب القصص لخلق لغة بعيدة عن خصوصيات اللهجات الموجودة آنذاك لضمان انتشار أعمالهم والمزيد من هبات ساكني القلاع. هذه اللغة أطلق عليها اللغة الألمانية المتوسطة (١٠٥٠م – ١٣٥٠م). وبالرغم من أنها كانت مصطنعة ومقصورة على أقلية من المجتمع ولا تعبر عما كان موجودًا في اللهجات المختلفة، إلا أنها خلفت الكثير من الأعمال الأدبية التي تعد مرجعًا وافيًا لدراستها. وظلت لغة عامة الشعب حبيسة الشفاهة، ونادرًا ما نجد وثائق لها.

مارتن لوتر يعطي لغة الشعب مكانتها الطبيعية

شهدت المرحلة الثالثة في تاريخ اللغة الألمانية اندثار طبقة الفرسان وظهور المدن وطبقات اجتماعية أخرى كالتجار والحرفيين. ومن هنا زادت الحاجة في الدوائر الإدارية إلى لغة لتنظيم العلاقات. فبدأت كل منطقة في خلق لهجة وسيطة بين اللهجات الموجودة فيه، ومهد ذلك الطريق لتحويل لغة الحديث بين الناس إلى لغة مكتوبة. كما كان لاكتشاف الورق والطباعة الأثر الكبير في تقنين تلك اللغة وسرعة انتشارها.

كان لمارتن لوتر الذي قاد حركة إصلاح الكنيسة ومن ثم ساهم في انقسام المسيحية إلى الكاثوليكية والبروتستانتية، دور بارز في وضع الأساس لبداية اللغة الألمانية الحديثة (١٣٥٠م – ١٦٥٠م). ترجم لوتر الإنجيل من اللاتينية إلى الألمانية وألف العديد من الكتب عن الترجمة والدين. بجانب تمتعه بحس لغوي عال كان يرغب في انتشار أفكاره في كل بقاع ألمانيا ولذلك اختار لهجة منطقة الشمال الشرقي لتكون أساسًا للغة كتاباته لأنها كان الأكثر انتشارًا، ولم يكتف بذلك، بل أخذ أيضًا من لهجات الشمال والجنوب، وبذلك كانت كتابات لوتر هي الأولى التي جمعت السمات اللغوية لكل اللهجات وإن غلبت عليها لهجة الشمال الشرقي (مازال هناك اعتقاد سائد بأن لغة أهل الشمال الشرقي هي الأفضل على الإطلاق، وهذا له أسبابه التاريخية كما نرى إذ إن لهجتهم كانت أساس الألمانية الحديثة). لغة لوتر كانت إذًا حجر الأساس للألمانية الحديثة لأن كتاباته انتشرت في كل أنحاء ألمانيا، ساعد على ذلك محتواها الديني ووجود الطباعة. ويكفي أن نعرف



أن ترجمة لوتر للإنجيل طُبع منها ١٠٠ ألف نسخة في الفترة بين ١٥٣٤م و١٥٤٧م.

اللغة الألمانية تدخل بؤرة الاهتمام

اللغة الألمانية التي انتشرت في الفترة السابقة عابها عدم وجود قواعد تجمعها، لذلك شهدت الفترة بين ١٦٥٠م و١٩٠٠م، وهي فترة ما سُمي باللغة الألمانية الحديثة، مجهودات كبيرة لوضع الأسس الصوتية والإملائية والصرفية والنحوية للغة الألمانية، وكان ذلك عن طريق المجامع اللغوية التي اهتمت باللغة. وظهر العديد من كتب القواعد والقواميس التي وضعت نظامًا موحدًا للغة ما لبث أن أصبح ملزمًا لكل المناطق، ومن هنا تم توحيد لغة الكتابة. في هذه الفترة بدأ ظهور سلسلة دودن في اللغة الألمانية التي تُعد الآن إنجيل اللغة الألمانية. وساعد على انتشار اللغة المكتوبة الموحدة المؤلفات الأدبية لشعراء وأدباء مشهورين.

«مارشال»= «سايس الخيل» و«وزير»= «خادم بدرجة أقل»

اكتمال الهيكل الأساسي للغة الألمانية في الفترة السابقة لا يعني أن اللغة توقفت عن التطور منذ عام ١٩٠٠. على العكس من ذلك فقد حدثت تغيرات في المجالات المختلفة للغة بدرجات متفاوتة. مثلاً في مجال النحو هناك تراكيب في طريقها إلى المتحف اللغوي مثل المفعول به الـGenitiv، وينطبق هذا بشكل أكبر على الثروة اللغوية، فكلمات كثيرة اختفت وظهر عدد أكبر يعبر عن التطورات التي حدثت في المجتمع. وبعض الكلمات تغير معناها بتغير الزمن، فكلمة «مارشال» الآن رتبة عسكرية أما في الماضي فكان معناها «سايس الخيل»، كذلك «وزير» الآن منصب رفيع في الدولة، ولكن في الماضي كان «خادم بدرجة أقل».

وشملت التغييرات مجالات أخرى في الألمانية، ويمكن القول إن وسائل الإعلام وانتشار التعليم والاهتمام بتدريس اللغة الألمانية قد أنقذها من التطور العكسي أي من الانفصال مرة أخرى. فهناك أقليات كثيرة تتحدث الألمانية تعيش بعيدًا عن منطقة اللغة الأم، وفي بلاد مثل بلجيكا ولوكسمبورج وسويسرا يعيش متحدثو الألمانية في وسط لغات أخرى. وكل هذه عوامل قد تؤدي إلى التطور

> **بعض الكلمات تغير معناها بتغير الزمن ، فكلمة «مارشال» الآن رتبة عسكرية أما في الماضي فكان معناها «سايس الخيل» ، كذلك «وزير» الآن منصب رفيع في الدولة ، ولكن في الماضي كان «خادم بدرجة أقل»**

الانفصالي عن اللغة الأم، وهو ما حدث بالفعل على مستوى اللغة المتحدثة في سويسرا، فاللغة المتحدثة هناك تختلف بدرجة كبيرة عنها في ألمانيا مثلاً.

والبلاد التي بها الألمانية اللغة الوحيدة المهيمنة لا تخلو من لهجات في المناطق المختلفة، ففي ألمانيا مثلاً توجد ثلاث لهجات متفرع منها أخرى: لهجة الشمال ولهجة الوسط ولهجة الجنوب. بل إن التاريخ كان رحيمًا بألمانيا أن انفصالها إلى ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية لم يدم سوى ٤٠ سنة تقريبًا، وبذلك لم تزداد الفجوة اللغوية بين البلدين، حيث ثبت وجود اختلافات خصوصًا في الثروة اللغوية، فكل بلد خلق كلمات جديدة تتمشى مع نظامه السياسي الرأسمالي في ناحية والاشتراكي في الناحية الأخرى، كذلك حدث اختلاف في فهم ومعاني بعض الكلمات، وفي ألمانيا الشرقية دخلت كلمات من اللغة الروسية في حين كانت اللغة الإنجليزية هي المورد اللغوي لألمانيا الغربية.

يمكن القول إن اللغة الألمانية المكتوبة تكاد تكون موحدة في أماكن انتشار اللغة الألمانية. أما على مستوى الحديث فالفروق موجودة وإن كانت في سبيلها إلى الاختفاء رويدًا بفضل التعليم ووسائل الإعلام.

ومن التعديلات التي تمت بشكل مركزي ما سُمي بتعديل قواعد الإملاء والكتابة الذي تم في عام ١٩٩٦ وكان المفروض أن يُنفذ في عام ٢٠٠٥،

إلا أنه أثار العديد من الانتقادات والاعتراضات، وكانت نتيجة ذلك أن بعض الولايات الألمانية رفضته في حين وافقت عليه النمسا وسويسرا وبعض مناطق الأقليات الألمانية. كذلك التزمت به بعض الصحف والبعض الآخر استمر على النظام القديم. ووسط هذه الإضرابات تم تعديل بعض بنوده مرة أخرى عام ٢٠٠٦ على أمل أن يدخل في أغسطس ٢٠٠٧ حيز التنفيذ. وكان هدف المشروع من البداية تسهيل قواعد الكتابة والقضاء على ما هو موجود من اللبس والتناقضات.

كلمة «اللغة الألمانية» من نفس جذر «أبكم»

مسميات اللغة الألمانية في اللغات الأخرى تنوعت على حسب نظرة متحدثي تلك اللغات إلى اللغة الألمانية وشعبها. الألمان يستخدمون كلمة «Deutsch» (دويتش) كمسمى للغتهم، وهي في الأصل كلمة جرمانية وتعني «شعب» وكانت تستخدم لكل اللغات الجرمانية. ومازالت هذه الكلمة هي الأساس في تسمية اللغة الألمانية في لغات كثيرة منها اللغة الإيطالية والهولندية والصينية واليابانية. في لغات أخرى كان الأساس كلمة «Germanen» (جرمان) مثل الإنجليزية، أو كلمة «Alemannen» (ألمان) مثل العربية والفرنسية. أما في اللغة الفنلندية مثلاً فكلمة اللغة الألمانية مشتقة من كلمة «Sachsen» (ساكسن) وهي منطقة في ألمانيا، وفي لغات مثل المجرية والروسية مسمى اللغة الألمانية مشتق من جذر كلمة سلافية معناها «أبكم».

للمملكة العربية السعودية الريادة في منطقة الخليج بإنشاء برنامج اللغة الألمانية في كلية اللغات والترجمة بجامعة الملك سعود في عام ١٩٩٤م/١٤١٥هـ ليكون البرنامج الأول والأوحد في دول الخليج إلى الآن الذي يقدم دراسة متخصصة في اللغة الألمانية والترجمة

اللغة الألمانية بطلة العالم في الكلمات المركبة

للغة الألمانية سمات خاصة تميزها عن اللغات الأخرى، فيما يلي نبرز أهمها:

تتشابه الأبجدية الألمانية مع الأبجدية الإنجليزية مع وجود بعض الاختلافات البسيطة: في الألمانية يوجد حرف ß الذي يساوي SS، كذلك يوجد في الألمانية بعض الحروف المتحركة التي تأخذ نقطتين فوقها كعلامة للإمالة الصوتية وهي ä ,ö ,ü. وبعض الحروف تنطق بشكل مختلف مثل W (ڤي) وC (تسيه). بالنظر لهذين المثالين نجد أن ماركات السيارات الألمانية عادة ما تنطق بطرقة خاطئة في البلاد العربية BMW (ينطقها الناس «بي إم دبليو» والصحيح «بى إم ڤي») وVolkwagen (ينطقها الناس «فولكس واجن» والصحيح «فولكس ڤاجن» وتعني «سيارة الشعب») وMercedes (ينطقها الناس «مرسيدس» والصحيح «مرتسيدس» وهذا بالمناسبة اسم ابنة أول من طلب سيارة من شركة دايملر بنز).

في الكتابة تتميز اللغة الألمانية أن غالبًا كل ما يُنطق يُكتب إلا في حالات قليلة وفي الكلمات الأجنبية.

اللغة الألمانية بها ثلاثة أجناس نحوية للأسماء (المذكر والمؤنث والمحايد) ويتم التعرف على جنس الكلمة من أداته، وصيغ الجمع في الألمانية متعددة ولا يوجد مثنى. والأفعال في الألمانية تصرف مع الضمائر مثل معظم اللغات وللفعل ستة أزمنة. بالنسبة للضمائر لا تفرق اللغة الألمانية بين المؤنث والمذكر في المخاطب المفرد والجمع وليس بها ضمائر المثنى. ربما تنفرد اللغة الألمانية بوجود ضمير للتخاطب الرسمي Sie (سيادتك/سيادتكم، حضرتك/حضراتكم).

من سمات الألمانية أيضًا الحالات الإعرابية الأربع Nominativ، Akkusativ، Dativ، Genitiv. وأن الفعل المصرف يأتي في نهاية الجمل الجانبية (التابعة)، كذلك تأتي صيغ الفعل غير المصرفة في نهاية الجملة إذا كانت تحتوي على فعل مساعد. ويرجع البعض ذلك إلى تأثير اللغة

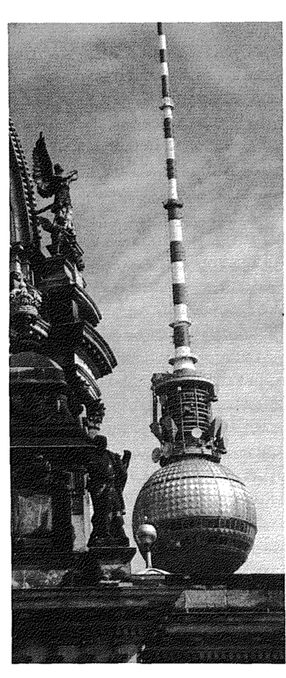
اللاتينية في الألمانية.

لعل أهم ما يميز اللغة الألمانية انتشار الكلمات المركبة فيها بشكل كبير والقدرة على ضم العديد من الكلمات إلى كلمة واحدة مركبة، لدرجة أن بعض علماء اللغة كون كلمة طويلة جدًا ليلفت النظر إلى أن هذا الأمر قد يخرج أحيانًا عن المألوف: Donauschifffahrtskapitänswitwenrentenabholstelle (مكان صرف معاش أرامل ملاحي شركة ملاحة نهر الدانوب).

هل كانت الألمانية ستصبح اللغة الرسمية في الولايات المتحدة الأمريكية؟

الألمانية هي اللغة الأم لأكثر من ١٢٠ مليون نسمة يعيش معظمهم في ألمانيا والنمسا وسويسرا (٦٣٪ من السكان) وليشتنشتاين ولوكسمبورج. وهناك أقليات تتحدث الألمانية في الولايات المتحدة (٦ملايين و١٠٠ ألف)، البرازيل (مليون و٩٠٠ ألف)، فرنسا (مليون و٢٠٠ ألف)، روسيا (٨٤٢ ألفًا)، جنوب إفريقيا (٣٠٠ – ٥٠٠ ألف)، كندا (٥٠٠ ألف)، هولندا (٣٨٦ ألفًا)، كازاخستان (٣٥٨ ألفًا)، الأرجنتين (٣٥٠ ألفًا)، إيطاليا (٢٣٠ ألفًا)، أستراليا (٢٠٠ ألف)، باراجواي (٢٠٠ ألف)، بولندا (١٧٠ ألفًا)، المجر (١٤٥ ألفًا)، بلجيكا (١١٢ ألفًا)، شيلي (١٠٠ ألف)، رومانيا (٧٠ ألفًا)، جمهورية التشيك (٥٠ ألفًا)، أوكرانيا (٣٨ ألفًا)، ناميبيا (٣٠ ألفًا)، الدنمرك (٢٠ ألفًا)، سلوفاكيا (١٢ ألفًا)، كرواتيا (١١ ألفًا)، مولدافيا (٧٣٠٠)، ليتلاند (٢٧٨٠)، أيسلندا (٣٤٦٠)، ليتاون (٢٠٦٠). بنظرة على مناطق وجود الأقليات الألمانية نجد أنها مناطق حدودية استقطعت من أراضي البلاد التي تتحدث الألمانية خلال مسيرتها التاريخية، أو مناطق هجرة وانتشار الألمان في شرق أوروبا والقارات الجديدة، أو أقليات نشأت في عصر الاستعمار والتبشير في إفريقيا.

هناك قصة عُرفت بأسطورة مولينبرج: منذ ٢٠٠ عام تقريبًا تقدم الألمان الذين هاجروا إلى أمريكا بطلب للبرلمان بجعل اللغة الألمانية اللغة الرسمية للولايات المتحدة ولكن هذا الطلب لم يُكتب له النجاح بفارق صوت واحد وهو صوت فريدريك مولينبرج الأمريكي من أصل ألماني. ثبت بعد ذلك



أن هذه القصة ما هي إلا شائعة لا أساس لها من الصحة. والحقيقة أن الألمان المهاجرين وكان عددهم في ذلك الوقت حوالي ١٠٪ من سكان الولايات المتحدة (لكن في بنسلفينيا ٣٣٪) تقدموا بطلب لصياغة القوانين باللغة الألمانية أيضًا، ولكن هذا الطلب رُفض من ٤٢ عضوًا مقابل ٤١ أبدوا موافقتهم، وكان الصوت الفارق هو صوت فريدريك مولينبرج.

هل الألمان متعصبون للغتهم حقًا؟

نسمع كثيرًا مقولة إن الألمان متعصبون جدًا للغتهم، والبرهان: عندما تكلمهم بلغة أخرى لا

يردون عليك حتى لو كانوا يجيدونها. لا يمكن الحكم على صدق ذلك. ربما نشأ هذا الانطباع في الماضي حيث كان السواد الأعظم من الألمان لا يجيدون لغات أجنبية وتم تفسير صمتهم بشكل خاطئ. أما الآن فيمكن للمقيم في ألمانيا التحدث مع الغالبية على الأقل بالإنجليزية والفرنسية. وفي المدارس يولي الألمان تعلم اللغات الأجنبية بما فيها غير الأوروبية اهتمامًا كبيرًا.

وربما يكون مرجع هذا الانطباع أن الألمان لهم باع طويل في محاربة دخول التأثيرات الأجنبية إلى لغتهم. فاللغة الألمانية مرت خلال تاريخها بصراعات مع لغات أخرى أدت إلى زيادة النزعة القومية تجاه اللغة. كان أول صدام مع اللغة اللاتينية، ولم تكن المشكلة فقط نفوذ الكلمات اللاتينية إلى الألمانية، بل كانت اللغة الألمانية تحارب من أجل مكانتها الطبيعية كلغة للشعب. ففي بدايات الألمانية كانت اللاتينية هي لغة الكتابة في الكنائس والأديرة والألمانية كانت حبيسة الشفاهة. حتى بعد بزوغ نجم اللغة الألمانية ظلت اللاتينية مسيطرة في الكنائس والأديرة لفترة طويلة ولغة المثقفين على فترات. كذلك كانت هناك فترات تأثرت فيها اللغة الألمانية باللغة الفرنسية، وذلك بسبب تعلق الألمان بأسلوب الحياة في فرنسا. المرة الأولى كانت في العصور الوسطى حيث اتخذت

اللغة الألمانية بها ثلاثة أجناس نحوية للأسماء (المذكر والمؤنث والمحايد) ويتم التعرف على جنس الكلمة من أداته، وصيغ الجمع في الألمانية متعددة ولا يوجد مثنى. والأفعال في الألمانية تصرف مع الضمائر مثل معظم اللغات وللفعل ستة أزمنة

الطبقات العليا في المجتمع الحياة في فرنسا مثالاً يحتذى به، أما المرة الثانية فكانت في القرن السابع عشر مع ظهور الطبقة البرجوازية التي تعلقت بكل ما هو فرنسي. وفي هاتين الفترتين دخلت كلمات كثيرة إلى اللغة الألمانية. كان أيضًا للغات أخرى تأثير في اللغة الألمانية أهمها الإنجليزية التي زاد تأثيرها بعد الحرب العالمية الثانية ومازالت إلى الآن مصدرًا رئيسيًا للكلمات، ليس فقط للألمانية ولكن لكل لغات العالم.

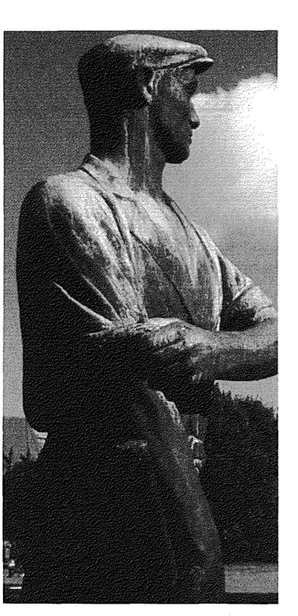
وتحتوي اللغة الألمانية على العديد من الكلمات العربية مثل: سكر، الكحول، الجبر. بدأ دخول الكلمات العربية إلى الألمانية في العصور الوسطى. ولكن أغلبها دخل عن طريق لغات أخرى وليس من العربية مباشرة.

في المقابل لم يكن للغة الألمانية تأثير يُذكر في اللغات الأخرى، فنادرًا ما نجد كلمة ألمانية منتشرة في لغات العالم مثل: Kindergarten. حتى اختصار هذه الكلمة KG انتشر بالإنجليزية.

وأمام تأثير اللغات الأخرى بدأت في ألمانيا مبكرًا حملات لوقف هذا الطوفان. ففي عام ١٦١٧ أنشأت أول جمعية لتطهير اللغة الألمانية من الكلمات الأجنبية، ومنذ ذلك الحين ظهرت جمعيات كثيرة للاهتمام باللغة الألمانية التي كان من أهدافها وقف انتشار الكلمات الأجنبية. الآن يوجد في ألمانيا معهد اللغة العربية في مدينة مانهايم الذي يضطلع بقضايا اللغة الألمانية مثل المجامع اللغوية في بعض البلاد العربية.

من طرائف محاولات تطهير اللغة الألمانية من الكلمات الأجنبية أن بعض القائمين على هذا الموضوع اعتقدوا أن الكلمة الألمانية الأصل Nase (أنف) كلمة أجنبية وقاموا باقتراح كلمة ألمانية بديلة لها معناها «بروز الوجه».

من اللوغاريتمات المتعلقة أيضًا بهذا الموضوع أن النازيين في عهد هتلر كانوا يعتبرون استخدام الكلمات الأجنبية خيانة فكرية، ومع ذلك أصدر هتلر أمرًا بعدم ألمنة الكلمات الأجنبية التي استقرت في اللغة الألماني، وكان الدافع إلى ذلك أن الكلمات الألمانية المقترحة لا تكافئ الكلمات الأجنبية من حيث



المعنى، كما أنها لا تعبر عن روح اللغة الألمانية.

اهتمام متزايد باللغة الألمانية في العالم العربي

يرتبط العالم العربي بعلاقات ودية ووثيقة مع البلاد التي تتحدث الألمانية، ربما يرجع ذلك إلى أن التاريخ الحديث يخلو من المصادمات مع تلك البلاد. ولكن ليس هذا هو السبب الوحيد للاهتمام المتزايد بتعلم اللغة الألمانية في العالم العربي. فهناك أيضًا النسبة العالية للسياح متحدثي اللغة الألمانية في البلاد العربية (في مصر مثلاً أكثر من ٣٠٪ من السياح)، كما أن الدراسة في البلاد التي تتحدث الألمانية، خصوصًا في ألمانيا، تجتذب الكثيرين من البلاد العربية.

طبقًا للإحصائيات فهناك أكثر من ٢٥٠ ألفًا يتعلمون اللغة الألمانية في العالم العربي، منهم أكثر من ٦ آلاف تخصصوا في دراسة علوم اللغة الألمانية (العلوم الجرمانية).

يمكن الحصول على درجات الليسانس/البكالوريوس والدبلوم والماجستير والدكتوراه من حوالي ٢٠ جامعة عربية. كما تقدم العديد من الجامعات العربية اللغة الألمانية كلغة ثانية لدارسي التخصصات الأخرى.

على مستوى المدارس انتشرت اللغة الألمانية كلغة أجنبية أولى أو ثانية في المراحل التعليمية المختلفة في العالم العربي، في مصر مثلاً يدرس حوالي ٥٠ ألفًا الألمانية كلغة ثانية في المرحلة الثانوية.

إضافة إلى دارسي الألمانية في الجامعات والمدارس يوجد الآلاف الذين يتعلمون الألمانية لأسباب خاصة في معاهد جوته المنتشرة في البلاد العربية (يوجد الآن معهد جوته في أبوظبي لخدمة منطقة الخليج) أو في المعاهد الخاصة الأخرى.

ومن أكثر البلاد العربية اهتمامًا باللغة الألمانية مصر، المغرب، الجزائر، تونس، سوريا، اليمن، والسودان، والأردن.

وكان للمملكة العربية السعودية الريادة في منطقة الخليج بإنشاء برنامج اللغة الألمانية في كلية اللغات والترجمة بجامعة الملك سعود في عام ١٩٩٤م/١٤١٥هـ ليكون البرنامج الأول والأوحد في دول الخليج إلى الآن الذي يقدم دراسة متخصصة في اللغة الألمانية والترجمة. يدرس في هذا البرنامج سنويًا حوالي ١٥٠ طالبًا. تدعم هذا البرنامج الهيئة الألمانية للتبادل العلمي (DAAD) بالمحاضرين الألمان وبتقديم أكثر من عشر منح سنويًا للطلاب لعمل دورات لغوية أو تخصصية في الترجمة.

ولم يأت إنشاء هذا البرنامج من فراغ فللبلاد المتحدثة بالألمانية أكثر من ٢٠٠ شركة ومؤسسة ألمانية في السعودية يعمل فيها ما يزيد على ٣٠٠٠ مواطن يتحدثون الألمانية.

وهناك سعوديون كثيرون درسوا أو ما زالوا يدرسون الماجستير والدكتوراه في البلاد المتحدثة بالألمانية. كما أن وزارة التعليم العالي بدأت في إرسال بعثات طلابية إلى ألمانيا لاستكمال الدراسة هناك.■



يقوم على ثلاث ركائز أساسية : الفكر الجرماني ، المسيحية ، الحضارة الإغريقية والرومانية

الأدب الألماني

طه إبراهيم بدري* - الرياض

* كلية اللغات والترجمة - جامعة الملك سعود .

تلقي هذه المقالة التي بين أيدينا – ولكن بصورة عامة ومقتضبة – الضوء على عصور الأدب الألماني المختلفة، منذ بداياته في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، وبالتحديد منذ عام ٧٥٠م، وحتى وقتنا هذا.

إن هذا العصر الذي نعيش فيه، حيث أصبح العالم كله كما يقولون «قرية صغيرة»، لهو عصر حوار الحضارات والثقافات والآداب، بكل ما تحمله هذه التسمية من معنى، حتى وإن كان يحلو للبعض تسميته بـ«عصر صدام الحضارات». ومعرفة الآخر باتت اليوم على قدر كبير من الأهمية، وما أدل على هذا الأمر من قول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا﴾ (سورة الحجرات: الآية ١٣). والإنسان من خلال معرفته بالآخر يزداد أيضًا معرفة بنفسه، فهناك عبارة فلسفية تقول:«الآخر هو أنا، وأنا هو الآخر أيضًا».

والأدب الألماني – حتى وإن كان الأمر قد يبدو غير ذلك – يرتبط في بعض فتراته إلى حد ما بالأدب العربي وبالحضارة العربية الإسلامية. نذكر في هذا الصدد الأديب الشهير وشاعر ألمانيا الأكبر يوهان فولفجانج فون جوته (١٧٤٩ – ١٨٣٢م). فلقد اهتم جوته بالأدب العربي والحضارة العربية الإسلامية وبالدين الإسلامي، خاصة القرآن الكريم وحياة النبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، اهتمامًا كبيرًا، حتى إنه ألف كتابًا عظيمًا في هذا الصدد، تحت عنوان:«الديوان الشرقي الغربي» (West-östlicher Diwan)، عبر فيه عن أحاسيسه وانطباعاته الإيجابية تجاه العرب والمسلمين، وتجاه الإسلام ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. هذا وقد نظم جوته قصيدة بعنوان:«أنشودة محمد» (Mahomets Gesang)، وذلك في عام ١٧٧٣م وكان وقتها في الرابعة والعشرين من عمره، حيث عكف في الفترة التي سبقتها على دراسة القرآن الكريم والحضارة الإسلامية، تأثر خلالها تأثرًا كبيرًا بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم. وتدور القصيدة كلها كما يتضح من عنوانها حول الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم:مولده، وطفولته، وشبابه، وبعثته، ووفاته صلى الله تعالى عليه وسلم. يشبه جوته في قصيدته هذه الرسول محمدًا صلى الله عليه وسلم بالنهر الفياض الذي كلما جرى وتدفق جعل المدائن والحضارات تنشأ على جانبيه، هذا النهر ينبع في الجزيرة العربية ويأخذ في التدفق والامتداد حتى يصل إلى المحيط، مصطحبًا معه نهيرات أخرى، كانت قد دعته للصحبة. وهنا يرمز جوته إلى بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته التي جاءت إلى كل الدنيا، كما يرمز إلى الامتداد الكبير والتوسع السريع للدولة والحضارة الإسلامية. أما الأنهار أو النهيرات الأخرى التي اصطحبها هذا النهر في طريقه فهي ترمز إلى الأنبياء والرسل أجمعين، الذين صدقوا مسبقًا برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم. لذا نجد أن جوته قد اكتسب شهرة كبيرة في العالم العربي، وأعماله قد نالت النصيب الأوفر من بين الأعمال الأدبية الألمانية التي تمت ترجمتها إلى اللغة العربية.

إن هذا الأديب الكبير - جوته - كان يكن للعرب عامة، وللإسلام والمسلمين ورسول الإسلام خاصة كل الاحترام والتقدير، توج ذلك بقوله:«إن كان الإسلام يعني القنوت، فبالإسلام نحيى ونموت»، وبقوله عن

الرسول صلى الله عليه وسلم: «قمة الخَلق محمد».

والآن وقبل الحديث عن عصور الأدب الألماني المختلفة، أرى أنه من الضروري التأكيد على نقطة غاية في الأهمية، ألا وهي أن الأدب الألماني – باعتباره جزءًا لا يتجزأ من الحضارة الألمانية – يقوم في الأساس على ثلاث ركائز رئيسة، كان لها الدور الأكبر في رسم ملامح نتاج هذا الأدب، وهذه الركائز هي:

الأصل الجرماني أو الفكر الجرماني (Das Germanentum)

يقصد بالأصل الجرماني القبائل الجرمانية التي كانت تقطن قديمًا في وسط أوربا، وكانت تتميز بأنها قبائل بدائية، تعيش على الزراعة والرعي وحياة الترحال. والقبائل الجرمانية شعب وثني، كانوا يعتقدون في الظواهر الطبيعية، ويؤمنون بالسحر والشعوذة، وساد فيهم الفكر القبلي، والدفاع عن القبيلة، والثأر، وما شابه ذلك. وقد انعكست هذه الأفكار والمفاهيم على شعرهم الذي كانوا يتناقلونه شفاهة جيلاً بعد جيل. ويعتبر الأدب الجرماني (وهو عبارة عن قصائد شعرية وملحمات تصور الحياة القاسية التي كانت تعيشها تلك القبائل) هو اللبنة الأولى في بناء التأريخ للأدب الألماني. وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن الأدب الجرماني يشبه في موضوعاته إلى حد كبير الأدب العربي الجاهلي، حيث الظروف الحياتية المتشابهة لكل من القبائل الجرمانية والقبائل العربية إبان العصر الجاهلي.

المسيحية (Das Christentum)

بدخول المسيحية إلى أوربا أخذت حياة الجرمان تتغير تدريجيًا، حيث أثرت الأفكار والمبادئ المسيحية، كالإيمان بالله الواحد خالق الكون، والتسامح وحب الغير، على فكر وطريقة حياة تلك القبائل. وهكذا بدأت الموضوعات والمفاهيم الجديدة تأخذ طريقها إلى الأدب، بما أن الأدب هو دائما المرآة التي تعكس حياة الشعوب والأمم.

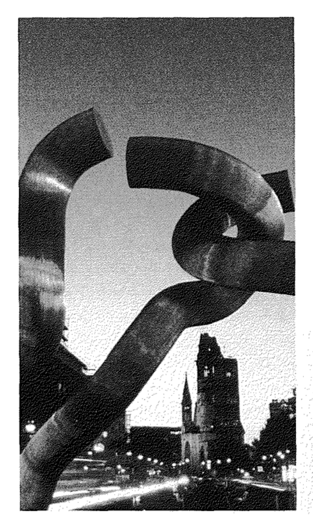
الحضارة الإغريقية والحضارة الرومانية (Die Antike: Griechische und römische Kultur)

تعرف الألمان على كل من الحضارة الإغريقية والحضارة الرومانية من خلال اهتمام رجال الدين المسيحي بالكتابات اليونانية القديمة، حيث كان للغة اللاتينية أهمية كبرى بالنسبة للكنيسة ورجال الدين آنذاك، حتى إن الأدب الألماني في مراحله الأولى كان معظمه يكتب باللاتينية، وسرعان ما أصبح الفلاسفة والأدباء الإغريق مثلاً يحتذى به بالنسبة للفلاسفة والأدباء الألمان.

وبعد هذا العرض السريع للأسس التي قام عليها الأدب الألماني، نعرض فيما يلي بشيء من الإيجاز لعصور هذا الأدب منذ بداياته وحتى العصر الحاضر، مع ذكر لأهم الأدباء والشعراء وأهم الأعمال الأدبية التي تميز بها كل عصر من تلك العصور:

الأدب الألماني القديم Althochdeutsche Literatur (٧٥٠ - ١١٧٠م)

يعتبر عام ٧٥٠م هو البداية الحقيقية للتاريخ



للأدب الألماني المكتوب. وقد تم تدوين النتاج الأدبي لتلك الفترة باللغة الألمانية القديمة، والتي تختلف في ألفاظها وأشكالها وتراكيبها إلى حد كبير عن اللغة الألمانية الحديثة والمعاصرة. أما الفترة السابقة لعام ٧٥٠م فقد ساد فيها الأدب الشعبي الجرماني، الذي تناقلته القبائل الجرمانية شفاهة جيلاً بعد جيل، كما سبق وأن أشرنا، نظرًا لأن تلك القبائل كانت بدائية ولم تكن تجيد القراءة أو الكتابة. والنتاج الأدبي الألماني بين عامي ٧٥٠ و١١٧٠م كان عبارة عن حكم وأمثال شعبية، وترجمات من اللغة اللاتينية، ونصوص دينية وأشعار كان يغلب عليها الطابع الصوفي. وتعتبر ملحمة «هيلديبراندسليد» (Das Hildebrandslied) من أهم ما كتب في تلك الفترة. وتصور هذه الملحمة الحياة القاسية التي عاشها الجرمان. حيث تحكي الملحمة عن أحد الفرسان يدخل في مبارزة بالسيف مع فارس آخر هو ابنه في الحقيقة، وتنتهي المبارزة بقتل الفارس الأب لابنه دون أن يعرف أنه ابنه. وهناك أعمال أدبية أخرى برزت في تلك الفترة، كالمؤلَف الشعري «المخَلِّص» (Der Heliand) الذي يحتوي على ستة آلاف بيت من الشعر، تصور حياة السيد المسيح عليه السلام. كما شهدت تلك الفترة مولد أول رواية باللغة الألمانية، وهي رواية «رودليب» (Roudlieb)، كتبها أحد الرهبان، وهي تحكي قصة حياة فارس مسيحي. أما أهم ممثلي تلك الفترة فهما روزفيت فون جاندرسهايم (٩٣٥ – ٩٧٥م)، وهي أول أديبة ألمانية على الإطلاق، وهاينريش فون ميلك، الذي تميز بكتاباته عن الموت وتذكر الموت وعن حياة رجال الدين.

الأدب الألماني في العصور الوسطى Die deutsche Literatur im Mittelalter (١١٧٠ – ١٥٠٠م)

أهم ما ميز تلك الفترة هو ما يسمى بأدب أو شعر الفرسان، وذلك لما كان لطبقة الفرسان من أهمية عظمى في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية، حتى إنه كان يطلق على الفرسان في تلك الفترة لقب «حماة الحضارة» (Träger der Kultur). كما ازدهر في تلك الفترة أيضًا شعر الغزل (Der Minnesang)، والذي يشبه في مضمونه إلى حد كبير شعر الغزل في الأدب العربي. وأهم من مثل هذا النوع من الشعر هو الشاعر فالتر فون ديرفوجلفايده (١١٧٠ – ١٢٣٠م).

الأديب الكبير - جوته - كان يكن للعرب عامة، وللإسلام والمسلمين ورسول الإسلام خاصة كل الاحترام والتقدير، توج ذلك بقوله: «إن كان الإسلام يعني القنوت، فبالإسلام نحيى ونموت»، وبقوله عن الرسول صلى الله عليه وسلم: «قمة الخلق محمد»

عصر الأدب الإنساني والإصلاح الديني Humanismus und Reformation (١٤٨٠ – ١٦٠٠م)

تميزت تلك الفترة بالمناداة بإحياء الآداب الإغريقية والرومانية القديمة، حيث إن هذه الآداب تتناول القضايا الإنسانية المشتركة. وعليه أخذ الأدب في تلك الفترة يهتم بالإنسان وقضايا الإنسان الحياتية، وأخذت تلوح في الأفق بوادر عصر جديد، يختلف شكلاً ومضمونًا عن العصور الوسطى التي سادت فيها سيطرة الكنيسة على كل مناحي الحياة: إنها بوادر العصر الحديث. كما ظهر من بين رجال الدين من ينادي بإصلاح الكنيسة، كان على رأسهم مارتن لوثر (١٤٨٣ – ١٥٤٦م) مؤسس المذهب البروتستانتي، والذي قام ولأول مرة بترجمة الإنجيل من اللغة اللاتينية إلى اللغة الألمانية، مما كان له أكبر الأثر على تطور اللغة الألمانية. كل هذه الأمور انعكست بطبيعة الحال على الحياة الأدبية في تلك الفترة.

عصر الباروك Barockzeit (١٦٠٠ – ١٧٠٠م)

تميز أدب تلك الفترة بأنه قد تناول خليطًا من الموضوعات، منها ما يتعلق بزخرف الحياة الدنيا ونعيمها، ومنها أيضًا ما يتعلق بالحياة الآخرة. وقد تأثر الأدب الألماني في تلك الفترة تأثرًا كبيرًا ببعض

الآداب الأخرى كالأدب الإنجليزي والأدب الإسباني والأدب الفرنسي. وكان أهم حدث قد وقع في تلك الفترة هو «حرب الثلاثين عامًا» (١٦١٨ – ١٦٤٨م) بين الكاثوليك والبروتستانت، مما انعكس بطبيعة الحال على الأدب آنذاك.

عصر المشاعر والأحاسيس Pietismus und Empfindsamkeit (١٦٧٠ – ١٧٨٠م)

لقد تميز أدب تلك الفترة بتعميق الوعي الديني، وتنوير الفكر الإنساني نحو معرفة الله تعالى، وذلك من خلال التفكر في صنعه تعالى. واتخذ الأدباء والشعراء من الطبيعة بما فيها من بحار وأنهار وجبال وشمس وقمر ونجوم وكواكب وسيلة لمعرفة الخالق سبحانه. وأهم من مثل هذا الاتجاه هو الشاعر التقي ماتياس كلاوديوس (١٧٤٠ – ١٨١٥م)، الذي اتخذ من شعر الطبيعة وسيلة لتعليم القيم الدينية والأخلاقية، وله قصائد عدة في هذا المضمار.

عصر التنوير Die Aufklärung (١٧٢٠ – ١٧٨٥م)

انطلقت حركة التنوير الفكري في الأساس من إنجلترا وفرنسا، ثم امتدت بعد ذلك لتشمل أيضا ألمانيا وأجزاء كبيرة من أوربا. ويعتبر عصر التنوير هو أحد العصور الذهبية في تاريخ الأدب الألماني على الإطلاق، إلى جانب العصر الكلاسيكي والعصر الرومانتيكي، اللذين سنتحدث عنهما فيما بعد .

وقد حث أدب عصر التنوير الناس على التفكر وإعمال العقل في كل ما يتعلق بحياتهم من أمور. وشاعت في ذلك العصر الدراما الاجتماعية والدراما السياسية، كما زاد الاهتمام بالفلسفة والمنطق، خاصة على يد الفيلسوف الكبير إيمانويل كانت (١٧٢٤ – ١٨٠٤م)، الذي أثرت كتاباته الفلسفية على كثير من أدباء ألمانيا فيما بعد. وفي مجال الدراما اشتهر جوتهولد إيفرايم ليسنج (١٧٢٩ – ١٧٨١م)، وهو ذلك الأديب الذي كتب المسرحية الشهيرة «ناتان الحكيم» (Nathan der Weise)، التي تناول فيها فكرة التسامح الديني بين أتباع الديانات الثلاث، اليهودية والمسيحية والإسلام.

عصر العاصفة والاندفاع Sturm und Drang (١٧٦٧ – ١٧٩٠م)

نادى أدباء تلك الفترة – وهم مجموعة من الأدباء الشبان آنذاك – بإعمال المشاعر الإنسانية في الحكم على الأشياء، وليس فقط إعمال العقل كما كانت الحال إبان عصر التنوير. ومن أهم الأعمال الأدبية في تلك الفترة رواية «آلام الشاب فرتر» (Die Leiden des jungen Werthers) لجوته، ومسرحية «اللصوص» (Die Räuber) لصديق جوته الحميم فريدريش شيلر (١٧٥٩ – ١٨٠٥م). جدير بالذكر هنا أن قصيدة جوته «أنشودة محمد» التي تحدثت عنها في بداية هذه المقالة، تعود إلى تلك الحقبة من تاريخ الأدب الألماني.

العصر الكلاسيكي Die Klassik (١٧٨٦ – ١٨٠٥م)

نادى أدباء ذلك العصر بالتوفيق بين العقل والمشاعر في الحكم على الأشياء، متخذين بذلك طريقًا وسطًا بين فكر عصر التنوير وفكر عصر العاصفة والاندفاع. واهتم أدباء ذلك العصر بالآداب القديمة، خاصة الأدب الإغريقي. ولهذا سمي ذلك العصر بالعصر الكلاسيكي. ويعتبر كل من جوته وصديقه شيلر هما أهم ممثلي تلك الفترة. كما أن مسرحية «فاوست» (Faust) التي كتبها جوته، والتي تتناول موضوع الصراع الأبدي بين الإنسان والشيطان، لهي بحق أفضل ما كتب في العصر الكلاسيكي، بل لا

كما أن مسرحية «فاوست» (Faust) التي كتبها جوته، والتي تتناول موضوع الصراع الأبدي بين الإنسان والشيطان، لهي بحق أفضل ما كتب في العصر الكلاسيكي، بل لا نبالغ إذا قلنا إنها أفضل ما كتب في الأدب الألماني على الإطلاق

نبالغ إذا قلنا إنها أفضل ما كتب في الأدب الألماني على الإطلاق.

العصر الرومانتيكي Die Romantik (١٧٩٨ - ١٨٣٠م)

واصلت الرومانتيكية فكر العصر الكلاسيكي إلى حد كبير، إلا أنها أضافت إليه عامل التخيل أو الخيال (Die Phantasie) في معالجة القضايا الحياتية. كما زاد في تلك الفترة التعرف على آداب الآخرين. وزاد الاهتمام بالقصص والحكايات الشعبية والأساطير. ولعل الحكايات الشعبية والأساطير التي قام بجمعها وتدوينها الأخوان جريم في عام ١٨٢٢م، تحت عنوان «حكايات للصغار والكبار» (Kinder- und Hausmärchen)، هي دليل على ما تميزت به تلك الفترة من كتابات أدبية.

عصر الواقعية Der Realismus (١٨٥٠- ١٨٩٠م)

على عكس توجه الأدب في العصر الرومانتيكي نحو إعمال البعد التخيلي أو الخيالي في معالجة قضايا المجتمع، فضل أدباء ذلك العصر معالجة تلك القضايا بواقعية تامة، كما عبر عن ذلك الأديب تيودور فونتانا (١٨١٩-١٨٩٨م)، وهو رائد عصر الواقعية، بقوله: «الواقعية هي انعكاس لحياة الناس الحقيقية». لذا نجد أنه قد شاعت في تلك الفترة الأعمال الأدبية التي تتناول موضوعات تاريخية. ومن تلك الأعمال نذكر على سبيل المثال مسرحية «ماريا ماجدالينا» (Maria Magdalene) للأديب فريدريش هيبل (١٨١٣ - ١٨٦٣م)، ورواية «إيفي بريست» (Effi Briest) للأديب تيودور فونتانا، وهي أعمال تصور كلها واقعًا اجتماعيًا حقيقيًا. ومن هذا المنطلق يمكننا القول إن مسمى «عصر الواقعية» يصدق تمامًا على تلك الحقبة من تاريخ الأدب الألماني.

عصر الطبيعية Der Naturalismus (١٨٨٠ - ١٩٠٠م)

عرف ذلك العصر بين أتباعه بأنه عصر الحداثة «Die Epoche der Moderne»، حيث اهتم بكل ما هو جديد في الحياة الفكرية والثقافية والسياسية، وكل ما هو جديد أيضًا في المجال التقني. وكان للعلوم



الطبيعية في تلك الفترة تأثير كبير على مجالات الحياة الأخرى، ومنها الأدب بطبيعة الحال. وكان شعار ذلك العصر: «الفن = الطبيعة» (Natur= Kunst). وكثرت في عصر الطبيعية المسارح والجمعيات المسرحية، حيث تم إنشاء جمعية المسرح الحر في برلين، وذلك على غرار الجمعيات المسرحية الفرنسية آنذاك. وتعتبر كل من قصة «حارس المزلقان» (Bahnwärter Thiel) والدراما الاجتماعية «قبل طلوع الشمس» (Vor Sonnenaufgang) ومسرحية «النساجون» (Die Weber) للأديب جرهارت هاوبتمان (١٨٦٢-١٩٤٦م) من أهم الأعمال الأدبية لعصر الطبيعية. هذا وقد نال هاوبتمان في عام ١٩١٢ جائزة نوبل للآداب.

الأدب الألماني في القرن العشرين (من عام ١٩٠٠م

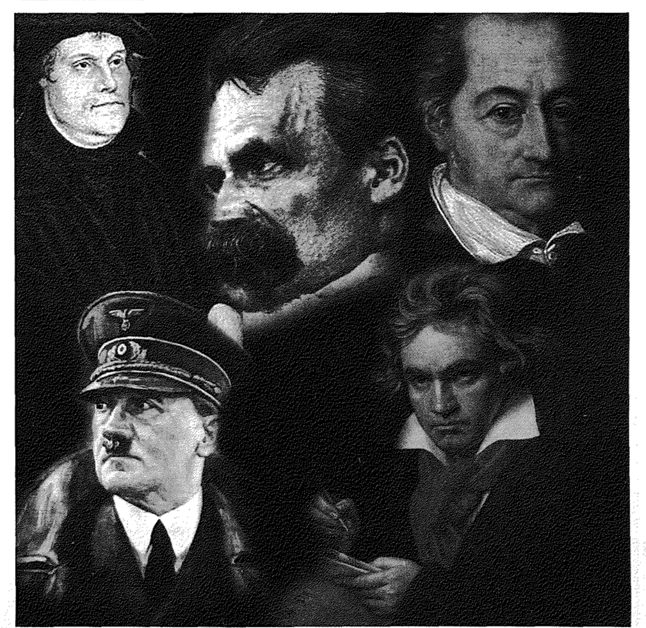
حتى الوقت الحاضر)

يندرج تحت الأدب الألماني في القرن العشرين أدب ما بين الحربين العالميتين، خاصة إبان الحكم النازي لأدولف هتلر، وأدب ما بعد الحرب العالمية الثانية، وهو ما يطلق عليه اسم «أدب ما بعد الحرب» (Die chkriegsliteratuer) أو «أدب ما بعد عام ١٩٤٥» (Die Literatur nach ١٩٤٥). ونظرًا لطبيعة الفترة الزمنية تلك، فقد غلب على الأدب الألماني فيها الطابع السياسي. ومن أدباء القرن العشرين الذين ذاع صيتهم، ليس فقط في ألمانيا، بل أيضًا على المستوى العالمي، نذكر توماس مان (١٨٧٥ - ١٩٥٥م) وأخاه هاينريش مان (١٨٧١-١٩٥٠م)، وهرمان هيسه (١٨٧٧-١٩٦٢م)، وبرتولت بريشت، الذي اشتهر أيضًا في المحيط العربي، خاصة من خلال عملية «دائرة الطباشير القوقازية» (Der kaukasische Kreidekreis) و«الأم شجاعة وأبناؤها» (Mutter Courage und ihre Kinder)، اللذين تمت ترجمتهما إلى اللغة العربية. هذا وقد ذاع أيضًا صيت الأديب إريش كستنر (١٨٩٩-١٩٧٤)، الذي تميزت كتاباته الأدبية بالطابع السياسي والانتقاد اللاذع لفترة الحكم النازي، حتى إن معظم مؤلفاته قد أحرقت في أحد الميادين العامة في ألمانيا. وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الأدباء الألمان الذين ضاق بهم المقام في ألمانيا، نظرًا للقهر النازي، قد لاذوا بالفرار إلى خارج ألمانيا، وأخذوا يكتبون أدبهم في المنفى. ومن هؤلاء برتولت بريشت، الذي هاجر في عام ١٩٤١ إلى أمريكا، وتقابل هناك مع كثير من الألمان الذين هاجروا أيضًا إلى هذا البلد. أما عن أهم أدباء فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، فنذكر منهم هاينريش بول (١٩١٧ -١٩٨٥م) الذي حصل في عام ١٩٧٢م على جائزة نوبل للأدب، وجونتر جراس، المولود في عام ١٩٢٧م وما زال على قيد الحياة، والذي حصل أيضًا على نفس الجائزة قبل بضع سنين. أما عن الأدب الألماني بعد إعادة توحيد ألمانيا في عام ١٩٩٠م، وهي الفترة التي تلت سقوط سور برلين، فقد لمعت فيها بعض الشخصيات الأدبية، منها على سبيل المثال الكاتبة والأديبة الموهوبة كريستا فولف، التي تحدثت في كتاباتها عن علاقة الأديب بالسياسة. وقد انتقدت هذه الأديبة الأوضاع السياسية السيئة التي عاشتها ألمانيا الشرقية إبان سيطرة الشيوعيين عليها. وتعتبر قصتاها «ماذا تبقى؟» (Was bleibt?) و«السماء المقسمة» (Der geteilte Himmel) هما أصدق تعبير عن توجهها السياسي في كتاباتها الأدبية.

كانت هذه إذًا نظرة عامة، قصدت من ورائها تعريف القارئ العزيز بالأدب الألماني، وبعصوره المختلفة، وبأهم الأدباء والشعراء والكتاب الألمان، الذين تميز بهم كل عصر من هذه العصور. والحقيقة أن المتأمل للأدب الألماني على مدار عصوره المختلفة يلحظ أن هذا الأدب لم يترك جانبًا من جوانب الحياة الإنسانية إلا وتطرق له وعالجه: فقد تناول الأدباء الألمان في أعمالهم الجوانب الدينية، والاجتماعية، والفلسفية، والعلمية، والسياسية وغيرها، مما يدلل على أن هذا الأدب قد عكس بالفعل حياة الشعب الألماني على مدار العصور المختلفة. وهذه هي طبعًا وظيفة الأدب الأساسية، في أن يكون مرآة صادقة للمجتمع الذي ينشأ فيه. وهذا الأمر ليس بغريب على الألمان، الذين برعوا منذ عهد بعيد في مجال الدراسات الإنسانية. ■

شخصيات سُطرت في التاريخ الألماني

عبير حسني * - ألمانيا



* كاتبة إعلامية.

يُجمع من يتناول أو يقرأ الشخصية الألمانية أنه يلمس فيها قوة الشكيمة والعزيمة والإصرار على تحقيق مرادها أيًا كانت العواقب والتحديات في أي مجال، رغم اتفاق البعض أو اختلافه على أن هناك شخصيات ألمانية أبلت بلاء حسنًا في كافة المجالات سواء السياسية أو الاجتماعية أو العلمية أو حتى العسكرية، وحققت النجاحات والشهرة في العالم، وهناك أيضًا شخصيات حققت الكثير والكثير بل وغيرت وجه التاريخ – أمثال هتلر – بتماديها في إيمانها بتفوقها الساحق دون النظر إلى من حولها، وأدى تهورها هذا إلى تداعيات خطيرة أزهقت الأرواح وغيرت مسار أمم وشعوب...

لكن ما من شك أن الغوص في بحور الشخصية الألمانية يُخرج كنوزًا مليئة بالدرر، ويمكن للمرء أن يستفيد منها حتى لو كانت قد تهورت – بشكل ما – من أجل عالم أفضل تسوده المحبة والديمقراطية والاستفادة العلمية والأدبية والدينية ولنشر الفضيلة والعدل بدلاً من الرذيلة والظلم... لذلك يحار كل مُطّلع وباحث عند اختياره شخصية ألمانية بعينها لتسليط الضوء عليها للقارئ العزيز، ومن ثم فإن اختيارنا لعدد من الشخصيات الألمانية في عددنا هذا ما هو إلا محاولة لتسليط الأضواء عن مكنون العقلية الألمانية وتحديها للظروف لتحقيق هدفها سواء كان الإنسان متفقًا أو مختلفًا معها. لذلك فإن اختيارنا للأمثلة القادمة ذكرها من رموز ألمانية ليس معناه أنهم الأفضل، بل هو اختيار قد يصادفه رضا القارئ أو لا، لكنه في المقام الأول مسبار في أغوار ماهية العقلية الألمانية بإيجابياتها وسلبياتها، لعلّ وعسى نستفيد من الإيجابيات ونبتعد ما نستطيع عن السلبيات.

مارتن لوثـر: (١٤٨٣-١٥٤٦م)

وُلد مارتن لوثر عام ١٤٨٣م في مدينة ايسلين في ألمانيا... وبتشجيع من والده درس القانون ثم حصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت أي ما يُسمى بالشريعة المسيحية في جامعة فيتنبرج التي عمل بها مدرسًا.... ورويدًا رويدًا، ونظرًا لتعمقه في هذا الفرع من الدين صُدم بما رآه من أحوال رجال الدين الذين انهمكوا في أعمال التجارة: تجارة صكوك الغفران أي أن الكنيسة ليس أمامها سوى أن تبيع الجنة للمؤمنين والعفو عن الخطايا وتُقدر مسبقًا فترات العذاب التي يقضيها المذنبون في النار، ونفس الأمر بالنسبة لمن يتمتع بالنعيم في الجنة، وهو ما أثار ثائرة مارتن لوثر بالاحتجاج بكل قوة على مثل تلك الأعمال..... وفي الحادي والثلاثين من أكتوبر عام ١٥١٧ بدأ يتخذ خطوات ثائرة في هذا الإطار، وقام بتعليق عريضة احتجاج على باب إحدى الكنائس في موطن مولده بمدينة فيتنبرج تضمّن ٩٥ اعتراضًا أدانت كلها صكوك الغفران، وأرسل منها صورًا إلى كبير الأساقفة في مدينةماينسل الألمانية، ووصلت هذه الاحتجاجات وأنباؤها إلى مسامع الكثيرين من المهتمين والمواطنين، خاصة بعد أن وسّع مارتن لوثر احتجاجه وأوصله إلى الكنيسة بروما، بل زاد حدةً باحتجاجه على سلطان البابا والمجتمع الباباوي، وكانت رؤيته أن على الناس ألا يخضعوا له – أي البابا – بل يكون خضوعهم فقط

للكتاب المقدس، وهو ما أقلق مضاجع الكنيسة في روما. وكلّفه ذلك الكثير، إذ استدعته وحققت معه وأدانته بشدة بل وحرّمت قراءة مؤلفاته وما كتبه في هذا الإطار، إذ كان قد قام بتأليف العديد من الكتب التي ذاع صيتها في هذا الوقت، ومن أهمها ترجمته للكتاب المقدس إلى الألمانية مما مهّد الطريق أمام القارئين بالألمانية لأن ينهلوا منه دون عناء الاعتماد على الكنيسة وكهانتها، وزاد من ذلك سهولة أسلوب كتابته ورصانة عبارته التي وصلت إلى القارئ بكل سهولة ودخلت قلوب الناس.

فلسفة مارتن لوثر التي شدّت إليه الأنظار

تبحّر أسلوب مارتن لوثر في إبداع توصيل رسالته ونظريته إلى الناس في اللاهوت بعيدًا عن التعقيد، ودخل في أعماقهم عن طريق نظرية تُعتبر من أهم نظرياته التي استوحاها من القديس بولس، وملخصها أن الإنسان قد لوثته الخطيئة ولا يكفي العمل الطيب للتخلص من هذه الخطيئة فحسب وإنما لابد من التيقن أن الإيمان وحده هو الذي يطهر الإنسان منها، أي لابد للإنسان أن يكون مؤمنًا بالله وبإرادته ورحمته وعفوه لكي يتخلص منها. وهو بذلك يتناقض مع ما تقوم به كنيسة روما من اتباع سبيل بيع العفو عن الناس، إذ يراه عملاً يتنافى مع الدين، إذ ليس للكنيسة الحق في أن تنصب نفسها وسيطًا بين الإنسان والله، وهذا العمل الذي لا يتفق مع الدين لا مبرر له ولا داعي للسير على نهجه، وهو ما كانت تقوم به الكنيسة الرومانية...

لم يعترض مارتن لوثر– الشخصية الألمانية التي تتحدى كل ما هو خطأ– على هذا الأمر فقط بل تطرق إلى أمور تمس جوهر عمل القسيس وحياته، إذ احتج على أن يكون القسيس أعزب طوال حياته– أي لا يتزوج أبدًا– ولذلك أقدم على خطوة عملية في هذا الشأن بأن تزوّج من إحدى الراهبات، وأنجبا ستة أطفال ليقدم مثلاً عمليًّا في ضرورة أن يعيش القسيس حياته حتى يمكنه ذلك من أن ينجز ويقدم الجهد الدءوب في خدمة دينه. ولذلك فإن مارتن لوثر اعتبر في أوروبا بمثابة الأب الروحي في الفكر الأوروبي وتجديده، إذ وصل الأمر بأن كان الاحتجاج على الكنيسة الرومانية احتجاجًا عامًا على كل شيء تقليدي وقديم. ومن ثم يعزو الكثير من المهتمين إلى أن من النتائج المهمة لهذا الاحتجاج هو نشوب الحروب الدينية في أوروبا إثر ذلك، منها حرب الثلاثين عامًا في ألمانيا التي بدأت عام ١٦١٨م وحتى ١٦٤٨م إضافة إلى الصراعات السياسية بين الكاثوليك والبروتستانت وهو الأمر الذي ساهم بشكل كبير في تحديد ملامح السياسات الأوروبية في الفترات التالية لهذه الحقبة من الزمن.

آثار الإصلاح الذي نادى به مارتن لوثر

تشكلت ملامحه في أن أصبح هناك تشجيع وجرأة من أجل طرح كل الأفكار وحرية الرأي والتفكير الديني لمراجعة كل ما هو قديم من هذه النظريات، وبعد أن لم يكن هناك قبل عام ١٠١٧م سوى كنيسة واحدة هي الكنيسة الكاثوليكية التي كان من المستحيل أن يختلف أحدٌ معها وإلا اعتبر زنديقًا أو ملحدًا أصبح الأمر مختلفًا بعد تلك الإجراءات الإصلاحية التي قام بها مارتن لوثر، أصبح الطريق مفتوحًا أمام حرية التفكير الديني والاختلاف في الرأي والاختلاف في كافة المجالات المتعلقة بالكنيسة، وهو ما مهّد لإثراء الفكر في



مارتن لوثر

أوروبا بفضل إصلاحات مارتن لوثر.

واعتبر المؤرخون ثورة مارتن لوثر جاءت أيضًا لاعتبارات قومية وليس فقط اعتبار ثورته موجهة للكاثوليكية، إذ كان يسعى دائمًا إلى عدم تحكم أي بلد – كإيطاليا في حال الكنيسة الكاثوليكية – في بلاده، ولذلك أيضا وَجَد التأييد الجارف لفلسفته....

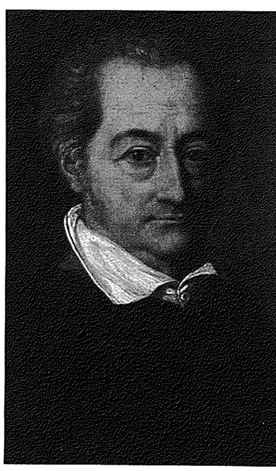
رغم كل هذه الجهود التي بذلها مارتن لوثر مؤسس المذهب البروتستانتي، إلا أنه لم يجد في الخارج التأييد اللازم كما وجده داخليًا، إذ كان اليابانيون والصينيون مثلاً– عكس الأوروبيين والأمريكيين– لا يهتمون كثيرًا بالفوارق بين الكاثوليكية والبروتستانتية، إضافة إلى أن أهمية الدين في أوروبا انحسرت بعض الشيء، إذ رأى البعض أن الفوارق بين الكاثوليك والبروتستانت لا تؤثر كثيرًا في حياتهم وتفكيرهم.

يوهان فولفجانج جوته: (١٧٤٩- ١٨٣٢م)

لعل من الواضح لكل مهتم بالقراءة في الأدب والشعر أنه بمجرد أن يذكر الأدب والشعر في ألمانيا يبرز اسمان كبيران في هذا المجال إلى جانب أسماء أخرى، لكن هذين الاسمين يحتلان المكانة المرموقة دومًا وهما جوته وشيلر، ولذلك آثرنا أن نختار واحدًا منهما ونسلط الأضواء عليه ، ولعل جوته أشهر فلاسفة وشعراء ألمانيا يُسهم باسمه بالكثير في إحياء وإثراء اللغة الألمانية عن طريق المعاهد الألمانية الثقافية المعنونة باسمه في كافة أرجاء العالم بالإضافة إلى ألمانيا نفسها، فمن هو إذًا جوته ؟

هو يوهان فولفجانج جوته... يُعتبر رابع عظماء الأدب الغربي إلى جانب مؤلف الإلياذة الشاعر الإغريقي هوميروس، ومؤلف الكوميديا الإلهية الإيطالي دانتي والشاعر البريطاني وليام شكسبير، وقد وُلد جوته في مدينة فرانكفورت الألمانية في الثامن والعشرين من أغسطس عام ١٧٤٩م من أسرة بروتستانتية، ساهم في طموحه الأدبي والفلسفي نشأته في أسرة ربّها كان يعمل مستشارًا للقصر حيث تعلم وتثقف في هذه البيئة ودرس اللغة الإنجليزية في وقت مبكر، ثم التحق بجامعة لايبزج سنة ١٧٦٥م لدراسة القانون، وواصل دراسته عام ١٧٧٠م في ستراسبورج، وتطلع جوته إلى دراسة المزيد فدرس علم التشريح والعظام والجيولوجيا، وعُين وزيرًا من قبل الإمبراطور جوزيف الثاني، وتمت ترقيته إلى رتبة نبيل، وزار مدينة البندقية عام ١٧٨٦م وتعرف هناك على زوجته كرتسيان فولبيوس وأنجب منها ابنه الوحيد، ثم عاد إلى ألمانيا فاستقر في هايدلبرج عام ١٧٧٥، وعُين مستشارًا مفوضًا لدى وريث عرش فايمار شارل أوجست، ورقاه أوجست وزيرًا مكلفا بالشؤون الثقافية.

درس الفيلسوف والشاعر جوته العديد من الثقافات واطلع على تفاصيلها منها الإيطالية والفرنسية والإنجليزية واليونانية، كما درس الأدب الصيني والعربي والفارسي، مما أسهم في شاعريته وإبداعاته، ومن ثم ظهرت موهبة الكتابة عنده مبكرًا حيث كتب وهو طالب جامعي في السابعة عشرة من عمره محاولتين كوميديتين هما: نزوة عاشق– والمتواطؤون، وفي مجال الشعر اتبع طريق مدرسة تقديم الشاعر والأحاسيس على كل



يوهان فولفجانج جوته

الاعتبارات الأخرى متمردًا بذلك على عصر التنوير أو عصر الماديات والذي لا يعترف إلا بالعقل ولا يؤمن إلا بالشيء المصحوب بالدليل على وجوده.

تُعتبر رائعته «آلام فالتر» والتي جسد فيها تجربته الشخصية– أحد أبرز إبداعاته حيث كان قد أحب خطيبة أحد أصدقائه، ولكن بطل الرواية وضع حدًا لمأساته بإقدامه على الانتحار. وقد حققت نجاحًا كبيرًا في ذاك الوقت.

هناك أعمال ناجحة لجوته أيضًا منها إيفيجينا، وفيلهلم مايستر، هيرمان ودوروتي، وملك الأولنس، إضافة إلى ملحمته الشهيرة فاوست. وهو عملٌ طوّر فيه جوته إحدى الملاحم الشعبية القديمة إلى عمل جيد عكس فيه أفكاره الجمالية والفلسفية.

كان جوته من أكثر الأدباء غير العرب اطلاعًا على الأدب العربي، وكان من نتيجة اطلاعه هذا الكثير من القراءات والإبداعات، وهو ما ساقه إلى تأليف «الديوان العربي الشرقي» الذي يُعد من أروع أعماله، وكذلك «الأنساب المختارة».... لكن أهم ما لفت الأنظار في اهتمامات جوته بالأدب العربي، هو ما تردد عن كتابته في نهاية حياته مسرحية عن الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، حيث توفي قبل إتمامها، وقد وُجدت مخطوطات بها مشاهد من هذه المسرحية، وفيها يقول المؤرخون إن جوته يؤكد فيها أن النبي الكريم جاء بأفكار عالمية جديدة ليشيع السلام والمساواة والإخاء في العالم، كما صوره في هدايته للبشر بالنهر الذي يبدأ التدفق رقيقًا هادئًا ثم لا يلبث أن يندفع في شكل سيل كما تذكر «رمزًا لألوهيته».. وهو ما كان مثار بحث كبير للمهتمين في مجال النقد والبحث... أثرى جوته الأدب والفلسفة العالمية والعربية بالكثير، ولعل من أهم ما قامت به ألمانيا تخليدًا لذكرى هذا الفيلسوف الأديب والشاعر جوته الذي توفى عام ١٨٣٢م أن أسست معهدًا باسمه للاهتمام باللغة الألمانية وإثرائها «معهد جوته» حيث ينتشر في ٨٠ بلدًا بأكثر من ١٤٤ معهدًا يعمل فيها آلاف من المهتمين من هذه البلدان بالإضافة إلى الإشراف الألماني عليه، ويمثل هذا المعهد ألمانيا ثقافيًا وأنشئ عام ١٩٥١م، ومن أهم واجباته تدريس اللغة الألمانية وآدابها ونشرها وإقامة الندوات الدورية فيه لتعريف المهتمين بألمانيا وآدابها بهذا الشاعر وغيره من الأعلام الألمان، وهو ما يثري التبادل الثقافي بين ألمانيا وجميع أنحاء العالم وبناء الجسور الثقافية وتمثيل ألمانيا في العالم، وترجمة كتب ألمانية إلى لغات أخرى وسفر فنانين وكتاب وشعراء ألمان إلى بلدان أخرى والعكس بقدوم فنانين آخرين من بلدان أخرى، وتقديم منح للطلاب المتفوقين في اللغة الألمانية للسفر إلى ألمانيا للاستزادة، ويُعتبر جوته من أهم شعراء الغرب الذين أثروا الحياة الشعرية والأدبية والفلسفية، ولكن علاقته الحميمة بالآداب الشرقية والعربية أضفت الكثير إلى قيمة هذا الأديب لدى المهتم والقارئ العربي نظرًا لتأثره الشديد بالثقافة العربية وتعلقه الكبير بما حصل عليه من ترجمات للقرآن الكريم وتأثره بها الذي ظهر جليًا في أشعاره التي يطلع عليها المثقفون خصوصًا العرب من خلال أعمال الترجمة التي صدرت تحت عنوان مختارات شعرية ونثرية التي جسدت علاقة جوته وتأثره الكبيرين بتفاعل الثقافتين الشرقية والغربية وما لهما من تأثير كبير على تشكل وجدانه الثقافي.

لقد استطاع جوته– الفيلسوف والشاعر والأديب الألماني– أن يتوج قامته الثقافية بتوجهه نحو الشرق في سياق بحثه عن معرفة إنسانية شاملة، وأيضًا في إطار المعرفة الإيمانية وأن يحلق هذا الأديب العظيم بالشعر والفلسفة في آفاق إنسانية رحبة. ولعل أهم ما يُذكر في تاريخ ومسيرة جوته أيضًا صداقته المتميزة الشاعر الفذ فريدريك فون شيلر المولود في عام ١٧٥٩م أي أن جوته يكبره بعشر سنوات، والذي أثرى هو الآخر الساحة الشعرية والثقافية الألمانية، وكانت لصداقتهما هذه التأثير المتبادل في كل منهما، وتحفيز قريحتهما وتنشيطها بنمو كل منهما في مجاله دون أن يجذب أحدهما الآخر إلى طريقه، وكان طريقهما فقط على صعيد الإبداع والحياة رغم اختلاف طبيعتهما تمام الاختلاف في الحياة والإنتاج الأدبي، وأوحت صداقتهما إلى أن ينجح جوته في وضع أجمل ملاحمه وأعذبها وهي تشف وتَنُمُّ عن روح الشعر الغنائي، وكان هناك أيضًا تأثير لجوته على شيلر فقد سعى جوته بما يمتلكه من تأثير اجتماعي إلى مساعدة شيلر في مواجهة صعوبات الحياة حتى أصبح الشاعر شيلر

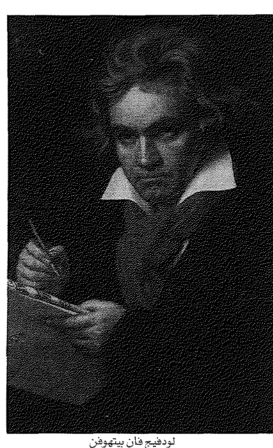
أستاذًا لمادة التاريخ بدعم من صديقه جوته، مما شجع شيلر على إصدار مجلة أدبية تحمل عنوان «آلهة الفصول الأربعة» عام ١٧٩٥م وساعده على إكمال ملاحمه الشاعرية الشهيرة «الغطاس، والقفاز، والكفالة، ومكافحة التنين». وكان جوته هو الآخر يضيء أعمال شيلر بآرائه وكلماته النقدية الرصينة، مما يزيد من حماس شيلر وإبداعاته.

مما لاشك فيه أن الأديبين الشاعرين الكبيرين جوته وشيلر قد أثريا الساحة الأدبية بصفة الصداقة المتميزة البعيدة عن الأحقاد والضغائن والمنافسات غير الأخلاقية، ووصلا بها إلى إبداع كل منهما، ورفع أدبهما إلى مصاف الأدب الرفيع العظيم الذي يثري العقول على مر الأجيال، وقاد كل منهما الآخر إلى سلم التميز والتفرد والمجد والتألق.

لودفيج فان بيتهوفن: (١٧٧٠ - ١٨٢٧م)

ولم يأت تألق بكنباور نجم الكرة الألمانية من فراغ، إذ يُعتبر على المستوى الشخصي والأخلاقي إنسانًا مرهف الحس، فبعيدًا عن كرة القدم والرياضة يستمتع بالكثير من الهوايات الأخرى، كالسفر إلى بلاد العالم، ورياضة الجولف والاستماع إلى الموسيقى والشعر، وعندما سُئل عن أحب الموسيقيين إليه ممن يستمع إليهم أكد أن بيتهوفن من عمالقة الموسيقى المحببين إلى قلبه، نظرًا لظروفه التي تغلب عليها وقدم نموذجًا للانتصار على الإعاقة التي كان قد أصيب بها، ورغم ذلك أبدع... ولذلك آثرنا أن نقدم نبذة عن هذه الشخصية العظيمة في تاريخ ألمانيا.

هو لودفيج فان بيتهوفن الذي وُلد في مدينة بون على نهر الراين بغرب ألمانيا عام ١٧٧٠م وتوفي عام ١٨٢٧م، وكان أبوه موسيقيًا لكنه لم ينجح في حياته، وهو الذي لقّن ابنه الدروس الأولى في الموسيقى، وقد أصيب بيتهوفن بداء الصمم (عدم السمع) عام ١٧٩٦م أي وهو في السادسة والعشرين من عمره حتى توفي به.... وقد تعلم العزف على الكمان والبيانو على يد والده، وأرسله حاكم كولونيا في عام ١٧٩٢ إلى النمسا إذ قدم هناك عروضًا موسيقية نالت إعجاب الأثرياء والأسرة الحاكمة حتى أصبح مؤلفًا موسيقيًا شهيرًا.



لودفيج فان بيتهوفن

ينتمي بيتهوفن إلى الفترتين الرومانسية والكلاسيكية في التاريخ الموسيقي، وكان سيد الفنون الكلاسيكية في ألحانه الموسيقية البارعة، ولعل أهم ما توصل إليه بيتهوفن هو اكتشافه المزايا الجديدة والأكثر غموضًا في الألحان التي اجتذبت المؤلفين الرومانسيين، وتوحي موسيقى بيتهوفن الرومانسية بالمعاني دون أن تخصصها، وبسبب هذا الشعور الهام اعتبر بيتهوفن أحد مؤسسي الموسيقى الرومانسية في القرن التاسع عشر، وقد عمل رائد الموسيقى الرومانسية الألماني بيتهوفن من البداية إلى النهاية على إبداع مؤلفات فنية مستقلة على نطاق واسع وعلى درجة كبيرة من التنوع والإقناع، واعتمدت كل وحدة من أعماله على التنظيم والعلاقات المتبادلة للموسيقى نفسها، وكان هذا بالخصوص الجزء الرئيسي والكلاسيكي لإنجازات بيتهوفن، إذ عبر بشكل متميز عن العاطفة دون أن يُضحي بالتوازن الشكلي.

ونهل بيتهوفن ممن سبقوه من المؤلفين الموسيقيين واعتمد عليهم حتى عام ١٨٠٠م وخصوصًا هايدن وموزارت وباخ، وبدأ يفقد حاسة

السمع أواخر تسعينيات القرن الثامن عشر مما أدى إلى تغير شخصيته. والغريب أنه بعد إصابته اعتبرت الفترة من عام ١٨٠٠م وحتى عام ١٨١٥م هي أكثر فترات بيتهوفن إنتاجًا وروعة، إذ كتب خلالها سيمفونياته من الثانية إلى الثامنة، وآخر مقطوعتين موسيقيتين على البيانو، ومقطوعته على الكمان العادية، بالإضافة إلى السيمفونية التاسعة التي تُمجد الأخوة الإنسانية المثالية.

ويقسم النقاد الموسيقيون حياة بيتهوفن الموسيقية إلى ثلاث مراحل:

الأولى: من عام ١٧٩٥م وحتى عام ١٨٠٣م هي مرحلة الطابع الموسيقي الكلاسيكي.

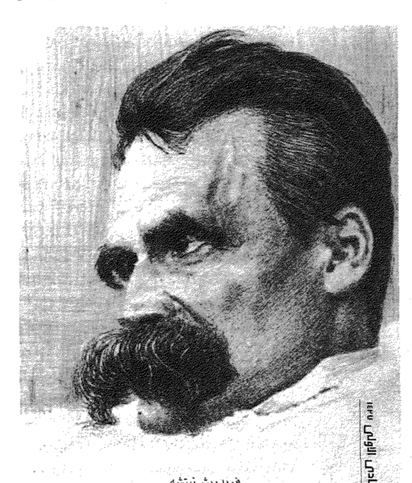
الثانية: من عام ١٨٠٤م إلى عام ١٨١٦م مرحلة الموسيقى الشاعرية والثورية والرومانسية.

الثالثة: من عام ١٨١٧م وحتى عام ١٨٠٠م وفيها اشتد المرض عليه جراء إصابته بالصمم وانغلاقه على نفسه. إذ بعد إصابته بالصمم بدأ الانسحاب من الأوساط الفنية تدريجيًا وأمضى حياته بدون زواج إلا أنه لم يتوقف عن الإنتاج الفني، لكنه مع ازدياد الإصابة واشتدادها عليه امتنع عن العزف في الحفلات العامة، ومال إلى الوحدة وقلّت مؤلفاته.

فريدريش نيتشه: (١٨٤٤– ١٩٠٠م)

اسمه فريدريش نيتشه، وُلد عام ١٨٤٤م وعاش حتى عام ١٩٠٠م، من أهم الفلاسفة الذين أشعلوا الفتيل في الفكر الأوروبي بعد كل من داروين وماركس وفرويد... تنحدر سلالته من سكسونيا بألمانيا، تربى نيتشه في بيت قسيس من الأقاليم، وكانت تربيته تقليدية حيث تعلم اللغات والموسيقى. لكن أباه توفي مبكرًا فتولى رعايته النساء إذ رعته أمه كرب أسرة وأنشأته على نعومة وشاعرية. كان قويّ البنية الجسمية، ضعيف البصر يعاني صداعًا مزمنًا، وعلى الرغم من ذلك فإن رجولته شهد بها الجميع واكتسب مكانة متميزة بين أقرانه وتطوع في الجيش البروسي وساهم في الحرب مع فرنسا عام ١٨٧٠م... ونظرًا لتميزه هذا نجح في الحصول على كرسي الفلسفة الكلاسيكية في جامعة بازل بسويسرا على الرغم من أنه لم يحصل على الدكتوراه في هذا الوقت، ونال استحسان الكبار أمثال فاجنر.. ونظرًا لاعتلال صحته ترك المنصب الأكاديمي بعد عشر سنوات إلا أن شغفه بالكتابة لم يثنه عن مواصلة مشواره الفلسفي، إذ تعمق في دراساته الفلسفية والمقالات الهجومية الساخرة. لكن من الملاحظ أن المرض أثر عليه، ولا يُعرف أي مرض أصابه، إلا أنه تبين أن أفرادًا من عائلته كانوا يعانون أمراضًا نفسية. وفي سن مبكرة أصيب بمرض الزهري الذي يسبب في إحدى مراحله ما يُسمى بحمى الحلق. وكان يرى في نفسه يائسًا نظرًا لتكرار هجمات المرض عليه حتى شعر بأنه منبوذ، ولذلك وجد أن التأليف عنده كان بمثابة علاج ذاتي. وعليه فإن نيتشه أراد التعويض عن انهيار الجسد بتفجير طاقة الإبداع الأدبي ولم تنقصه الإرادة القوية في هذا المضمار.

كان نيتشه رائد اللاعقلانية وحفّار قبر الأخلاقيات التقليدية، وهاجم الأيدولوجيا البرجوازية، ومفكرًا حرًا أفلح في إطلاق الفكر من سجنه الأكاديمي...


فريدريش نيتشه

قام نيتشه بانقلاب في الفلسفة الأوروبية، إذ يقول: إنه فيما عدا قوانين الطبيعة ليس هناك من قوة أخلاقية تبقي العالم والإنسان في حالة انسجام، وفي النهاية على الإنسان أن يؤسس أخلاقياته كل يوم إذا أراد المواصلة والبقاء في الحالة الكونية لكوكبنا.

ولذلك فإن المتبحر في فلسفة نيتشه يرى أنه ذهب بعيدًا لتقديم نفسه، ويكمن ذلك في رصانة أسلوبه وبريقه وإلى سهولة بالغة في قلب كل معادلة مقبولة، وأن أفكاره كانت متوازنة لكنها بعيدة عن الدقة وتشوبها المبالغة، وهو لا يقدم فلسفة وشعرًا فحسب بل إيمانًا جديدًا وأملاً، وتكشف أفكاره وأسلوبه أنه ابن الحركة الرومانتيكية... وأن اعتقاده بشأن الفيلسوف جوهره أن ما ينبغي أن يطلبه الفيلسوف من نفسه أولاً وأخيرًا هو أن يسود عصره بنفسه.

لقد كان لآراء نيتشه دورها المهم في الأحداث التاريخية الضخمة ما بين الحربين العالميتين وما تلاهما من سقوط أو صعود لأيديولوجيات مختلفة إذ أقام ثورة هائلة في القيم والأخلاق كان لها صداها وأثرها الفعّال في ألمانيا خلال العصر النازي واستغلها هتلر في تعبئته للشعب الألماني وإثارة نار الحرب العالمية الثانية. فنيتشه هو الداعي إلى فلسفة القوة والإنسان الأرقى والكاشف عن أعماق أغوار النفس البشرية في جرأة وجسارة، وهو مُقسم الأخلاق الإنسانية إلى أخلاق سادة وأخلاق عبيد، ونادى بملء الأرض وجعلها ثمرة لأنه ليس أمام الإنسان سواها، وأراد أن يقول إنه الفيلسوف الذي يستطيع تحديد مسار وحركة التاريخ البشري على هذا الكوكب.

كان نيتشه يتنقل بين ثلاث بلدان: سويسرا وفرنسا وإيطاليا، وبالتالي طيلة تنقله الذي دام عشرين عامًا لم ير ألمانيا إلا من الخارج وأتاحت له هذه الرؤية أن يدرك نواقص الثقافة الألمانية أكثر من هؤلاء الذين يعيشون بداخلها، ولهذا السبب فإنه شنّ هجومًا على الثقافة الألمانية وانتقد كثيرًا مما كان ينعتها في ذلك الوقت مثل العنصرية الآرية والعصبية الجرمانية. وعلى الرغم من ذلك- كما ذكرنا- فإن النازيين استخدموا فكره لدعم هذه الرؤى بالذات. وكانت المسألة الأساسية التي شغلت نيتشه هي مسألة القيم الأخلاقية وكيفية تشكلها عبر العصور، وهكذا راح يصف كيفية نشوء فكرة الخير والشر، والحق والباطل.

انقسمت حياة نيتشه كما يراها المؤرخون إلى ثلاث مراحل:

الأولى: استمرت حتى عام ١٨٧٦م وكان يحمل خلالها نوعًا من التبجيل للثقافة والعبقرية.

الثانية: امتدت حتى عام ١٨٨١م، وفيها كان يؤمن بالقيمة الإيجابية للعقل والعلم والفلسفة النقدية التنويرية.

الثالثة: امتدت حتى سقوطه بنوبة الجنون عام ١٨٨٨م، وهي تمثل مرحلة الفلسفة الجديدة أي الفلسفة الشخصية لنيتشه.

ومن أهم الأفكار التي ركز عليها نيتشه فكرة العدمية، وكانت تعني التعب من كل شيء وعدم الإيمان بأي شيء وأن قيم العالم القديم قد انهارت ولم تحل محلّها قيمٌ جديدة، بمعنى أن القيم المسيحية التي كان الغرب يرتكز عليها منذ قرون قد تفككت وتحطمت ولم تنشأ على أنقاضها بعد قيمٌ ثابتة أو راسخة يمكن للإنسان أن يطمئن إليها، وبالتالي هناك انحطاط كوني للقيم وانهيار لها وأن القلق أصبح يصيب الإنسان بعد انهيار هذه القيم العليا، وأن الإنسان أيضًا أصبح يشعر بأنه وحيد في هذا العالم ولم يعد هناك من معنى لأي شيء، وهذا الشعور يبعث على الخوف ويشكل المرض الأكبر الذي يهدد الحضارة الجديدة، فالإنسان الغربي لم يعد يعرف بأي شيء يؤمن بعد أن انهارت عقائده الأساسية، وهكذا أصبحت حياته خالية من الهدف أو الغاية.

مآخذ على نيتشه

يرى المؤرخون أن أكبر خطيئة ارتكبها نيتشه هي كرهه للحداثة الديمقراطية، حيث يرون أيضًا أن هذا يكشف الجانب الرجعي في تفكيره، إذ كان يحن إلى العصور الوثنية القديمة ويرفض الاعتراف بالسيادة بين النبلاء الأرستقراطيين والعبيد، أو بين الأقوياء والضعفاء. وكان رفضه للفكرة الديمقراطية التي وُلدت آنذاك من أكبر أخطائه.

وصنفه المؤرخون- رغم أهمية فلسفته

وعصره– أنه في خانة المفكرين اللاعقلانيين تمييزًا له عن كانت وهيجل، فهؤلاء هم آباء العقلانية الألمانية، أما هو فقد خرج عن التراث العقلاني الألماني وركز على الدوافع العميقة والغامضة التي تقبع في أعماق الإنسان، وكان يميل إلى تمجيد القيم الاستثنائية، ولذلك حلم بظهور إنسان أقوى من السابق بكثير، وهو ما استغله النازيون كما أسلفنا الذكر، وهذا يُستدل عليه من أن الزعيم النازي هتلر بعد تسلمه السلطة حرص على زيارة بيت نيتشه والانحناء أمام تمثاله وأهدته أخته عصا الفيلسوف التي كان يستخدمها في نزهاته. وهكذا أثرت أفكار نيتشه في هتلر... ورغم اختلاف المؤرخين على نيتشه أو اتفاقهم عليه فإن من يتعمق في شخصية نيتشه وآرائه يتفق على أنه كان شاعرًا كبيرًا وفيلسوفًا متعمقًا وواحدًا من أكبر الكتاب في اللغة الألمانية بسلاسة أسلوبه السهل وعمق أفكاره الفلسفية.

استمرت حياة نيتشه الفلسفية من عام ١٨٧٩م إلى عام ١٨٨٩م حيث سقط صريع الجنون في تورين بإيطاليا، وخلال هذه السنوات أصدر نيتشه كتبه الأساسية منها:

- إنساني، إنساني أكثر من اللزوم أو بالأصح «بشري، بشري عادي جبار» وهو يقصد من هذا الكتاب أن كل ما عظمه البشر في الماضي بل وفي وقته واعتبروه مثاليًا وسماويًا عاليًا هو في الواقع عادي بل وأقل من عادي، ولكن البشر في حاجة إلى التبجيل والتمجيد. وهناك كتبه الأخرى مثل: فجر، وكتاب العلم الفرح، ثم كتابه فيما وراء الخير والشر، ثم كتابه الأشهر (هكذا تكلم زرادشت).

- كُتب الكثير عن نيتشه وأحكامه المتناقضة، فالبعض يراه مرهصًا بهتلر والعصبية الجرمانية النازية، والبعض يقول العكس ويعتبره أول من نظر إلى الوحدة الأوروبية ودعا إلى تجاوز العصبية الألمانية، والآخرون يلومونه لأنه كان ذا نزعة أرستقراطية ويحتقر الضعفاء. ولكن الحقيقة هي أنه طالما أن الحياة متقلبة بين السلب والإيجاب، فإن فكر نيتشه وتقلباته الفلسفية هي صورة من الحياة ذات أوجه عديدة، وبالتالي هناك قراءات لنيتشه عديدة لا قراءة واحدة، ومن هنا جاء سر جاذبيته المتعددة على مر السنين.

أدولف هتلر: (١٨٨٩- ١٩٤٥م)

ومن الزعماء الذين كان لهم دورٌ كبير في تغيير صورة العالم خلال القرن العشرين أدولف هتلر.. أحد القادة الألمان الذين قادوا العالم إلى مذابح راح ضحيتها أكثر من ٣٠ مليون شخص. وبدأت بعده مرحلة تشكيل وجه العالم شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا. والذي نهل من نظرية الفيلسوف نيتشه بشكل كبير- كما أسلفنا– وتشبع بأفكاره.

اسمه أدولف هتلر وُلد في العشرين من ابريل عام ١٨٨٩م في مدينة برونو بالنمسا، وانتقل بعد ذلك مع أسرته إلى مدينة لينز النمساوية، وكان متفوقًا في مرحلته الابتدائية، إلا أنه بسبب تكاسله لم ينجح في دروسه الثانوية بسبب اهتمامه بالفنون ورغبته في أن يكون فنانًا، وهو ما جعله ينتقل إلى فيينا العاصمة لمواصلة دراسته الفنية، لكنه فشل في ذلك بعدما رسب في امتحان الالتحاق بكلية الفنون الجميلة.. وتخبطت حياته بعد وفاة والدته، ففشل في الحصول على وظيفة، وكان يقوم بأعمال مختلفة لمواجهة أعباء الحياة. وكان من النمساويين الناطقين بالألمانية، فنشأ محبًا للألمان كارهًا لغيرهم، معتبرًا نفسه ألمانيًا، ولذلك سخر من الحكومة النمساوية لاعترافها بثماني لغات، ومن ثم ترسخ في ذهنه وفكره أنه ما من حكومة يمكن أن تبقى في السلطة إذا حاولت معاملة كل الجماعات العرقية والإثنية بالمساواة، وأنه لابد في النهاية من تفضيل البعض على الآخر.

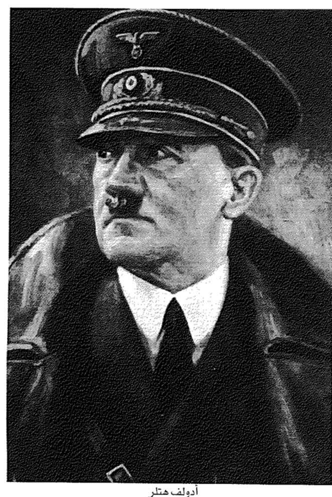
وفي عام ١٩١٣ انتقل إلى ميونخ بجنوب ألمانيا، وتطوع في الجيش الألماني إبان الحرب العالمية الأولى، ورُقيّ إلى رتبة عريف بعد إبلائه بلاءً حسنًا، وكان أن أفرزت معاهدة فرساي بعد الحرب نتيجة مفادها فصل معظم المقاطعات الألمانية وفرضت عليها نزع السلاح ودفع تعويضات، ومن ثم عاد الجيش الألماني إلى ألمانيا في حالة يأس وإحباط وإفلاس.

وفي عام ١٩١٩ انتسب هتلر إلى حزب العمال الألماني الذي سُميَّ بعد ذلك بحزب العمال الوطني الاشتراكي. وكان من أهم ما نادى به الحزب

الجديد في ثوبه الجديد هو:
- ضم كافة الناطقين بالألمانية في وطن قومي واحد.
- حكومة مركزية قوية.
- إلغاء معاهدة فرساي.

وبعد ذلك استطاع هتلر الوصول إلى مركز رئيس الحزب، ونجح في ضم كل الناطقين باللغة الألمانية من الكثير من البلدان، وكانت لخطبه النارية الحماسية الفضل الكبير في ذلك. وشجعه كل ذلك على تشكيل جيش دفاعي للحزب اسمه «قوات العاصفة» كان هدفه قتال كل من تسوّل له نفسه التشكك في معتقداته وأهدافه الداعية إلى الوحدة والقومية النازية. ثم طمع هتلر رويدًا رويدًا في المزيد إذ قاد عام ١٩٢٣م جيشه هذا لاحتلال بافاريا في الجنوب الألماني لكن محاولته فشلت وألقي القبض عليه وسُجن خمس سنوات، وفي تلك الفترة التي قضاها في السجن ألف كتابه «كفاحي» وهو ما كان بمثابة خلاصة لفكره ومعتقداته وما يأمله لمستقبل ألمانيا. وما إن أفرج عنه حاول بناء حزبه من جديد، لكن القيود التي فرضتها السلطات عليه حالت دون ذلك، إلا أنه نجح في جمع أعضاء جدد لحزبه وأسس منظمة القوات الخاصة إلى أن صار حزبه النازي عام ١٩٢٩م من أحزاب الأقلية في البرلمان الألماني.

واستغل هتلر الحالة الاقتصادية المتردية للبلاد في عام ١٩٣٠م نظرًا للكساد الذي حلّ بالبلاد نتيجة الحرب العالمية الأولى وما فرضته من عقوبات، وضرورة تسديد الديون والتعويضات، وهو ما جعل هتلر يفكر في تقديم عرض لتسديد تلك الديون والتعويضات، ومشيرًا إلى أن اليهود الشيوعيين هم السبب في ذلك ووعد بتنظيف البلاد منهم وأن يوحد كل الذين ينطقون الألمانية في أوروبا كلها في دولة واحدة حتى صار حزبه عام ١٩٣٢م أكبر الأحزاب الألمانية بعد أن حصل على أعلى الأصوات، وفي عام ١٩٣٣م عينه الرئيس الألماني هايدنبرج مستشارًا لألمانيا، وهو ما جعله حاكمًا متفردًا بسلطاته حتى توفي الرئيس الألماني بعد ذلك بعام فصار هتلر الزعيم الأوحد والأقوى، ثم بدأ في حكم البلاد حكمًا متسلطًا وفرديًا، وعُرفت فترة حكمه هذه


أدولف هتلر

بالرايخ الثالث وكانت فرصته لغرس كل معتقداته وأفكاره الأيدلوجية التي تؤمن بتفوق العرق الآري في نفوس الألمان وعقولهم، وعليه قاد شعبه إلى طريق يهدف إلى أنهم متفوقون على العالم أجمع بعروقهم الآرية، وأنه لابد من طرد كل من هو يهودي وغجري وأسود ومتخلف عقليا، وقد أطلق على خطته هذه «الحل الأخير» لإنقاذ البلاد. وأعد جيشه المدجج بأعتى الأسلحة والأفراد والطائرات للدفاع عن كل هذه المعتقدات، وبدأ في الاقتناع أن السبيل الوحيد لإنجاح مخططاته هو ضم كل البلدان المجاورة وتوحيد كافة الناطقين بالألمانية، وهو ما دعاه لاجتياح الأراضي البولندية عام ١٩٣٩م كمقدمة لتنفيذ مخططه، ومن هنا بدأت الحرب العالمية الثانية التي نجح خلالها في ضم تحالف دولي معه ضم اليابان وإيطاليا اللتين استغلتا الظرف الدولي الراهن والأوضاع الإقليمية آنذاك للتحالف مع هتلر، في حين نجح ائتلاف آخر يضم تحالفًا

من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي في تشكيل جبهة أمامه لتركيعه والقضاء عليه. ودارت حرب ضروس استمرت حتى الثلاثين من إبريل عام ١٩٤٥م نجح خلالها الحلف الأمريكي البريطاني الفرنسي السوفيتي في هزيمة هتلر وحلفائه هزيمة قاسية بعد خمس سنوات من القتال المرير الذي راح ضحيته ملايين البشر من الناحيتين، واستخدمت الأسلحة الفتاكة والمحرمة والقنابل الذرية للمرة الأولى، وهُـزم هتلر شر هزيمة وهُزمت معتقداته وآراؤه وأفكاره، ولم يتحمل الصدمة وانتحر وهو في مركز قيادته تحت الأرض في الثلاثين من أبريل عام ١٩٤٥م، وهو ما مهد الطريق لاستسلام ألمانيا وبدء مرحلة جديدة في العالم أجمع بتقسيم ألمانيا إلى ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية وما تلاها من تقسيم العالم إلى شرق وغرب.. والكتلة الشرقية والكتلة الغربية– غربًا بقيادة الولايات المتحدة، وشرقًا بقيادة الاتحاد السوفيتي– وحلفين هما حلف الأطلسي وحلف وارسو، وبدأ العالم مرحلة التقسيم والحرب الباردة. ويسقط الرايخ الثالث نتيجة تلك الانتصارات الغربية. وكان نتيجة ذلك أن دُمرت بلاده من مصانع ومنشآت عسكرية وخطوط مواصلات واتصالات، وأُغرقت أنفاق مدينة برلين بعد دخول القوات الروسية من بوابة برلين، وتحطمت الآلة العسكرية الألمانية التي قهرت أوروبا وقادت سياسته التوسعية العالم إلى تلك الحرب الشنيعة ودمار بلاده وأوروبا بعد أن أشعل فتيلها بغزوه بولندا لتدمر ألمانيا ويعقد الحلفاء اجتماعات لتقسيمها، وبدء مرحلة بنائها ووضعها تحت السيطرة. وتهدّمت ألمانيا على يد هتلر وأفكاره، إلا أن التضحيات الهائلة التي قدمها الشعب الألماني بعد ذلك تفوق الوصف، إذ قاموا بإعادة بناء ما هدمه الحلفاء بقنابلهم وقذائف مدفعياتهم، وكانوا يعملون طوال الأربع والعشرين ساعة في إعادة هذا البناء مقابل طعام قليل ليتمكنوا من بناء هذا الهيكل الأساسي لبلادهم وبناء مصانعهم التي سوّيت بالأرض لتبدأ عجلة التنمية مرة أخرى رويدًا رويدًا، وتنتج سلعًا رائعة ورائجة انتشرت في كل أنحاء العالم. ويضرب الألمان المثل في التضحية والعمل بداية من الصغير إلى الأكبر وبالفلاح البسيط إلى العامل إلى الصانع إلى السياسي إلى الماهر في كل مجال ليعوضوا تلك المرحلة التي أتت على الأخضر واليابس، وجعلوا منها ذكرى واستفادوا من سلبياتها لتعود ألمانيا قوية بين دول العالم، وفي فترة عشرات السنين هذه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وانتهاء مرحلة هتلر والنازية، حققت ألمانيا المستحيل قياسًا بدول أخرى، وأضحت من كبريات دول العالم اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا وصناعيًا وديمقراطية. ويركز الألمان في تطوير وتحديث بلادهم بعيدًا عن النظريات الدعائية والنعرات القومية، مع تمسكهم ببلادهم ووطنيتهم والتركيز فقط على ما يُعلي شأنهم. وهو ما جعلهم يأخذون من مرحلة هتلر العبرة والعظة لتوحيد بلادهم وأوصالها والإسراع في عجلة التنمية والبناء بدلاً من الهدم والتوسع على حساب الآخرين، ولتعويض ما دمرته النازية والحزب النازي الذي دام عمره اثني عشر عامًا بزعامة هتلر لكن ما خلفه من أهوال جعلهم يفكرون في كيفية بناء بلادهم حتى لو طال الزمن وامتدت السنون لتحقيق ذلك، وكانت لديهم الإرادة الكافية لإعلاء اسم بلادهم.

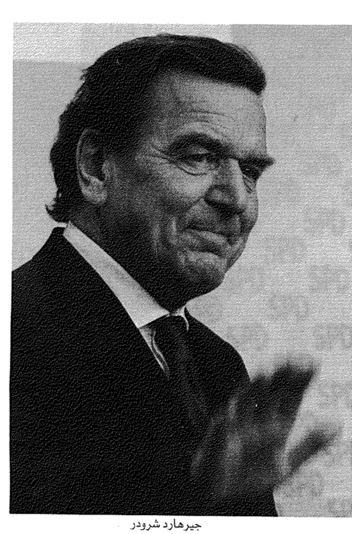
جيرهارد شرودر: (١٩٤٤م -.....)

وشتان الوضع بين تولي الزعيم النازي هتلر عام ١٩٣٣م منصب المستشار في ألمانيا وبين تولي غيره من الزعماء الديمقراطيين الألمان هذا المنصب عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية أمثال المستشار أدينهاور وهلموت شميت وهلموت كول... ثم المستشار السابق جيرهارد شرودر الذي جاء كل منهم بانتخابات ديمقراطية على رأس جهاز الدولة ليحقق كل منهم طفرات عملاقة في تاريخ ألمانيا ما بين نهضتها من عثرتها بعد الحرب ثم معايشة تقسيمها إلى شرقية وغربية، ثم العمل على توحيدها مرة أخرى ووقوفها قوية بين دول العالم، بل وازدياد عملقتها بينهم لتعود أكبر من السابق، وهو أمرٌ كان السبب الرئيسي في ترسيخ قوتها الاقتصادية وقبلها الديمقراطية.

ولعل أكبر مثال على ذلك المستشار السابق جيرهارد شرودر الذي وُلد عام ١٩٤٤م أي عندما كانت الحرب العالمية الثانية تلفظ أنفاسها، وكان

المستشار آنذاك هتلر يقترب من أفول نجمه واختفائه عن الساحة. كان جيرهارد الذي وُلد من رحم الحرب العالمية الثانية معايشًا تلك الحرب من خلال سقوط والده فيها وبالذات في رومانيا، وشب يتيمًا رعته والدته، وأكمل تعليمه المهني عام ١٩٦١م وانضم للنقابات العمالية آنذاك وأتم دراسته الثانوية الألمانية عام ١٩٦٨م، ثم درس المحاماة حتى عام ١٩٧١م، وبدأ في ممارسة هذه المهنة عام ١٩٧٦م، واهتم بالعمل السياسي حتى أصبح رئيسًا لولاية سكسونيا السفلى عام ١٩٩٠م بعد فوز حزبه الديمقراطي الاشتراكي هناك بالانتخابات، ثم أكد هذا الفوز في انتخابات ١٩٩٤م بأغلبية مطلقة ليختاره حزبه الاشتراكي عام ١٩٩٨م زعيمًا لحملته الانتخابية على مستوى البلاد في منصب المستشار في هذا العام، وليفوز حزبه في الانتخابات العامة في تلك السنة بعد ١٦ عامًا من حكم المحافظين (الاتحاد المسيحي الديمقراطي) بزعامة المستشار الأسبق هلموت كول، ونظرًا لعدم تمكن الحزب من الحصول على الأغلبية المطلقة نجح في تشكيل حكومة ائتلافية مع حزب الخضر وأزاح بذلك المحافظين لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ ألمانيا بزعامة شرودر الذي سطع نجمه بشخصيته الجذابة وحضوره الإعلامي ولباقته، وقاد البلاد ٧ سنوات اعتبرها النقاد والمراقبون السياسيون بمثابة علامة فارقة في التاريخ السياسي الألماني المعاصر.

وواجه المستشار شرودر تحديات ضخمة في بداية توليه المسؤولية نظرًا للكساد الاقتصادي ونسبة البطالة المرتفعة وكذلك عبء إعادة بناء اقتصاد الجزء الشرقي لألمانيا التي تم توحيدها في عهد سلفه كول، كل هذه الأعباء عجلت بإسراع حكومته في اتخاذ إجراءات اقتصادية وإصلاحية شاملة لم تنل إعجاب البعض وثارت عليه المعارضة وانتقدت خططه الإصلاحية، لكنه لم ييأس ولم يتراجع وحاول مع أعضاء حكومته تدعيم نموه الاقتصادي وتقوية الاتحاد الأوروبي، كما عارض الكثير من السياسات الخارجية لطموحات المارد الأمريكي مثل التدخل العسكري في العراق ودعا إلى الحل السلمي مما أكسبه شعبية خارجية وداخلية، لكن الشعب في الداخل يفرق بين مصالحه ومواقف



جيرهارد شرودر

بلاده الخارجية، فشعر بأن الأمر الداخلي مهتز خاصة من الناحية الاجتماعية وأن تلك الإصلاحات تجاهلت هذا البعد فتحول هذا التأييد الذي ظهر في بداية مشواره السياسي إلى نقمة شعبية شديدة نظرًا لازدياد حدة البطالة بصورة لم يسبق لها مثيل وما رافقها من تقليص لقدر الإعانات الاجتماعية، فآثر شرودر أن يكون قراره بوضع مستقبله في يد الناخب الألماني حتى تعود إليه الثقة والقوة في اتخاذ القرار، ورأى أن ذلك يتمثل في التبكير بانتخابات نيابية مبكرة عن موعدها عامًا كاملاً، مفضلاً التضحية بهذا العام من مدة مسؤوليته الشرعية، وحصل على موافقة البرلمان والرئيس الألماني، وهو ما اعتبر بمثابة شجاعة سياسية نادرة في وقت يتشبث فيه الحكام بمواقعهم ومقاعدهم، ليس من أجل الديمقراطية ومصالح بلادهم وإنما من أجل مصالحهم الخاصة، وكان أن رأى شرودر أن سيطرة المحافظين المسيحيين على ١١ ولاية ألمانية

من أصل ١٦ ولاية في الانتخابات المحلية طوال ثلاث سنوات ما هو إلا مؤشرٌ على أن شعبيته بدأت في الانحسار خاصة بعد هزيمة حزبه الاشتراكي الديمقراطي في آخر انتخابات في ولاية نورد راين فيستفالن والتي تُعتبر معقل حزبه، وهذا يحدث لأول مرة منذ خمسين عامًا، لذلك قرر في مايو عام ٢٠٠٥ وبطريقة مفاجئة تعجيل إجراء الانتخابات النيابية قبل موعدها الرسمي بعام، وعلّل ذلك بأنه يريد أن يتأكد من ثقة الشعب الألماني به وبسياسته الإصلاحية وإلا فإنه لا يستحق هذا المنصب، وهو ما أثار دهشة المراقبين والمقربين منه، بل إنه ساعد في البرلمان بشكل كبير في عدم منح حكومته الثقة ليفتح الباب أمام تلك الانتخابات ليحصل حزبه على المركز الثاني بعد الحزب المنافس الديمقراطي المسيحي بزعامة المستشارة الحالية أنجيلا ميركل لتأتي النتيجة المفاجئة كنهاية لمشواره السياسي. إذ تنازل عن المنصب لميركل وتفرغ من جديد لعمله كمحام وتحرير كتاب عن حياته من خمسمائة صفحةً سينشر في أكتوبر القادم عبارة عن مشوار حياته السياسية منذ طرق أبوابها مرورًا برئاسته للحكومة في سكسونيا السفلى ونهاية بسبع السنوات التي قضاها في السلطة كمستشار والتي يراها حاسمة في تاريخ ألمانيا. وعليه فإن المستشار السابق شرودر بمشواره السياسي يُعتبر علامة فارقة في حياة الألمان، بداية من بدء حياته كمحام وعضو في الحزب الاشتراكي ورئيس له خلفًا لزعماء كبار أمثال فيلي برانت وهلموت شميت حتى تولى أرفع المناصب في البلاد وتركها بحريته الشخصية، لم يتمسك بالمنصب ولم يحطم بلاده ويهدم الأخضر واليابس، بل آثر أن يساهم في تنميتها والنهوض بها قدر المستطاع. وحينما رأى أن مشواره قارب على الانتهاء آثر الابتعاد قبل أن يبعده شعبه، ولذلك أحبه شعبه وزادت شعبيته بريقًا ولمعانًا. وكان مثالاً حيًا لديمقراطية الأفراد والشعوب ومثالاً حيًا على تساوي الفرص في ألمانيا حيث كانت بداية المستشار السابق جيرهارد شرودر الذي ينتمي إلى أسرة فقيرة بداية متواضعة لم يخجل منها لكنه بلغ أعلى المناصب في النظام السياسي الألماني وساهم بقدر كبير في نهضة بلاده كغيره من زعماء ألمانيا.

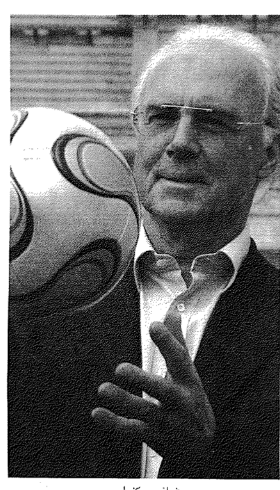
فرانس بيكنباور: (١٩٤٥م-......)

ولما كان المستشار السابق شرودر في طفولته مهتمًا بكرة القدم ومارسها كهاو في ناد محليّ في منطقته ازدادت محبته وشغفه بها أيضًا إبان توليه مهمة المستشار، إذ تقرب جيدًا من مجالها سواء مشجعًا أو متحمسًا لمسؤوليها، إذ تحمس جدًا لقيصر الكرة الألمانية فرانس بكنباور لدى تقدم القيصر بملف بلاده لتنظيم بطولة كأس العالم التي ستنطلق بعد أيام في ألمانيا وكان له الدور الكبير في دعم هذا الملف، ووقف بقوة مع بكنباور حتى نالت ألمانيا بصعوبة شرف هذا التنظيم. ولذلك فإن بكنباور يُعدّ واحدًا من أشهر الألمان ليس في كرة القدم فحسب بل كشخصية ألمانية لها دورٌ كبير في إبراز صورة بلاده في الخارج والداخل... لذلك آثرنا أن نسلط الضوء عليه، فهو كما يراه الألمان «جنتلمان» الكرة الألمانية والمرجعية الأولى الآن في أي نشاط كروي... إذ تدرج في نشاطه الكروي منذ أن كان لاعبًا حتى أصبح الآن رئيس اللجنة العليا المنظمة لبطولة كأس العالم «المونديال» في ألمانيا... ويمكننا القول إنه حقق كل شيء أراده في كرة القدم.

اسمه فرانس بكنباور وُلد في الحادي عشر من سبتمبر عام ١٩٤٥م في ميونيخ بجنوب ألمانيا.. لعب في فريق بايرن ميونيخ عام ١٩٥٨ وكان عمره ١٣ عامًا، وتدرج في صفوف الفريق من ناشئ إلى لاعب أساسي ومشهور حتى وصل إلى منصب رئيس النادي، وفي عام ١٩٦٥م بدأ مشواره الدولي بعد اختيار المدرب الألماني الكبير سيب هيربجر له ليلعب مع منتخب بلاده ضد السويد في تصفيات كأس العالم، وفازت ألمانيا ٢/١.

وامتد به المشوار من نادي بايرن ميونيخ حتى عام ١٩٧٧م وبعدها بصفوف فريق كوزموس نيويورك ثم هامبورج الألماني حتى عام ١٩٨٢م، وسجل الكثير من الإنجازات مع ناديه بايرن ميونيخ وبلده ألمانيا، إذ فاز ببطولة أبطال الدوري الأوروبي في السبعينيات مع بايرن ثلاث مرات، وببطولة كأس العالم للأندية عام ١٩٧٦، وخمس مرات ببطولة الدوري مع بايرن ميونيخ، وأربع مرات بكأس الاتحاد الألماني... أما عن المنتخب الألماني فحدث

ولا حرج، إذ يُعد واحدًا من أنجح اللاعبين الألمان الذين حققوا الكثير من الإنجازات مع المنتخب، إذ حاز المركز الأول كبطل كأس عالم عام ١٩٧٤، ثم توّج مجهوده هذا بمعجزة جديدة إذ فاز بها كمدرب عام ١٩٩٠م بإيطاليا بعد قيادته الفريق خارج الخطوط، وفاز بالمركز الثاني- كمدرب أيضًا- مع منتخب بلاده في بطولة كأس العالم عام ١٩٨٦م بعد هزيمة ألمانيا من الأرجنتين ٣/١، ثم عوضها بالفوز عليها عام ١٩٩٠م وفاز بالبطولة، هذان الإنجازان تحققا فقط في ست سنوات بعد توليه المهمة عام ١٩٨٤م عقب بطولة كأس العالم عام ١٩٨٢م وبطولة أوروبا عام ١٩٨٤م ليقود بلاده إلى هذين الإنجازين، وسبق أن حقق المركز الثاني كلاعب عام ١٩٦٦م، ووصل إلى المربع الذهبي في بطولة عام ١٩٧٠م، وفاز ببطولة كأس الأمم الأوروبية عام ١٩٧٢م.. واعتزل التدريب وآثر أن يترك المكان لأحد المدربين الآخرين ليحقق أيضًا هدفه وكانت تلك فرصة لمساعدة اللاعب السابق بيرتي فوجتس الذي حقق مع بلاده بطولة كأس أمم أوروبا عام ١٩٩٦م، ليخرج مدرب جديد لألمانيا بفضل عدم أنانية بكنباور وتركه الفرصة للآخرين، لم تغره الأيام والانتصارات ليستحوذ على كل فرصة، ولذلك أحبه الرياضيون بقوة ويستمعون إليه ويرونه المثال والقدوة. ثم تدرج في مناصبه الرياضية كنائب لرئيس نادي بايرن ميونيخ فرئيس له وجاء بالنجم السابق اللامع رومينيجه كنائب له، ثم ترك المنصب ليتولاه رومينيجه في بايرن ميونيخ ليُخرج لنا قيادة رياضية جديدة في مجال الإدارة، ثم نائبًا لرئيس الاتحاد الألماني لكرة القدم عام ١٩٩٨م، وروّج كثيرًا لبلاده بأخلاقه الرياضية والفنية ولباقته، حتى كسب عقول الناس وقلوبهم، ويحظى باستقبال كبار المسؤولين له كمسؤول رفيع المستوى، ومن هذا المنطلق وفي العام ٢٠٠٠م استطاع قيصر كرة القدم الألماني فرانس بكنباور الذي يحظى بتقدير عالمي كرئيس للجنة التقدم بملف تنظيم بطولة كأس العالم وبمساعدة الحكومة الألمانية ودعمها بقيادة المستشار السابق آنذاك شرودر أن يأتي بالبطولة إلى ألمانيا بعد منافسة قوية مع جنوب أفريقيا لتنال ألمانيا شرف تنظيمها هذا الصيف،

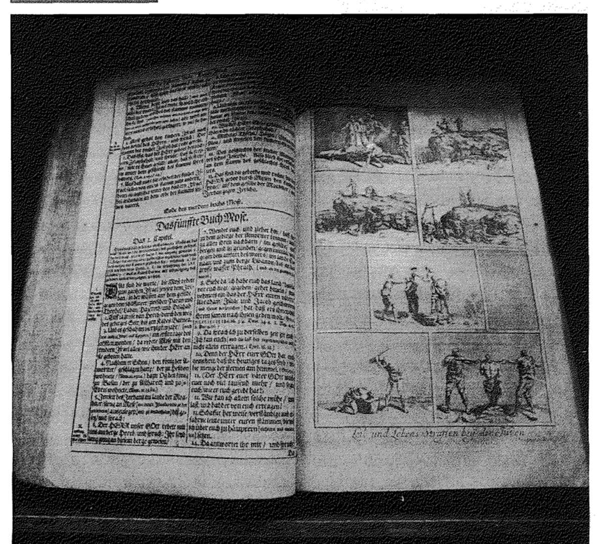

فرانس بيكنباور

وقام بكنباور بمجهود كبير إذ طاف العالم من أجل الترويج لبلاده، حتى بعد الفوز بهذا الشرف لم يكل ولم يمل في أن يذهب كل مكان لنشر المزيد عما ستقدمه بلاده أثناء المونديال، وفي ألمانيا يرى كل المهتمين بالرياضة عمومًا وكرة القدم خصوصًا أن هذا النجاح الذي تحقق بجلب البطولة إلى أرضهم والنجاح المتوقع في المونديال يعود في المقام الأول إلى جهود فرانس بكنباور، إذ قال عنه المستشار السابق شرودر إنه خليط ناجح من الثقة بالنفس ورهافة الحس والتواضع، ولذلك حين يتكلم بكنباور في ألمانيا ينصت إليه الجميع: من سياسيين ورياضيين، وهو ما حدث مؤخرًا حين انتقد مستوى فريق بلاده الذي يقوده النجم الألمع كلينسمان، وطالب بالكثير لتحسين المستوى، إذ تحركت المستشارة الحالية ميركل وجمعت بكنباور مع كلينسمان، واستمعت جيدًا إلى القيصر، واستمع كلينسمان إليه وأكدا ضرورة الأخذ بنصائح بكنباور من أجل تحقيق الفوز بالبطولة التي ستنظمها ألمانيا.■

(الثقافة الرائدة) في ألمانيا

هل يشارك المسلمون في صياغة الثقافة الألمانية؟

مارتين تساشيل * - ألمانيا
ترجمة: أسامة أمين



*أخصائي علوم التربية بالمعهد الألماني.

مصطلح (الثقافة الرائدة) جديد على اللغة الألمانية، وقد أثار موجات فكرية عاصفة، وتناولت جلسات البرلمان الألماني (البوندستاج) قبل سنوات بانفعال بالغ مضامين وأهداف مثل هذه (الثقافة الرائدة). كما كان الشغل الشاغل داخل أروقة مؤسسات المجتمع، من كنائس وأحزاب واتحادات، بل إن الأمر لم يعدم أن تخصص له مؤتمرات علمية بكاملها، ومازال النقاش حول هذا المصطلح مستمرًا حتى يومنا هذا، ولم يعد مقتصرًا على المختصين والمفكرين والسياسيين، بل أصبح حديث الشخص العادي، في ظل قيام بعض الأحزاب بالمطالبة بسن قوانين ترسخ مكانة الثقافة الألمانية، وهيمنتها وريادتها على غيرها من الثقافات الموجودة في ألمانيا.

تاريخ نشأة المصطلح

تجدر الإشارة إلى أن عمر هذا المصطلح لا يزيد عن عشر سنوات، ويتكون من جزأين، هما (الثقافة) و(الريادة)، والمصطلح الأول (الثقافة) كثير الاستخدام، وهو مشتق من اللغة اللاتينية ويعني زرع الأرض، ولأن الناس كانوا في العصر القديم يعتقدون أن زراعة الأرض لا يمكن أن تفلح بدون مساعدة الآلهة، فإن الثقافة والعقيدة ارتبطتا منذ ذلك الحين ارتباطًا وثيقًا بعضهما ببعض، وبمرور الوقت اتسع هذا المفهوم ليشمل الكثير من جوانب الحياة، مثل العناية بالجسم والروح.

ومن الطريف أن الألمان يطلقون على حقيبة السفر الصغيرة التي يضعون فيها فرشاة الأسنان، ومقصات الأظافر اسم (حقيبة الثقافة)، كما يطلقون على القراءة والكتابة (التقنيات الثقافية)، ويفهمون مصطلح (الحياة الثقافية)، بمعنى الأنشطة المسرحية والأوبرا، والمقاهي، وكل الأماكن والمناسبات، التي يتجمع فيها الناس، لممارسة هواياتهم بصورة جماعية.

وبذلك فإن المعنى الأصلي الضيق لمصطلح الثقافة، لم يبق على حاله، حتى أن هناك من ينادي بأن تنضوي العلوم الإنسانية مثل التاريخ والفلسفة والموسيقى تحت مصطلح (علوم الثقافة)، وهو الاتجاه الذي يسعى لترسيخ مبدأ عدم وجود سلطة عليا لكل جانب من جوانب الثقافة، وأن فروع الثقافة لا يجوز النظر إلى أي منها بمعزل عن بقية الفروع، علمًا بأن الثقافة ليست علمًا شموليًا فحسب، بل إن أنماط التعايش المشترك، والتجاور، والتواصل بين الناس، تعتبر كلها ثقافة، والشباب المقيم في حي ما، تكون لهم ثقافتهم المميزة لهم عن شباب الأحياء الأخرى، ولكل جمعية من المواطنين ثقافتهم، كما أن لكل مؤسسة صناعية ثقافتها، وبالتالي فإن مفهوم الثقافة بمعناه الحالي يعني نمط حياة أكثر منه موقفًا حضاريًا، وبديهي أن يكون نمط الحياة السائد في الوقت الحالي وفي مكان بعينة، أكثر سيادة وهيمنة من أنماط الحياة الموروثة التي كانت سائدة في الماضي. فمثلاً إذا سألنا شابًا تركيًا اسمه أحمد، نشأ في الحي التركي في برلين (كرويتسبيرج)، فبغض النظر عما إذا كان مولودًا في تركيا أو ألمانيا، ولو جاء إلى ألمانيا في سن الثالثة أو الخامسة، فإنه سيقدم نفسه للآخرين بأنه أحمد، وأنه من حي كرويتسبيرج في برلين، ولن يقول اسمي أحمد، وأنا من تركيا.

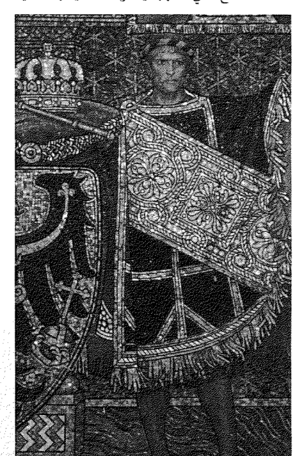
هل الثقافة الألمانية مسيحية؟

والثقافة هي أيضًا «هيكل لإدراك الواقع»، فما تعتبره جماعة من الناس ثقافتها، يشكل المعيار الذي تقيس عليه أفعالها، حتى ولو كانت مفاهيم هذه الثقافة غير منطقية على الإطلاق، ولذلك فإنه من المثير للشكوك، أن يكرر البعض مرة وراء مرة مزاعمهم بأن هناك «ثقافة مسيحية» رائدة في ألمانيا، وأنه من الممكن إثبات تغلغلها في المجتمع الألماني.

وصحيح أن هناك أحزابًا تطلق على نفسها صفة

«مسيحي»- مثل الحزب المسيحي الديمقراطي، والحزب المسيحي الاجتماعي الحاكمين (المترجم)-، ولكن لا يستطيع أحد أن يوضح هذا البعد المسيحي المزعوم في سياسة هذا الحزب، ودرجة الكينونة المسيحية في هوية الحزب. فكم من عقود مرت والصليب المسيحي معلق داخل قاعات الدروس في المدارس الألمانية، دون أن يكون لذلك تأثير على مضمون الدرس، أو على الأقل لم يكن تأثيرًا إيجابيًا. (أصدرت محكمة في جنوب ألمانيا حكما بإزالة تمثال المسيح المصلوب والدماء تقطر منه، بعد شكوى ولي أمر ألماني رفض أن يشاهد ابنه ذلك طوال الدرس، مما أثار غضب المتشددين المسيحيين- المترجم-).

إن مصطلح الثقافة واسع الاستخدام في كافة أنحاء أوروبا، وبغض النظر عن اختلافات محدودة، فإنه يحظى بنفس القبول تقريبًا، ويحمل في طياته مضامين متقاربة، فالثقافة كمصطلح وبمضمونها السائد تربط بين الأمم الأوروبية، ويساعدها في تبادل الآراء حول العديد من القضايا، ومن الطريف أن عدم دقة مفهوم هذا المصطلح، هي السبب في قوته، لاستيعابه للعديد



من الاختلافات. إلا أن هناك إجماعًا في أوروبا على أن الثقافة يجب ألا تحتوي على تقييم لذاتها أو لغيرها، بل لابد أن تقبل بالتعددية.

إشكاليات مصطلح (الثقافة الرائدة)

إذا كان المقصود بـ(الريادة) الإرشاد والأخذ باليد، بالمعنى التربوي، فليس هناك من يعترض على ذلك، وسيكون المصطلح محل قبول من المواطنين، أما (الريادة)، بمعنى فرض معايير معينة، يجب على الآخرين اتباعها، أو على الأقل أن يسعوا إلى الاقتداء بها، فإن ذلك المفهوم لن يحظى بقبول الغالبية في ألمانيا.

إذ لابد من التساؤل عمن يجب فرض هذه القيم عليه؟ وما هي هذه القيم الواجب فرضها على الآخرين؟ فجمهورية ألمانيا الاتحادية دولة هجرة، وبدرجة أكثر من غالبية الدول الأوروبية (رغم إنكار الكثيرين من السياسيين المحافظين من أتباع الاتحاد المسيحي الديمقراطي والاجتماعي ذلك -المترجم)، ففي كل عام يهاجر حوالي ١٠٠ ألف أجنبي جديد إلى ألمانيا، علاوة على الفئة التي تطلق عليها صفة ذوي الأصول الألمانية من المهاجرين من روسيا، والذين لا يتحدثون الألمانية تقريبًا. ونظرًا لانخفاض معدلات المواليد في ألمانيا، فلا مفر من ارتفاع نسبة الأجانب إلى مجموع السكان، مقارنة مع الألمان الأصليين، علمًا بأن هذه النسبة تبلغ حاليا ١٢٪، ومن المتوقع أن ترتفع إلى ١٧ أو ١٨٪ على المدى القريب والمتوسط، ومن الضروري وضع الخطوات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية اللازمة لاستيعاب هؤلاء المهاجرين ودمجهم في المجتمع الألماني، وهو واجب على الدولة ليس تجاه كل فرد مهاجر فحسب، بل وتجاه السكان الأصليين أيضًا، الذين يجب عليهم تقبل المهاجرين الجدد، لأن المجتمع المطلوب منه استيعاب هؤلاء المهاجرين، يتكون هو الآخر من أفراد، لا يكفل لهم الدستور حقوقًا فحسب، بل هم تبعًا للمفهوم الديمقراطي، المصدر الأساسي للتشريع، وسن القوانين.

كيفية التعامل مع المهاجرين

هناك العديد من التصورات حول كيفية دمج أو اندماج الأجانب في المجتمع الأصلي، فهناك سياسيون لا يريدون استيعاب أجانب إلا إذا كان لهجرتهم انعكاسات إيجابية على الدولة من الناحية الاقتصادية، ويعللون ذلك بأنه يجب على ألمانيا أن تسعى للحفاظ على مكانتها

الاقتصادية العالمية، والتأهيل للمستقبل، وضمان أماكن العمل، ولذلك فإن المرغوب فيهم، هم الخبراء في مجالات الكمبيوتر مثلاً، وكذلك اليد العاملة الرخيصة، لجمع المحاصيل أو للعمل في قطاع البناء مثلاً، وهناك سياسيون آخرون يرون أن السماح بالهجرة، يجب أن يقتصر على الأشخاص الذين يتوقع اندماجهم في المجتمع الألماني على المدى المتوسط أو الطويل، مثل أن يكون الأشخاص قادرين على الحصول على فرص عمل، والاعتماد على الذات، وعدم الحاجة إلى المساعدات الاجتماعية من الدولة، ومن القادرين على الاندماج في الهياكل الاقتصادية والسياسية لألمانيا، وهناك فريق ثالث له وزنه أيضًا، ينطلق من مفاهيم إنسانية واجتماعية، ويرى هذا الفريق أن أكثر المستحقين للدعم، هم الأشخاص الذين يعانون من أوضاع سيئة، ويكون لكل حالة على حدة معاييرها الخاصة بها، وعندها تكون الأولوية للأشخاص الذين يتعرضون للاضطهاد بسبب انتمائهم الديني، أو معتقداتهم السياسية، أو اتجاهاتهم الثقافية، بل وللأشخاص الذين لا توفر لهم بلادهم فرص الحياة المعيشية الكريمة.

إن إمكانيات التدخل من جانب الدولة في الاندماج الثقافي للمهاجرين محدودة للغاية في ألمانيا، فالحاصلون على حق اللجوء السياسي يتمتعون حسب الدستور الألماني بحقوق متميزة، تمنحها لهم اتفاقية جنيف، أما المهاجرون من ذوي الأصول الألمانية، فيجري معاملتهم كألمان، وبالتالي تنصب جهود الاندماج على الأتراك الذين يشكلون أكبر مجموعة من الأجانب، بعددهم الذي يفوق المليوني شخص، وهم في زيادة مستمرة، يليهم مواطنو يوغسلافيا السابقة، والبالغ عددهم مليون ونصف المليون.

ونعود للجزء الثاني من مصطلح (الثقافة الرائدة)، فنسأل عن الوجهة المقصود الأخذ بيد القادمين الجدد إليها، والقيم التي من المفروض أن يتبنوها، ولكن لابد أن نستعرض تاريخ هذا المصطلح (الثقافة الرائدة)، بحيث نفهم واقع المجتمع الألماني، والطريف أن صاحب هذا المصطلح ليس سياسيًا ألمانيًا متمسكًا بجذور بلاده، بل هو بسام طيبي، عالم السياسة السوري الأصل، المسلم الديانة، الأستاذ بجامعة جوتنجن الألمانية وجامعة هارفارد الأمريكية المرموقة، وقد قام باختيار هذا المصطلح لوصف نقاط الإجماع التي يتفق عليها

الطريف أن صاحب هذا المصطلح ليس سياسيًا ألمانيًا متمسكًا بجذور بلاده، بل هو بسام طيبي، عالم السياسة السوري الأصل، المسلم الديانة، الأستاذ بجامعة جوتنجن الألمانية وجامعة هارفارد الأمريكية المرموقة، وقد قام باختيار هذا المصطلح لوصف نقاط الإجماع التي يتفق عليها المجتمع

المجتمع، وقد شق المصطلح طريقه بسرعة إلى النقاشات السياسية، وجرى استخدامه في المقام الأول للتأكيد على ضرورة فرض مطالب على المهاجرين بالاندماج.

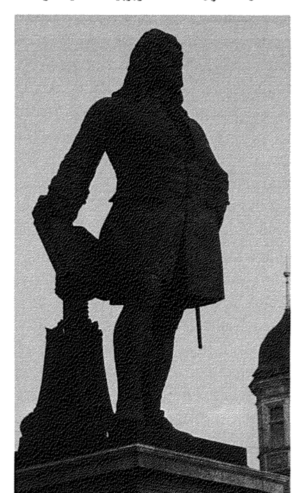
تعريف بسام طيبي لمصطلح (الثقافة الرائدة)

انطلاقًا من التاريخ الفكري الأوروبي استنبط بسام طيبي بعض القيم المحورية لوصف الثقافة الأوروبية المعاصرة، وهي: الديمقراطية، العلمانية، التنوير –بمعنى تقدم العقل على الدين، والشك في كل الثوابت– ، واحترام حقوق الإنسان، وسيادة المجتمع المدني، وهي القيم التي لا تقتصر على ألمانيا، بل جرى إحرازها بعد قرون من الحروب والحركات الاجتماعية، وبعدها جرى تطوير مستمر لترسيخ قيم جوهرية بعينها، لا يمكن التراجع عنها، ورغم بعض التجارب المريرة التي وقعت في ظل وجود هذه القيم، مثل الحركة النازية في ألمانيا، (حين جرى استغلال القيم الديمقراطية لوأد الديمقراطية، وارتكاب جرائم لا مثيل لها في التاريخ -المترجم-)؛ ولكن بالرغم من ذلك فإن جمهورية ألمانيا الاتحادية قد استقر فيها نظام سياسي، بلغت فيه الحريات أوجها، حتى لو رأى الكثيرون من المواطنين الألمان أن هذه الأوضاع بديهية، ولم يشعر آخرون بأهميتها، فإن الغالبية العظمى ترى أن المجتمع المدني ليس إنجازًا فريدًا وهامًا فحسب، بل لابد من الحفاظ عليه وعلى بقائه إلى الأبد، ومن الناحية القانونية فإن النظام السائد يطلق عليه اسم (النظام الأساسي الليبرالي الديمقراطي).

رئيس البرلمان الألماني والثقافة الرائدة أوروبيًا

ومن المثير للاهتمام أن رئيس البرلمان الألماني

(بوندستاج)، السياسي المسيحي الديمقراطي نوبرت لامرت، أثبت أن مصطلح (الثقافة الرائدة)، مازال موضع اهتمام وبحث الكثيرين، حيث دعا لامرت في مقال له نشرته صحيفة (دي تسايت) الأسبوعية المرموقة في عددها الصادر بتاريخ ١٣/١٢/٢٠٠٥م، إلى استئناف النقاش حول هذا المصطلح من مفهوم أوروبي، قائلاً: «إذا أرادت أوروبا ذات التنوع الكبير (تضم حاليًا ٢٥ دولة عضوًا فيها —المترجم-) أن تظل محتفظة بهوياتها القومية، وأن تسعى في الوقت ذاته إلى تشكيل هوية جماعية، فإنها تحتاج إلى فكرة سياسية رائدة، وقاعدة مشتركة من القيم والقناعات، ومثل هذه الفكرة الأوروبية الرائدة تقوم لا محالة على جذور ثقافية مشتركة»، وحدد لامرت الأعمدة الثلاثة لأوروبا المعاصرة برأيه، وهي الثقافة — التاريخ — الدين، وهي العناصر التي لا يمكن قبولها دون نقد أو تصويب، ومن الغريب أن لامرت يقصر مفهومه الثقافي الأوروبي على التراث اليوناني الروماني، متجاهلاً الكثير من المصادر الأخرى للثقافة الأوروبية الحديثة، وكذلك



هناك غموض كبير في استناد لامرت إلى وجود «تاريخ مشترك»، و«تقاليد دينية مشتركة»، فالتاريخ الأوروبي يغص بالحروب الدينية الطاحنة (يكفي أن هناك حربًا أوروبية واحدة بين الكاثوليك والبروتستانت عرفت باسم حرب الثلاثين عامًا —المترجم-)، وبالحروب السياسية والعسكرية والثقافية، ولذا فإن هذه القواسم المشتركة يجب النظر إليها بحذر شديد، فقليل منها يصلح ليكون قدوة للحاضر والمستقبل.

وعندما اندلع الصراع الناجم عن نشر صحف أوروبية للرسوم المسيئة لرسول الإسلام (صلى الله عليه وسلم)، طالب لامرت «تحديد البديهيات لمجتمعنا القائمة على أسس مشتركة، ووضع حد أدنى من التوجهات المشتركة»، منبهًا إلى أن الولاء للدستور وحده لا يكفي، لأن الدستور يستمد روحه من الأسس الثقافية، التي يسود إجماع المجتمع عليها، وعلى المهاجرين أن يتمتعوا بحرية الصحافة مثل غيرهم من بقية طوائف المجتمع، ونشر آرائهم، وأن يقوموا بالتوفيق بين حرية النشر وبين قناعاتهم الثقافية، (مما يعني أن رئيس البرلمان الألماني لا يرى ضرورة وضع قيود على حرية الصحافة، ولا يؤمن بتفضيل احترام الأديان على هذه الحرية،—المترجم)، ولامرت يهاجم بشدة مبدأ فكرة المجتمع متعدد الثقافات، بل يريد وضع قواعد لحسم الصراعات الثقافية، ويقصد بذلك المشاكل القانونية التي تثير الرأي العام في ألمانيا، مثل: هل يجوز تعليق صليب في الصفوف المدرسية؟ وهل يجوز إجبار الفتيات المسلمات على المشاركة في حصص التربية الرياضية والسباحة؟ وكيف تتعامل المحاكم مع الرجل المسلم الذي يقتل ابنته أو زوجته أو أخته «دفاعًا عن الشرف»، ومن يزوج ابنته رغمًا عنها؟ وغير ذلك كثير من هذه القضايا التي لابد من التساؤل عما إذا كانت دوافعها ثقافية أم دينية.

ومن المهم بمكان أن نشير إلى أن لامرت أوضح أنه لا ينطلق في مفاهيمه الثقافية من داخل الحدود الألمانية، بل يخرج عبر الحدود القومية، ليقول إذا كان المرء مناديًا بثقافة رائدة، فلتكن «الثقافة الأوروبية الرائدة»، -صحيفة فرانكفورتر ألجيماينه بتاريخ ٢/٨/ ٢٠٠٦-، ومما يزيد صعوبة التوصل إلى اتفاق حول هذه القضايا الثقافية، هو عدم وجود إجماع داخل التجمعات المهاجرة، علاوة على تبدل الآراء داخل هذه الفئة من

المجتمع، ففي حين رأت ٢٧٪ فقط من الفتيات التركيات في عام ٢٠٠٠م ضرورة ارتداء الحجاب الإسلامي، فإن هذه النسبة ارتفعت في عام ٢٠٠٥م إلى ٤٧٪، ولكن هذا المثال يوضح أن فئة المهاجرين مثل غيرهم من بقية طوائف الشعب، تسود بينهم التعددية الفكرية، وتغير الآراء تبعًا لتبدل القناعات.

هابرماس والثقافة الأوروبية

يرى بسام طيبي والمفكر الألماني يورجن هابرماس، أنه لا يجوز البحث في الماضي عن جذور للثقافة الأوروبية الرائدة، بل في العناصر السائدة في الوقت الحاضر، ويقصرها هابرماس على ما يسميه «الوطنية الدستورية»، ويقصد بها، العناصر التالية:

- تقديم العقل على الوحي الديني.
- الديمقراطية القائمة على الفصل بين الدين والسياسة.
- التعددية.
- التسامح.

وهذه العناصر الأربعة يضمنها الدستور الألماني، وهي تصبغ الحياة في ألمانيا وفي الكثير من الدول الأوروبية، منذ عشرات السنين، ومن الضروري بمكان توضيح أن القضية لا تتعلق بضمان حرية العقيدة فحسب، لأن ذلك أمر لا جدال فيه، وثابت في الدستور الألماني، ولكن هذه الحرية تشمل أيضًا حرية غير المؤمنين، والملحدين من هيمنة الدين عليهم، أما القيم المثبتة في الدستور الألماني، فهي ذات طبيعة كونية، وليست مشتقة من قناعات دينية، والسبب في ذلك يرجع إلى أنه طالما جرى في التاريخ استغلال الدين للحفاظ على القوة الاجتماعية والسلطوية والسياسية، وبالتالي فإن القيم الأساسية لا ينبغي أن تكون مستمدة من أيدلوجية أو دين، ورغم أن الماضي المسيحي لا يمكن إنكاره، إلا أنه لا يؤدي دورًا محوريًا بالنسبة للدستور.

الثقافة والتبدل

في حين كانت «الهوية القومية» تستثار في النفوس، لمواجهة الأعداء في الداخل والخارج، فقد حلت محلها اليوم التعددية، والانفتاح على الآخر، وبهذا فإن ألمانيا وأوروبا جمعاء تشق طريقها، الذي يرتقي بها من الفكر القومي الذي عفا عليه الزمن، ويجعلها تتبنى مفاهيم كونية.

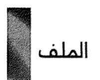
وانطلاقًا من التاريخ الألماني والأوروبي، أصبحت حقوق الإنسان، هي المبدأ الأسمى، الذي يسود حوله الإجماع، ومن يرد أن يعيش ويعمل في ألمانيا أو أوروبا لفترة طالت أو قصرت، فليس مطلوبًا منه أن يقبل بها فحسب، بل ينتظر منه المجتمع أن يعيش تبعًا لهذه الحقوق، ورغم أن هذه الحقوق، هي نتاج ثقافي، فإنه لا يجوز التعلل بالخصوصيات الثقافية للتخلي عنها، ولكن من المأمول أن يكون هناك نقاش حول مضمون هذه القيم والثقافات، بل ويمكن التشكيك فيها أيضًا، وانتقادها بل الاستخفاف بها، لأن كل ذلك يشكل جزءًا من الثقافة السياسية في ألمانيا وأوروبا.

ورغم أن الوضع المالي والسياسي الحالي لا يحتمل تأجيل التوصل إلى إجماع اجتماعي حول كيفية التعامل مع المهاجرين، فإن النقاش الحقيقي الصريح لم يبدأ بعد، وفي حين يتعامى البعض عن وجود هؤلاء الأجانب، يرفض آخرون توجيه النقد للمجتمع الألماني وللمؤسسات الألمانية حول أسلوب تعاملها مع المهاجرين التي لا ترى فيهم سوى ضحية للسياسة الألمانية.

إن الجماعة السياسية تقوم على التماسك والدعم من المواطنين، وبغض النظر عن أصولهم، فكل أفراد هذه الجماعة السياسية مطالبون بالإسهام بحصتهم من أجل الصالح العام، وقد آن الأوان للحديث عن دور كل فرد في المجتمع، بصراحة وشفافية، بدون محظورات، وبدون تبادل الاتهامات، وبدون نيل من القيم التي نزعم اعتزازنا بها.

دور المسلمين في صياغة الثقافة الألمانية

ليست الثقافة الألمانية منتجًا مسيحيًا، لا يقبل بثقافة المهاجرين المسلمين، وليس سوطًا مسلطًا على ظهورهم، مفروضًا عليهم أن يقبلوا به، ولا كأسًا رعافًا يتجرعونه عند استلام جواز السفر الألماني، ولا هي ذات مكونات صلدة ومفاهيم متحجرة، بل هي كائن حي متبدل، يصنعه السكان الألمان، والمهاجرون، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين، كل ما على المسلمين هو أن يشعروا بالانتماء لوطنهم الجديد، وأنهم أصبحوا جزءًا من المجتمع الذي اختاروه طواعية، ثم عليهم أن يدخلوا في نقاش بناء، لتعديل الثقافة السائدة في المجتمع الألماني، لتعكس توجهاتهم وثقافتهم الأصلية، وتصبح معبرة عن واقع المجتمع اليوم، لا تجسيدًا لواقع يعلوه غبار الماضي، بسبب قصور هؤلاء المسلمين في المشاركة في مؤسسات وطنهم ألمانيا الذي فتح لهم ذراعية مرحبا بقدومهم. ■



عنقاء ألمانيا

بين البطولة الفردية والبطولة الجماعية

لقاء الورد- العراق

تتمتع ألمانيا بموقع متميز بين جميع أمم الأرض، ليس بسبب تقدمها الحضاري والعلمي والثقافي فقط، بل كذلك بسبب ما يتفق البعض على تسميته بـ«المعجزة الألمانية»، حيث نهضت هذه الدولة الأوروبية العظمى من رماد الحرب العالمية الأولى، ثم الثانية بعد سقوط الرايخ الثالث على يد الحلفاء، لتنطلق في مسيرة إعجازية نحو إعادة البناء التي قادتها لتكون اليوم واحدة من أقوى إقتصاديات العالم على الإطلاق. وإذا كان بعض المحللين والمؤرخين يرجعون هذا التطور المذهل إلى الغاء أو تخفيض النفقات العسكرية إلى الحد الأدنى، كي يتم التركيز على حقول الصناعة والمعارف السلمية، فإن البعض الآخر من المحللين يرجعون هذه «المعجزة» إلى العقلية الألمانية الجديدة التي ولدت من بين حرائق الحرب لتطلق سلسلة التقدم، كحجر أساس، لكل ما تحقق ويتحقق اليوم. هذا ما جعل من استخدام رمز «العنقاء» رمزًا مطابقًا لحالة ألمانيا، حيث حدثت عملية انطلاق العنقاء من «عمادة النار» fire baptism نحو الأعالي، وكأنها أمة لا تموت.

يذهب المؤرخون إلى أن ألمانيا ما قبل الحربين العالميتين، الأولى والثانية، قد تبنت نوعًا من الفلسفة الاجتماعية المبنية على التقديس الشوفيني للعنصر الآري «الجرماني»، هذا التقديس الذي قاد إلى تعظيم الاعتماد على «البطولة الفردية»، والذي كان سببًا لإشعال وإطلاق طاقات «البطولة الجماعية» الكامنة في داخل الشعب. وقد بدت بوادر هذا الفكر تحت تأثير الحركة الرومانسية المثالية الألمانية transcendentalism. إذ كشفت كتابات «شللر» F. Schiller عن آفاق خلق تعاطف وتفاعل بين المؤرخ من ناحية، وبين الفرد، أو الحدث التاريخي المتمركز حول الفرد، من الناحية الأخرى، الأمر الذي أدى إلى التركيز على الجانب الشخصي في صناعة الإنجاز التاريخي. وقد أدى هذا الأسلوب إلى التركيز على الطريقة الانتخابية المعتمدة على انتقاء المرحلة التاريخية الإيجابية التي تساعد على بناء الأمة. لذلك بقي الشعب الألماني يؤمن بقوة بفكرة «الولادة–الموت–الولادة الثانية» (رمز العنقاء، ثانية)، حيث اعتمدت هذه الفكرة على فلسفة «هيردر» Herder، ومن ثم على فلسفة تلميذه الفذ «غوته» Goethe، خاصة فيما يتعلق بتطبيقات النظرية الدورية على التاريخ القومي. لقد كان «التطور العضوي» عند هيردر جانبًا مهمًا في حركة تطور المجاميع البشرية، أو الأمم (بدلاً عن التاريخ الكوني)، تلك الأمم التي يشترك أعضاؤها بمشاعر وعواطف قومية وأشكال سلوكية خاصة بها، كنتيجة نهائية لقرون طويلة من التداخل المشترك والتفاعل الجماعي. لذا درس هيردر التاريخ الكوني كحالة مجزأة إلى «وحدات عضوية»، تمتلك كل واحدة منها، وعلى نحو وراثي، قوة «إبداعية وانتظامية» تتمثل فيما يسمى بـ«الروح القومية». لقد بدت هذه الروح، بالنسبة لمفكري القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وكأنها هي المحرك الفعلي للتغير التاريخي. وهي، لذلك، تعبر عن القوى الوطنية الفاعلة داخل الوحدة الاجتماعية بشكل إيحائي غير مرئي يعمل بصلب تاريخ «الأمة».

أما «نوفالس» Novalis، فهو الفيلسوف الذي كان مدفوعًا بفكرة انبعاث الروح القومية الألمانية، وهي الفكرة التي قادت لبلورة هدف «الوحدة الألمانية». كما اتفق الفيلسوف «فردريك فون شليغل» Schlegel مع نوفالس على هذه الفكرة، ولكنه منح هدف الوحدة الألمانية المنشودة بعدًا دينيًا، بعدًا يتوق إلى روحيات وأخلاقيات العصر الوسيط، كالفروسية والأبوية والقيادة الرشيدة. ومع أفكار هذين المفكرين ظهرت أفكار فلاسفة آخرين من أمثال «فيخته» التي أدت إلى تأسيس حركة قومية تعمل من أجل الوحدة تحت اسم «برلين الفتاة» Berlin Junga (يحتمل أن تكون حركة «العربية الفتاة»، التي

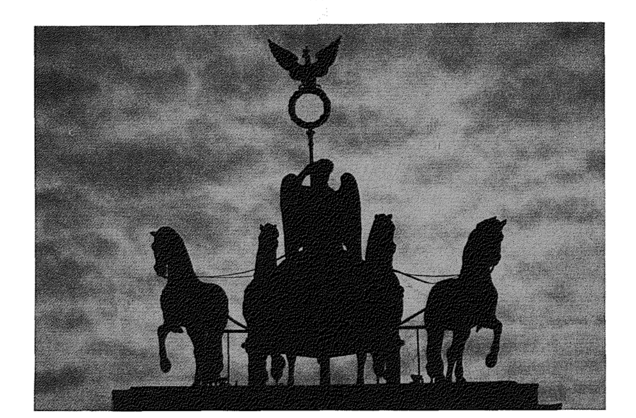
ظهرت في العصر العثماني، مستوحاة منها).

لقد مهد هؤلاء الفلاسفة، الذين لم يكونوا شوفينيين متعصبين بالمعنى الحديث الشائع اليوم، إلى ظهور حالة منحرفة من نوع تقديس العنصر و«تأليه» الفرد، خاصة قبل الوحدة الألمانية وبعد ظهور نظرية «الرجل الخارق» superman التي ابتدعها وأطلقها الفيلسوف «نيتشه» Nitsche. الشيء الطريف هنا هو أن أقوى أصداء هذه النظريات، القائمة على تقديس روح المجموعة الإثنية الجرمانية Volksgeist وعلى تمجيد البطولة الفردية، قد ظهرت في بريطانيا وليس في ألمانيا، حيث برز كتاب المفكر الاسكتلندي توماس كارلايل Carlyle الموسوم بـ«في الأبطال وعبادة الأبطال والبطولي في التاريخ» On Heroes, Hero-Worship, and the Heroic in History. لقد حاول هذا المفكر إيجاد مخرج لمأزق بريطانيا العصر الصناعي الجديد من خلال طرح «نظرية البطل»، متخذاً من اثني عشر بطلاً تاريخياً نموذجًا لأشخاص غيروا مجرى التاريخ (لاحظ أن الفصل الثاني من الكتاب هو حول الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، البطل نبيًا). لم يكن كالاريل يؤمن بالبطولة الديكتاتورية أو الشوفينية القائمة على العصبيات الإثنية أو الدينية، ولكن تعبير أدولف هتلر Hitler، بعد عقود، عن إعجابه بهذا الكتاب جعل النقاد يعتبرون كارلايل من مؤسسي الفكر النازي، لسوء الحظ، حيث أدى ذلك إلى صدور كتاب بنفس المعنى بقلم Grierson بعنوان «كارلايل وهتلر» Carlyle and Hitler.

لقد أدت هذه التفاعلات الفكرية وآثارها الاجتماعية في ألمانيا إلى ظهور بطل قومي، هو محقق الوحدة الألمانية في القرن التاسع عشر، المستشار «بسمارك» Bismark، الرجل الذي قاد دولته «بروسيا» (نواة ألمانيا الموحدة) إلى توحيد الممالك والدويلات الألمانية في «ألمانيا واحدة» لأول مرة في العصر الحديث. كان هذا الزعيم الألماني، بسمارك، يؤمن بضرورة تقوية وبناء ألمانيا لتعزيز وتكريس وحدتها، ولكنه اصطدم بآخرين ممن كانوا ينظرون بعين الحسد والمنافسة إلى بناء بريطانيا وفرنسا لإمبراطوريتين عظيمتين في الشرق، مما أدى إلى اعتزال بسمارك ووقوع ألمانيا في مصيدة هذا النوع من القيادة الجديدة الطامحة إلى منافسة الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية عبر بناء إمبراطورية ألمانية.

وهكذا لاحت بوادر الاحتكاك بين ألمانيا من جهة، وفرنسا وبريطانيا، من جهة ثانية. وقد تجسدت طموحات هؤلاء القادة الجدد في فكرة مد خط سكة حديد «برلين-بغداد» لأجل الوصول للمياه الدافئة في الخليج العربي، وكذلك من أجل قطع الطريق أمام البريطانيين نحو جوهرة التاج، الهند. كانت هذه السكة واحدة من أهم أسباب اندلاع الحرب العالمية الأولى التي أدت إلى تدمير ألمانيا بالكامل، وأدت بعد حين إلى ولادة العنقاء، ثانية، ولكن عبر تأليه الفرد، أدولف هتلر، الذي قاد ألمانيا إلى الحرب العالمية الثانية. انتهت هذه الحرب إلى سقوط الرايخ الثالث Third Reich وتقسيم ألمانيا إلى دولتين: ألمانيا الشرقية (تحت مظلة الكتلة الشيوعية)، وألمانيا الغربية (تحت المظلة النووية للكتلة الرأسمالية الغربية)، حيث ظهر «جدار برلين»، كرمز للتقسيم وكجرح عميق في النفس الجماعية الألمانية، سياج عملاق يفصل بين الشرق والغرب حتى انتهاء الحرب الباردة يوم سقوطه المشهود في بدايات تسعينيات القرن الماضي.

لقد استفاق الإنسان الألماني، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وبداية محاكمات نورنبيرغ للزعماء النازيين، على دولتين مسحوقتين لم يتبق منهما من المعالم شيئاً. وعاش الألمان في فاقة وفقر شديدين. ولكن هذا الانكسار النفسي والمادي لم يمنع الألمان من البداية بالخطوة الأولى على درب الألف ميل. وبواسطة «مشروع مارشال»، الذي أعده الغرب لإعادة بناء ألمانيا «الغربية الاتحادية»، تمكن الألمان من لمّ شملهم والسير على طريق البناء، بينما بقي الألمان الشرقيون محتفظين بتفوقهم وقدراتهم من أجل التميز داخل المعسكر الاشتراكي نفسه. وقد لعبت المرأة الألمانية الدور الأبرز في إعادة البناء وإيقاف وطنها على أقدامه بعد أن خسرت ألمانيا في الحرب العديد من الجنود، حيث أدى هذا إلى اختلال في التركيبة الجنسية للسكان: فزادت أعداد الإناث مقارنة بأعداد الذكور. وهكذا بدأت عنقاء ألمانيا تصعد إلى الأعالي من رماد الحريق: فتطورت الصناعات الألمانية على الجانبين الشرقي والغربي بعد أن تحررت من معوقات الهدر والتبديد العسكري لتغدو، ألمانيا الغربية خاصة، واحدة من أعظم دول العالم، صناعيًا وعلميًا، وثقافيًا، وحضاريًا. وعلى المهتم أن يتذكر أن واحدة من أهم غنائم الحرب العالمية الثانية التي فاز بها المعسكران الأميركي والسوفييتي هي سلب العلماء من ألمانيا وأخذهم

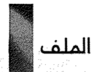


للاستفادة منهم.

لكن المهم في هذا التغير الكبير لم يكن يكمن في أموال إعادة الإعمار التي خصصها المعسكران الغربي أو الشرقي، ولا في حيوية الفلسفتين، الاشتراكية والرأسمالية اللتين كانتا سائدتين عبر فترة الحرب الباردة على الجانبين. إن سر الانطلاق الألماني الجديد يكمن في ظهور نوع جديد، أو نظرية جديدة للبطولة، بديلاً عن البطولة الفردية التي قادت إلى الديكتاتورية وإلى العنصرية والحروب. هذا النوع الجديد من البطولة الجماعية هو بطولة الفرد داخل الجماعة أو المجموعة الاجتماعية. وهكذا ظهر العامل الألماني جزءًا من عمال مخلصين في عملها، قادرين على غزو أسواق العالم بسيارات الفولكس فاغن للفقراء، والمرسيدس للأغنياء. وظهر كذلك العالم ورجل القلم، ممثلين لفنون السلام والبناء، حيث ازدهرت ألمانيا من جديد لتبرهن للعالم على حيوية الشعب الألماني، ليس كشعب مختار، حسب الأسطورة الآرية، ولكن كشعب محب للسلام، يؤمن بالتعايش على أساس البناء والتفاعل بداخل محيطه الأوربي والعالمي.

لقد تجسد هذا النوع من البطولة الجماعية في بروز فلسفات وأفكار جديدة، معادية للشوفينية الجرمانية، ومؤمنة بالإنسانية وبالمحبة. وكان من أفضل تعبيرات هذه الفلسفات قد برز في أفكار المسرحي الألماني الفذ «بريخت» Brecht الذي يعد أبرز مؤلف ومنظر مسرحي في العصر الحديث. لقد هرب بريخت من ألمانيا النازية محتجًا على دكتاتوريتها وسحقها للحريات، حيث وجد في أجواء الحرية ببريطانيا وفرنسا ملاذًا أولاً له، ومحطة نحو الولايات المتحدة الأميركية. وهناك، على الساحل الغربي للمحيط الأطلسي، تبلورت عبقريته القائمة على اعتبار المسرح أداة ووسيلة اتصال جماهيري قادرة على تغيير المجتمع، ليس من خلال تأليه الفرد، ولكن من خلال تعريف الفرد ذاته بواسطة دمجه في روح الجماعة، روح الفريق الذي يعمل بطريقة متناسقة ومتناغمة لبناء الخطاب والعمل الثقافي والفكري. وهكذا ظهرت نظرياته المسرحية المبتكرة في «التأثير الاغترابي» Alienation effect وفي «المسرح البطولة» Epic Theater. نماذج لروح ألمانية جديدة، روح متحررة من مكبلات الماضي العنصري ومتمسكة بالبطولة الجماعية التي أحالت ألمانيا إلى «جنينة أوروبا»، وليس إلى «أوروبا القديمة»، كما أسماها وزير الدفاع الأميركي، دونالد رامسفيلد. وتجدر الإشارة هنا إلى أن ألمانيا مابعد الحرب قد شهدت حملة شاملة لإعادة تأليف وكتابة المناهج الدراسية والسياسات التعليمية، لتحذف كل ما يمت بصلة إلى تقديس الفرد وتفضيل العنصر الآري من أجل تنقية الأجيال الجديدة مما أصاب ألمانيا سابقًا من براثن العنصرية.

إن ألمانيا الموحدة اليوم تمثل نموذجًا يستحق الدراسة، والمحاكاة أحيانًا، بالنسبة للعديد من أمم الأرض، لاسيما بالنسبة للشعوب العربية التي هي في أمس الحاجة إلى «البطولة الجماعية» التي تصهر البطولة الفردية في بوتقتها على طريق البناء المبدع الخلاق. ■



المسلمون في ألمانيا

غموض العلاقة مع الدولة حتى الآن!

أيمن مزيك * - ألمانيا

*أمين عام المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا

توصل استطلاع الرأي الذي أجري بتكليف من صحيفة (فاينانشيال تايمز) الأمريكية اليومية، في ٢١ دولة، الذي شارك فيه أكثر من ٢١ ألف شخص، إلى أن أكثر من نصف الأوروبيين الغربيين يشعرون بأن وجود المسلمين في بلادهم الأوروبية، يواجه بالرفض، وهي نتيجة مثيرة للذعر، وترتفع هذه النسبة في ألمانيا لتصل إلى ٦١٪، وكلما زاد تأثير الأحزاب اليمينية، ارتفع الاستياء من هذا الوجود.

أما التقارير الشاذة التي تنشرها بعض وسائل الإعلام وتصريحات بعض السياسيين، التي تتنبأ بحدوث هجمات إرهابية في هذا البلد الأوروبي أو ذاك، وتسعى إلى إثارة المشاعر، فإنها تقوم بالباقي، ولكن المجتمع الألماني لم يكن بعد مستعدًا لمواجهة ظاهرة تنامي التطرف اليميني المثيرة للمخاوف، مما جعل الأحزاب اليمينية المتطرفة قادرة على دخول البرلمانات المحلية في أكثر من ولاية ألمانية، ولم يكن قادرًا بعد على تحذير مواطنيه من ذلك، ولا حمايتهم، علمًا بأن هذه البيئة اليمينية المتطرفة، هي التي تتحمل -تبعًا لآخر ما توفر من معلومات- المسؤولية عن الهجوم الإرهابي الوحيد الذي وقع في ألمانيا، بعد الحادي عشر من سبتمبر، وهو محاولة اغتيال ٢٢ شخصًا في حي كولن- مولهايم ذي الأغلبية التركية.

أما عالمة التاريخ النمساوية بريجيتا هامان، فقد صرحت في حديث مع كل من شتيفان أوست، رئيس تحرير مجلة دير شبيجل الألمانية الأسبوعية، وفرانك شيرماخر، ناشر جريدة فرانكفورتر ألجيماينه الألمانية اليومية، قائلة: «إنني أعتقد أن الأمر سيتكرر مرة أخرى، ولذلك فعلينا أن ندرس بعناية (الزعيم النازي الألماني أدولف هتلر) والحقبة النازية، حتى يتضح لنا، ما هي التطورات الفظيعة، التي تجعل حدوث ذلك (الهولوكوست من جديد) أمرًا ممكنًا».

كما أن هناك صورة يعتريها التناقض، فهناك أكثر من ثلاثة ملايين ونصف المليون من المسلمين المقيمين في ألمانيا، الذين اندمجت غالبيتهم العظمى في المجتمع الألماني، ومنذ أربع عقود والمسلمون، الذين يشكل الأتراك غالبيتهم، يدفعون الضرائب بانتظام، والتزموا بالحياة اليومية السائدة في ألمانيا، ولم يعودوا يلفتون الأنظار إليهم بصورة كبيرة، وحتى معدلات الجريمة التي يتورطون فيها، لا تزيد عن معدلات نظرائهم من الألمان، وبالرغم من التقارير الصحفية الرخيصة، مثل الحديث عن تجارة الرقيق الأبيض، والقتل حماية للشرف، وغير ذلك من العناوين المثيرة الأخرى، فإن الوضع العام في المدن الألمانية يتسم بالسلام والهدوء، وهو الأمر الذي لا يعود الفضل فيه إلى قوات الشرطة، ولا إلى هيمنة ما يعرف باسم (الثقافة الألمانية الرائدة)، بل يرجع ذلك إلى المواطنين العقلاء، سواء كانوا من المسلمين أو من غير المسلمين.

ولكن هل تغير الوضع بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، بعد تفجيرات مترو الأنفاق في لندن، والقطارات في مدريد، واغتيال المخرج الهولندي

فان جوخ؟ لقد أصبحت أصابع الاتهام في المسؤولية عن هذه الأعمال المشينة موجهة إلى الإسلام دون تمحيص، وأصبح الكثيرون من الألمان يرون الإسلام مثيرًا للاستغراب ومصدرًا للتهديد، بل إن نغمات مشابهة لذلك أصبحت تتردد في داخل البرلمان الألماني الاتحادي (بوندستاج)، في جلسات النقاش عن اندماج الأجانب في المجتمع الألماني، وأصبح كثيرون يضعون (الثقافة الألمانية الرائدة)، كنقيض لما يزعمون أنه المثل الفاشل للمجتمع متعدد الثقافات.

ويبدو أن الوقت قد فات، حين كانت التحذيرات من وضع الإسلام والمسلمين في موضع الاتهام، تؤتي ثمارها، ولم يعد هناك مجال لخداع الذات أو المكابرة، إن أصابع الاتهام موجهة إليهما لا محالة، وليس أدل على ذلك من نتائج استطلاع الرأي المشار إليه أعلاه.

وما زاد الطين بلة، أن بعض القطاعات من المحافظين، قد وجدوا في الإسلام ضالتهم، ليكون الوقود الذي يلهبون به النقاشات التي تدور في الغرب عن القيم، ومن المؤسف أنهم لا يطرحون ماهية هذه القيم الغربية، بل تدور رحى النقاش حول مدى اختلاف الغرب عن القيم التي يتمسك بها الغرباء، والمقصود بهم هنا المسلمون، وفوق كل ذلك اضمحل الحديث عن الاندماج المزعوم، ليقتصر على الأبعاد الأمنية، ولم يعد هناك فصل واضح كان يمكن أن يساعد على التفريق بين الأجانب وبين المخاطر الأمنية، ولا حتى في وسائل الإعلام.

ضغوط كبيرة على المسلمين

أصبح التردد على المساجد، الذي كان في الماضي أمرًا بديهيًا، شيئًا يدعو للريبة ممن يقوم به، بل وأصبح المشي إلى المسجد في حد ذاته شبهة، وأصبحت الاتهامات جاهزة مثل القول إن«القاعدة في كل مكان»، وإن أفكارها تنتشر كالهشيم بين أفراد الجالية المسلمة، بغض النظر عن مدى اندماج هذه الجالية، ومدى انفتاحها على المجتمع المحيط، وبرغم استنكارها لكل أعمال المتطرفين، والنأي بنفسها عنهم، بل حتى لو كانت هذه الجالية نفسها ضحية الاعتداءات عليها بالنيران، كما حدث كثيرًا في الماضي، وضحية فرق التفتيش التابعة للشرطة، وهو الأمر الذي لا يعيره الرأي العام أي انتباه.

إن مجالس إدارة المساجد، والاتحادات الإسلامية واقعة اليوم تحت ضغوط هائلة، فهم يريدون من ناحية أن يظهروا رغبتهم في الاندماج، ومن الناحية الأخرى هم يريدون أن يقللوا من حدة السخط المتزايد والشكوك المتنامية لدى الجالية المسلمة، من جراء النقاشات العاصفة.

وكان من نتائج ذلك على صعيد الجالية الإسلامية، أن مروجي نظرية المؤامرة قد وجدوا سوقًا رائجة، وأصبح الكثيرون يتحدثون عن الهجرة من ألمانيا، كما أن ذلك الوضع صب في مصلحة المتطرفين، وهم أولئك الذين يسعون منذ سنوات لإشعال نار الصدام بين المجتمع الغربي الذي يزعمون أنه عدواني ومنحط، وبين مجتمع مسلم يزعمون أنه متناغم، وكذلك يحتفلون بالبعث من جديد، وتثير آراؤهم حفيظة الغالبية العظمى من المسلمين المسالمين والراغبين في الاندماج، وتضع المسؤولين عن الاتحادات الإسلامية أمام مهام عسيرة وبالغة التعقيد.

وفوق ذلك يتساءل كثير من المسلمين بمنتهى الجدية: إلى متى سيتحملون الأوضاع في هذه البلاد، التي ولدوا فيها، ولكنهم تحولوا بين عشية وضحية ودون ذنب اقترفوه إلى صراع حضاري؟

ورأى كثيرون من المسلمين القائمين على الحوار، وآخرون من الأصدقاء العاملين في حقول السياسة

إن سن القوانين الأمنية التي تزداد تشددًا يومًا بعد يوم، وقوانين حظر الحجاب الإسلامي، والأسئلة المفروضة على المسلمين الراغبين في التجنس، كل هذه الإجراءات لا يمكن أن تحل محل سياسة عقلانية في التعامل مع الإسلام ومع الاندماج، بل على العكس من ذلك فهي تؤدي إلى تعميق الهوة بين الجانبين، وتحطيم الثقة

والإعـلام والكنائس، أن النتائج المتواضعة التي أثمرها الحوار الذي استمر عشرات السنين، بدأت تتسلل من بين أيديهم.

وتساءل الجميع: هل هناك صور عدو فقط؟ أم أن هناك أيضًا صور صديق؟ هل أصبحت الدعوة إلى الحوار مقصورة على السذج والحالمين؟ هل أصبح المتشددون هم أصحاب اليد الطولى، أم أن العقل سينتصر في النهاية؟

من المؤكد أن هناك إجماعًا على أن الوضع الأعوج المذكور أعلاه يدعم القوى المتطرفة، ويضعف القوى المعتدلة والمتزنة على الجانبين، ولا يمكن بحال أن يكون ذلك هو الهدف.

كما أنه من المؤسف، أن يكون العالم الإسلامي غافلاً عن ذلك حتى الآن، ولولا محطات فضائية محدودة لما علم المسلمون في العالم الإسلامي شيئًا عما يحدث لإخوانهم وأخواتهم في الغرب.

إن الدول الإسلامية ينبغي عليها التفكير في ذلك، وأن تسعى مستقبلاً مع المسلمين في هذه البلاد، أن تضع خططًا طويلة المدى، عن كيفية معيشة المسلمين في سلام، في ظل الأوضاع السياسية العالمية المتغيرة، والتي بدأت ملامحها تظهر في أوروبا. إذ لابد من شراكة جديدة، والتخلص من فكرة عودة المسلمين إلى أوطانهم السابقة، لأنه من المحتمل ألا يفعلوا ذلك، خاصة أبناء الجيلين الثاني والثالث، ولذا يجب تقديم المساعدات الثقافية والشرعية ونقل وتبادل المعلومات عن مهامهم، والتي لا تقتصر فقط على الإنفاق على المساجد وتصريف أمورها، لأن ما سنحتاج إليه في المستقبل هو تحسين البنية التحتية الإسلامية، من تدريس التربية الإسلامية، إلى تأسيس كليات إسلامية، إلى وضع برامج ثقافية وتعليمية، تشكل سويًا ما يمكن أن نطلق عليه اسم (الهوية الإسلامية في الغرب)، فقد نشأت على مر السنوات الماضية مجموعة من المسلمين المؤهلين تأهيلاً عاليًا، الذين ينتظرون بفارغ الصبر أن يحملوا شرف القيام بهذه المهام.

غموض العلاقة بين الدولة والمسلمين حتى الآن

ومن أهم الأمور توضيح العلاقة بين المسلمين وبين الدولة الألمانية، كما ظهر بوضوح في حالة الصراع حول صور الكاريكاتير، أو مشاكل السياسة



الخارجية، الناجمة عن الهجمات الإرهابية التي قام بها مسلمون، بحيث يجري إلصاق هذه الأفعال بالمسلمين المقيمين في هذه البلاد.

إن المسلمين يعيشون منذ عشرات السنين بين ظهرانينا، سواء كانوا من الألمان الذين اعتنقوا الإسلام، أو من المسلمين المهاجرين من الخارج، الذين جاءوا -كما هو معلوم- بعد الحرب العالمية الثانية، وبنوا هذه البلاد، وهم يدفعون الضرائب، مثلما يفعل كل شخص آخر في ألمانيا، وبالرغم من كل ذلك فإن غالبيتهم يبقون معزولين عنا، ولا يندمجون فينا.

وحقيقة أننا لم نفلح حتى الآن في كسب لاعبي كرة القدم الموهوبين، الذين جاء آباؤهم أو حتى أجدادهم إلى ألمانيا، لكي ينضموا إلى الفريق القومي الألماني، وتفضيل هؤلاء للاستمرار كأعضاء في الفريق القومي لتركيا، يبين بصورة مؤلمة للغاية، أن التعايش المشترك لم يتحقق حتى الآن بصورة صحيحة.

وهناك مثال آخر يتعلق بمسألة الحق الدستوري في الحصول على حصص في التربية الإسلامية، والتي مازالت أمام القضاء منذ عشرين عامًا، أي منذ تأسيس المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا

تقريبًا، ورغم التصريحات الكثيرة للسياسيين فيما يتعلق بالاندماج، ولكن حين يصل الأمر إلى حيز التنفيذ الفعلي، فإن الأموال لا تكون متوفرة، حتى إنه جرى خفض النفقات على تعليم اللغة الألمانية، وقد سررنا بالكلمات الصادرة عن الحكومة الجديدة، والتي تبعث على الأمل، والتي تشكل إشارات هامة لخلق الثقة، ولكن المسلمين يريدون أن يكون السبيل إلى إقناعهم عن طريق البرامج التي جرى تطبيقها فعليًا.

إن سن القوانين الأمنية التي تزداد تشددًا يومًا بعد يوم، وقوانين حظر الحجاب الإسلامي، والأسئلة المفروضة على المسلمين الراغبين في التجنس، كل هذه الإجراءات لا يمكن أن تحل محل سياسة عقلانية في التعامل مع الإسلام ومع الاندماج. بل على العكس من ذلك فهي تؤدي إلى تعميق الهوة بين الجانبين، وتحطيم الثقة والوثاق الذي يربط بين أطراف المجتمع المتماسك، بل ويهدد بتحطيم كل ذلك.

إن الفرصة كبيرة أن يتمكن التحالف الحكومي



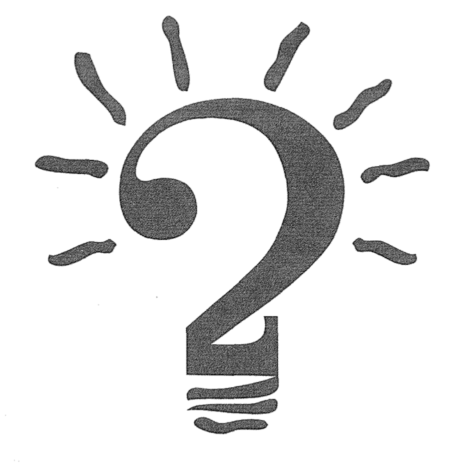
بين أكبر حزبين في ألمانيا، وهما الحزب المسيحي الديمقراطي، بزعامة المستشارة أنجلا ميركل، والحزب الاشتراكي الديمقراطي، من علاج هذه القضية الساخنة، وإذا كان هذا التحالف جادًا في مسألة اندماج المسلمين، فيجب الآن وضع اقتراحات بناءة على طاولة البحث، عن كيفية استيعاب المسلمين وممثليهم في هيئات المجتمع والدولة.

وإني آمل من أعماقي ألا تضيع الحكومة الألمانية هذه الفرصة الفردية باستهتار، وإذا توافرت الإرادة السياسية لمثل هذه الخطوة، والتي أعترف أنها خطوة في أفق جديد، فإنني على يقين، أنه يمكن عندئذ جمع كل الفعالين في الساحة الإسلامية، الذين يستندون إلى أرضية دستورنا الألماني، وينشطون على أساسه، على طاولة واحدة، لحل كل المسائل العالقة، وعلى رأسها الاعتراف بطرف يمثل المسلمين في الحوار مع الدولة، والاتحادات الإسلامية مستعدة للقيام بذلك منذ زمن، علمًا بأنه لا بديل للحوار.

ضرورة علاج القصور في الهياكل الإسلامية

إلا أن هناك أسبابًا إضافية تكمن في داخل هياكل الجمعيات المشرفة على المساجد اليوم، التي هي أساس الجالية الإسلامية، وصحيح أنها ليست كلها من صنع هذه الجالية، فهناك الأحكام المسبقة، وهناك الإسلاموفوبيا، وهناك نقص حسن النية لدى السياسيين، مما يعوق هذه العملية بشدة، وفي كثير من الأحوال يتعلق الأمر بهيمنة الجيل الأول من المهاجرين على الاتحادات والتجمعات الإسلامية، ورغم ما لهذا الجيل الأول من فضل كبير، قدمه في مرحلة تأسيس هذه الجالية الإسلامية، فهم من بنى المساجد، التي تحولت اليوم إلى البنية التحتية الإسلامية، رغم أنهم كانوا في الوقت ذاته يمارسون أعمالهم أو يواصلون دراستهم، وكونوا الأسر المسلمة، ولكنهم ورغم مرور السنين، لم يتيحوا الفرص الكافية للشباب الصاعد الذي يتدفق قوة، ليأخذوا مكانهم، ويضطر الجيل الجديد الناجح في حياته الوظيفية، إلى الوقوف مكتوف الأيدي، ويواجه صعوبات في ممارسة حقه في اتخاذ القرار في داخل جماعته المسلمة.

إن عملية تجديد الخلايا في كافة أوصال التجمعات الإسلامية، والتي أصبحت تمثل ضرورة ملحة، ستتم قريبًا وعلى نطاق واسع، بإذن الله. ■





كيف نرى الألمان؟ وكيف يرون أنفسهم؟

أسامة إبراهيم - ألمانيا

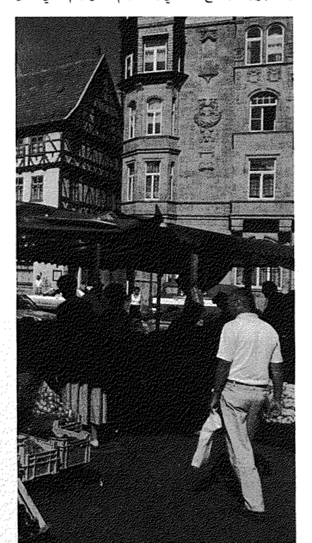
نميل نحن العرب إلى المبالغة، فنرى الألمان شعبًا عظيمًا، فريدًا في قدراته، صاحب معجزة بناء دولة على أنقاض الحرب العالمية الثانية، أزال الدمار، وبنى مكانه مصانع مرسيدس، التي ترمز للتفوق والتميز. نرى في الألمان شعبًا غير شعوب الأرض، لا نتصور أن يأتي شخص من الهند ليعلم الألمان تقنية الكمبيوتر، ولا يدور بمخيلتنا أن الدالا لاما الزعيم الروحي لإقليم التبت الصيني، يحظى بمكانة تفوق كل الأوربيين عندهم، فمن هو هذا الشعب؟

العرب والألمان

حينما أجلس مع أصدقائي العرب، بعيدًا عن أعين الألمان، أسمع أن هذا الشعب عنصري، يكره الأجانب، وأنه يعتبر كل مسلم إرهابيًا، وأن العرب هم ألد أعدائه، والويل ثم الويل لو تطرق الحديث إلى علاقة الألمان باليهود، فتجد البعض يرفض رفضًا تامًا أن يقبل بحدوث المحرقة، (الهولوكوست)، ويعتبرها الكارت الذي ترفعه إسرائيل حينما يلوح في الأفق أي دعم للحقوق الفلسطينية، ثم تسمع القائمة الطويلة التي تبدأ بالمئة مليار مارك التي دفعتها ألمانيا لإسرائيل كتعويضات عن الحرب العالمية الثانية، إلى تزويد ألمانيا إسرائيل في آخر يوم حكم للمستشار السابق جيرهارد شرويدر، بغواصات (دولفين) القادرة على إطلاق صواريخ نووية تصل إلى كل السواحل العربية تقريبًا، والإشارة إلى تصريحات السياسيين الألمان بأن برلين هي المحامي المدافع عن المصالح الإسرائيلية داخل الاتحاد الأوروبي، وترحيب ألمانيا باستقبال الآلاف بل الملايين من المهاجرين اليهود، واعتبارهم إثراء للحياة الثقافية والاجتماعية في ألمانيا، على عكس المهاجرين العرب، الذين يرى الألمان فيهم وبالًا عليهم، ويتمنون أن تنشق الأرض وتبتلعهم، بمشاكلهم ومساجدهم، ونسائهم المرتديات الحجاب، وأطفالهم الذين يعوقون تقدم العملية التعليمية في المدارس الألمانية.

ولكن إذا دقق المرء في حياة الكثير من هؤلاء العرب، يجدهم جاؤوا إلى هؤلاء الألمان بمحض إرادتهم، بحثًا عن المساعدات الاجتماعية السخية، فإذا كانت الدولة الألمانية تستدر عطف الألمان لكي ينجبوا الأطفال، وتعطيهم الأموال مقابل

ذلك. فإن بعض العرب قد جعلوا هذه المهمة أي إنجاب الأطفال، هي وظيفتهم الأساسية، فالدولة تدفع للعاطل عن العمل، إيجار المنزل، ونفقات التأمين الصحي، وبدل تربية أطفال، وتمول شراء الأثاث، والأجهزة الكهربائية، وتعطيه اشتراكًا مجانيًا في المواصلات، وتخفيضات على أسعار دخول حمامات السباحة، وتمول الدراسة التي تؤهل هذا الشخص ليرفع من كفاءته، وهو الأمر الذي يعرفه الكثيرون من العرب الذين يقيمون في ألمانيا. فبرعوا في استنزاف خزائن هذه الدولة، في الوقت الذي يقومون فيه بتجارة السيارات في الخفاء، شراء وبيعًا نقدًا، وبدون ضرائب، والربح يدخل الجيب، دون أي خصومات، ثم بعد كل ذلك يطالبون المجتمع الألماني بمنحهم حقوقهم التي نص



عليها الدستور الألماني، كاملة غير منقوصة. لكنهم يتعامون عن كل الواجبات الملقاة على عواتقهم.

طبعًا ليس كل العرب هنا من هذا النوع الطفيلي، ولكن قلة منهم كافية لتدمير العلاقة الطيبة بين الشعبين، وهم للأسف ليسوا قلة، فرغم مرور السنوات على قدومهم من بلادهم، ورغم حصولهم على الجنسية الألمانية، يقول أحدهم بمنتهى التبجح إذا استنكرت عليه عدم دفع الضرائب، يقول لك:«هل تريد مني أن أعطي أموالي للكفار؟»، لكني لم أسمع أبدًا من يقول لي:«أنا لا أقبل الأموال من الكفار».

قال لي صبي عربي إن والده يبصق على الأرض كلما مر أمام كنيسة، فيفعل مثله، وسألني تلميذ آخر في وجود أمه، وبمنتهى الجدية، إذا كنت يهوديًا، لأني أقوم بتدريس اللغة الألمانية، فاعتذرت الأم بشدة، وأقسمت أنها لم تعلمه هذا القول أبدًا، بل هو صاحب الاستنتاج بمفرده.

الألمان شعب حزين

الألمان شعب يعشق الشكوى، فهو يشعر بالحسرة على الماضي، فالضرائب الباهظة تقصم ظهورهم، أذ أن الموظف في ألمانيا يدفع حوالي ٤٠٪ كضرائب، وتأمينات اجتماعية، مما يجعلهم يعاقبون من يثبت خداعه لسلطات الضرائب، بالسجن لسنوات طويلة، لأنه يسرق الشعب الكادح. والألمان متضجرون من زيادة عدد ساعات العمل التي بلغت حاليًا ٤١ ساعة أسبوعيًا، فكل موظف يبدأ في الثامنة صباحًا، ويبقى في عمله حتى الخامسة مساء، مع وجود ساعة استراحة في منتصف اليوم، وليس هناك استئذان للذهاب إلى الطبيب أو بسبب ولادة الزوجة، أو بسبب التأخر في العودة من العطلة الصيفية، أو غير ذلك، وليس من المعتاد أو يقوم الموظف بالدردشة مع زميله، في حين يقف المراجع على استحياء حتى ينتهيا من الدردشة، ولكن قلوب الألمان تنفطر أسى على تراجع الرواتب، فإذا كان راتب السكرتيرة في الماضي حوالي ٢٥٠٠ يورو، فقد أصبح عاديًا أن

تحصل الآن على ١٥٠٠ يورو فقط.

والألمان يعشقون الشكوى من السياسيين الذين يقررون في كل سنة سن القوانين التي تزيد رواتبهم بمعدلات تفوق بقية فئات الشعب، ويصدرون الإعفاءات الكثيرة لمداخيلهم من الأعمال الجانبية، ويحصلون على معاش مبكر باهظ جدًا. ويتناسى الألمان أن الأصل في السياسي أن يكون غنيًا عن الحاجة إلى الرشوة.

ويبرر الكثيرون من الألمان هذا الشعور بالاكتئاب الذي يكاد يرافقهم طوال حياتهم، بغياب الشمس من سمائهم الملبدة دومًا بالغمام، ليس ذلك فحسب، بل تراهم يحسدون الناس الذين يعيشون تحت سماء مشرقة، حتى لو كان فقرهم مدقعًا، ومساكنهم لا تصلح للاستخدام الآدمي، ويبررون هذا الحقد بأن الناس هناك تضحك كثيرًا، وتبتسم بمناسبة أو بدون مناسبة. لكن هناك شعوبًا تعيش في طقس أشد غيومًا، مثل الدنمارك، التي يعتبر شعبها شعبًا مقبلاً على الحياة، يحب المرح والفكاهة، بغض النظر عن حدود اللياقة في هذا المرح، مثلما حدث مع الكاريكاتير السيئ السمعة.

وحينما يسعى بعض الألمان إلى فلسفة هذا الحزن، يقولون إنهم شعب عميق الفكر، كثير التأمل في حال العالم، يحملون هموم الكرة الأرضية فوق رؤوسهم، ولذلك فهم رواد العالم في مجال حماية البيئة، واستخدام مصادر الطاقة البديلة، الأقل نفايات، حتى لو كانت أكثر كلفة.

لكن المخرج الألماني فولكر شلوندورف، ينبه الألمان إلى ضرورة إطلاق الاسم الصحيح على مشاعرهم، فهم ليسوا عباقرة، حتى لو شهدت لهم جامعة ألستر في أيرلندا الشمالية، بأن معدلات ذكائهم هي الأعلى على مستوى أوروبا بأسرها، بل يراهم شلوندورف «متضجرين، فاقدي الرغبة في القيام بأي شيء، يريحون عقولهم كثيرًا، ولا يمكن إثارة حماسهم لأي نشاط، ومحدودي الأفق في كافة المجالات»، ويطالب المخرج الألماني مواطنيه بالعمل على تغير طباعهم، ويرى أن ذلك ممكن جدًا،

حينما يسعى بعض الألمان إلى فلسفة هذا الحزن ، يقولون إنهم شعب عميق الفكر ، كثير التأمل في حال العالم ، يحملون هموم الكرة الأرضية فوق رؤوسهم ، ولذلك فهم رواد العالم في مجال حماية البيئة ، واستخدام مصادر الطاقة البديلة ، الأقل نفايات ، حتى لو كانت أكثر كلفة

ويعطي شعبه مهلة ١٥٠ عامًا لإصلاح أنفسهم.

ويتهم الكاتب الألماني اليهودي زيليشمان شعبه، بأن فيه «هتلرية» تسكن في صدر كل منهم، وهو اتهام ظالم، يحرص بعض الكتاب من آن لآخر لإيقاظه في النفوس، حتى لا ينسونه، كما فعل آخر من نفس صنفه، حين زعم أن الشعب الألماني لم يشارك في الجرائم النازية لأنه كان مرغمًا على ذلك، بل فعل ذلك طواعية، وعن طيب خاطر.

متناقضات بلا آخر

بقي الألمان سنوات تلو سنوات يعتبرون الاعتزاز بالوطن عارًا لا يجب أن يتصفوا به، لأن هذا الفخر بالوطن، يعني بطريقة أو بأخرى تأييدهم الفكر العنصري النازي، الآري، الذي يقسم الشعوب حسب درجة ارتقائها، ولكنهم أصبحوا الآن يقبلون على استحياء أن يكون الإنسان ديمقراطيًا، ووطنيًا في الوقت ذاته.

أما الصفات المعروفة عن الألمان من الاجتهاد، والدقة المطلقة، والشعور بالمسؤولية، والرغبة في القيام بكل ما هو مطلوب منهم، وبصورة لا يتفوق عليهم فيما أحد، والنزاهة، فقد أصبح البعض يرى فيها سببًا يدفع الألمان لمطالبة أنفسهم بما لا قبل

لهم به، فيفشلوا ويشعروا بالقصور دومًا، وبتأنيب الذات. أو أن هذه الصفات من رواسب العهد النازي الذي ترك فيهم الروح العسكرية، نعم العسكرية بمعناها الواسع، فالحياة معركة، وكل شخص ألماني هو جندي، ومهمته في الحياة هي الانتصار، وكل ما يقف عقبة أمامه لابد من إزالته، وبأي طريقة. وأن الألمان تعودوا استقبال الأوامر وتنفيذها حرفيًا، ثم التظلم بعد ذلك، وغالبًا ما لا يكون هناك بعد ذلك، فبعد الهزيمة ليس هناك وجود، وبعد الانتصار نشوة تنسيك ما كنت تريد الشكوى منهم. ومن الطريف أن أحد أكبر الأدباء الألمان، وهو فريدريش شيللر، قد قال:«الشجاعة من خصال المماليك، أما الطاعة فهي زينة المسيحي». ولعل ألمان اليوم يفكرون بأسلوب مختلف، لكن داخل كل واحد منهم شرطي، وقاض، وسجان. فإذا أنت مثلاً اصطدمت بطرف سيارتك ببلاستيك مقدمة سيارة أخرى، ثم رأيت أن هذه اللمسة الرقيقة لم تترك أي أثر، وأنه بمقدورك أن تمشي، فتأكد ثم تأكد، أن وراء كل شباك، وخلف كل شجرة، وداخل كل سيارة عيون تراقبك، وتنتظر أن تراك تفكر في الانصراف قبل استدعاء الشرطة، وتسليم نفسك طواعية، وأن تعترف بجرمك، وتسلمهم حبل المشنقة، ليعلقوك فيها، لأن من ينصرف دون إبلاغ الشرطة، يعتبر «هارب من موقع الجريمة» والعواقب عندها وخيمة.

وأنا والله لا أنسى زيارة صديق كويتي وابنته وصديقتها التونسية، إلى ألمانيا، حين أردت أن أوضح لهم كم هي بديعة ألمانيا، فسافرت معهم إلى مدينة كولونيا، وفي الطريق وجدت رجلاً أنيقًا جدًا، لا يقل عمره عن السبعين، يقف أمامي في وسط الطريق، وينظر باستعلاء، ويقول لي بوقاحة بالغة:«ابتعد عن طريقي»، فلم أصدق أذني، وسألته ما يعني من هذه الجملة، فقال ببرود وثقة بالغة بالذات:«أنا أمشي في خط مستقيم، كالقطار، فإما أن تذهب من أمامي، وإلا صدمك القطار، وأفقدك رشدك، وداس عليك، ولم يترك منك عضوًا في مكانه»، أصابني الذهول، وقلت له:«هل أنت ثمل؟»، فارتفع صوته بحدة، «أيها الإنسان الغير آري، لن أسمح لمثلك أن يقف أمامي أو أن يدوس على ظلي».

انصرف ضيوفي، وهم لا يفهمون حرفًا واحدًا مما يسمعون، وأنا أود لو صفعته بعنف، فقلت له:«أيها الجد العجوز، عد إلى فراشك، وتناول مهدئاتك، فقد مات هتلر، انتحر مع كلبه، أم ترى أن الكلب لم يتناول الجرعة الكافية من السم، وأصبح يسير في طرقات المدينة، وينهر البشر، متناسيًا أن أنيابه قد سقطت.» مد الرجل العجوز يده مصافحًا، وقال لي: «كنت أتمنى أن ترى وجهك طوال الحديث، كنت عظيمًا في أداء دورك. هل يمكن أن أدعوك لكأس من البيرة؟»، انصرفت عنه، وحتى اليوم لست واثقًا من أنه كان يمزح، لأنه كان يقطر مرارة مع كل جملة، ولسان حاله يقول:«آه يا زمن، صار الأفارقة والعرب، يحملون الجنسية التي أحملها، وأصبحوا يتكلمون هذه اللغة النبيلة».

الاختبار الكبير

بعد أن تولى الحزب المسيحي الديموقراطي المحافظ مقاليد الحكم في ألمانيا، رأى أن السياسة التي كان الحزب الاشتراكي الديمقراطي، وحزب الخضر ينتهجانها، والتي كانت متساهلة للغاية في منح الجنسية، يجب أن تتغير، وأن يصبح الحصول على الجنسية آخر الطريق، وليس بداية الاندماج في هذا المجتمع.

ولأن الألمان شعب دقيق، فإن شروط الحصول على الجنسية، لم تعد تقتصر على عدد السنوات التي أقام فيها الشخص إقامة مستمرة في ألمانيا، ولا مدى التزامه بدفع الضرائب، ولا رأي الأجهزة الأمنية في حسن سيره وسلوكه، بل أصبحت هناك قائمة لا أول لها ولا آخر.

لا يكفي أن تكون قادرًا على الحديث باللغة الألمانية، بل لابد من إتقانها، بحيث تكون قادرًا على الصياغة الصحيحة لأفكارك، وعلى فهم ما يقال لك، في قضايا معقدة نسبيًا. واقترح وزير

كان أسطورة خيالية؟
- اشرح معنى (حق إسرائيل في الوجود).
- ما رأيك في القول بأنه ليس من حق المرأة أن تخرج إلى الطريق دون مرافق من المحارم لها؟
- اشرح مصطلح (حرية العقيدة).
- ما الوسائل القانونية للتعبير عن شعورك بأن أحد الأفلام أو المسرحيات أو الكتب قد جرح مشاعرك الدينية؟
- ما الطرق المسموح للأهل اللجوء إليها في تربية أبنائهم؟
- ما الوسائل المتاحة للوالدين للتعبير عن عدم رضاهم عن صديق ابنتهم أو صديقة ابنهم؟
وهناك نوع ثالث من الأسئلة، يمكن تسميتها بالتعقيدية، من نوع:
- ما اسم الطبيب الألماني الذي اكتشف مسببات مرض الكوليرا ومرض السل؟
- ما الإنجاز الذي تحقق لأول مرة على يد عالم الفيزياء الألماني أوتو هان عام ١٩٣٨؟
- في أي دور السينما الألمانية بدأ عرض فيلم (معجزة برن) في عام ٢٠٠٤؟
- بأي كلمات يبدأ السلام الوطني في ألمانيا؟
- رسم الفنان الألماني الشهير كاسبار ديفيد فريدريش في واحدة من أهم لوحاته الطبيعة في جزيرة روجن الواقعة في بحر الشمال، فماذا يوجد في هذه اللوحة؟

ولكن للصدق، هناك الكثيرون من السياسيين الذين اعترضوا على هذا الاختبار القاسي، واعتبروه غير قابل للنقاش، خاصة أن كاميرات التلفزيونات الألمانية انتقلت بين المدن، وطرحت هذه الأسئلة على المواطنين الألمان أبًا عن جدًا، وكانت الإجابات مثيرة للضحك، حتى طالب البعض بإسقاط الجنسية عن الألمان.

وربما كان هذا بالضبط هو الحل، يصبح ملايين الأتراك ألمانًا، ويحلون مشكلة انقراض الألمان، لكثرة إنجابهم، ويصبح الألمان أتراكًا، وعندها يصبح انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي أمرًا بديهيًا.■

داخلية ولاية هسن ١٠٠ سؤال، لاختبار مدى انتماء الشخص الراغب في الحصول على الجنسية الألمانية لهذا المجتمع، وهذه الثقافة.

من بين هذه الأسئلة ما هو منطقي، ينبغي معرفة الإجابة عنه، مثل عدد الولايات الألمانية، أو ذكر ثلاث دول مجاورة لألمانيا، أو المعلومات الأساسية عن التاريخ الألماني.

وهناك نوع آخر من الأسئلة أترك للقارئ اللبيب أن يفهم المقصود منها:
- اشرح مصطلح (الهولوكوست) -أي المحرقة الجماعية لليهود على يد الحكم النازي-؟
- ماذا تقول للشخص الذي يزعم أن الهولوكوست

كيف نرى الألمان؟ وكيف يرون أنفسهم؟

المملكة العربية السعودية في عيون الألمان

ميشائيل موترايش - ألمانيا



لا تزال المملكة العربية السعودية في نظر الكثير من الألمان بلدًا مجهولًا وأكثر غرابة من دول الشرق الأقصى مثل اليابان والصين. مع أن هذا البلد يعتبر أقرب من الناحية الجغرافية، فهو يبعد عن أوروبا مسافة صغيرة، فهو على مسافة «مرمى البصر» من أوروبا مقارنة بالمسافة بين أوروبا وأمريكا ودول شرق آسيا.

فرحلة الطيران المباشر من مدينة فرانكفورت إلى مدينة الرياض تستغرق حوالي خمس ساعات ونصف فقط. ومن الممكن أن يكون مرد هذه الغرابة إلى أن المملكة العربية السعودية لا تزال بلدًا غير مهيأ بعد للسياحة. فالبلد الذي نادرًا ما يسافر الناس إليه لن يكون بمقدورهم أن يتعرفوا عليه وعلى عادات سكانه وتقاليدهم. ومن ناحية أخرى فإنه لا يعيش كثير من السعوديين في ألمانيا مقارنة بأعداد الجنسيات الأخرى، إذ إن عدد المقيمين من السعوديين في ألمانيا هو ٩٩٥ شخصًا فقط. ولأن عددهم قليل فمن الصعب عليهم أن يقوموا بالدعاية لبلدهم وأن يتمكنوا من تقريب ثقافتهم للطبقات العريضة من الشعب الألماني.

وعلى الرغم من أنه توجد في السعودية العديد من المزارات السياحية التي تستحق الزيارة مثل مدائن صالح أو المدن الواقعة في الجنوب وفي نجران، وهي الأماكن التي لا تزال محتفظة بطابعها الأصلي، فإن هذه الأماكن غير معروفة عادة للألمان. كما أن الشواطئ الرائعة في مدينة جدة أو في مدينة الدمام أو في الخبر لم تجتذب حتى الآن السائحين الغربيين، وذلك لأنه لا توجد تجهيزات مناسبة تتفق مع التصورات الأوروبية عن الشواطئ أو أن هذه الشواطئ غير معروفة لهم. ويضاف إلى ذلك أن الألمان عندما يسمعون كلمة «المملكة العربية السعودية» فغالبًا ما سيخطر على بالهم تلك «التعليمات الأخلاقية المتشددة السائدة فيها»، كما سيخطر على بالهم بأن كل شيء من الممكن أن يسعد السياح الغربيين ممنوع هناك من حيث المبدأ. وهكذا لا يريد السائح الألماني العادي أن يتخلى في فترة إجازته عن شرب البيرة هناك. كما أن المرأة الألمانية تريد أن تتمكن من التحرك بحرية في فترة إجازتها دون أن يتوجب عليها أن تستتر بإحدى العباءات.

ويمكننا باختصار أن نقول: إن تصور السعودية أنها عبارة عن صحراء وحقول بترول ورجال متشددين يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «مطوعين» هي التي تحدد صورة المملكة العربية السعودية في أذهان كثير من الألمان.

أما إذا تحدثنا عن الصورة النمطية للإنسان السعودي في أذهان معظم الألمان فإننا سنجد أنها

متمثلة في أن الإنسان السعودي هو شخص ثري جدًا وذلك بسبب مخزون النفط السعودي الذي لا ينضب تقريبًا، وأن هذا الشخص يكون غالبًا متزوجًا بأكثر من امرأة، وأنه متمسك بشكل متشدد جدًا بتقاليد وعادات بلاده.

لقد انطبعت في ذاكرة الشعب الألماني صورة هذا السيد العربي الثري جدًا والقادم من الخليج العربي والذي يرتدي جلبابًا أبيض ويسير بسيارة ليموزين فارهة بتمهل في شوارع المدينة ويشتري أي شيء وكل شيء يعجبه. كما أن هذا السيد العربي رجل كريم جدًا يقوم بإهداء الهدايا الغالية لمن يقومون على خدمته. كما انطبعت أيضًا في ذاكرة الألمان صورة النساء المتشحات بالعباءات السوداء والمحجبات بشكل كامل، واللاتي كن يسرعن الخطى خلف أحد هؤلاء السادة بثوبه المميز. وغالبًا ما كانت تثير هذه الصورة التعجب من قبل الألمان ولكن هذه الصورة أيضًا كانت تصطدم بعدم الفهم أو الرفض. آنذاك لم يكن موضوع تحرر المرأة وحقوقها من الموضوعات المثارة بقوة وبنفس الحدة مثل ما هو عليه الحال اليوم. إذًا فقد كانت الصورة من حيث المبدأ إيجابية. صحيح أن الناس كانوا ينظرون بشيء من الحسد لكل هذا الثراء إلا أنهم كانوا يحملون أيضًا قدرًا من التعاطف والتقدير للسعوديين.

إن هذه الصورة عن المليونير العربي بسبب النفط والذي يستطيع أن يشتري كل شيء لا تزال من حيث المبدأ هي الصورة النمطية الباقية عند الألمان عن العرب الذين يأتون من دول الخليج العربي. ولكن بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بالذات بدأت تظهر في وعي الألمان صورة نمطية ثانية لم تكن تحتل من قبل مكان الصدارة وهي على أية حال صورة سلبية عن السعوديين بالذات، وهي صورة العربي المتعصب دينيًا. وإذا كانت السعودية معروفة على الدوام بتدينها الشديد وبتفسيرها (المتشدد) للدين، فإنها تظهر اليوم في ألمانيا بهذا التصور الذي يعبر عن التدين

أتمنى أن تحافظ على هويتها وتستمر في تقدمها

يسألني الكثيرون من بني جلدتي عما تعنيه لي المملكة العربية السعودية، فأرد عليهم بأني أشعر بالزهو لأنه يحق لي أن أقول أني وهبت نفسي لخدمة مصالح هذه الدولة المليئة بالألغاز وبالجمال الساحر في الوقت ذاته، ورغم مرور سبعة عشر عامًا على بدء علاقتي بهذه الدولة، فإن افتتاني بالمملكة وأهلها لم يخفت ولو ذرة واحدة، بل على العكس كلما مرت السنون زاد هذا الافتتان، ربما من خلال أو على الأصح بسبب المزاعم والصور المتناقضة والمبتسرة التي تنشرها وسائل الإعلام الغربية عن المملكة، وأقولها بوضوح: إنني أرفض اختزال صورة هذا البلد العظيم في (البترودولارات) والتشدد الإسلامي.

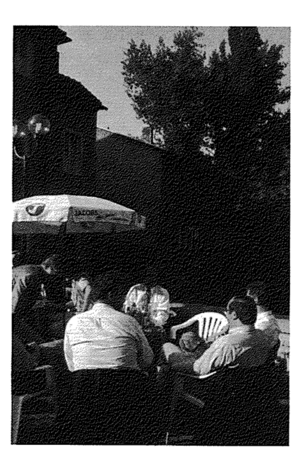
أندريا بيلنجهاوزن * - ألمانيا

نقطة بعد نقطة

دعوني أسترد أنفاسي، وأنظم أفكاري، وأحدثكم عن نقطة وراء أخرى، عندما بدأت في عام ١٩٨٩م العمل في السفارة السعودية في العاصمة الألمانية السابقة بون، بدأت في التعرف على المملكة العربية السعودية، وعلى الأشخاص الذين جاؤوا من بلادهم ليقوموا بالتمثيل الدبلوماسي لها، ومنذ اللحظة الأولى اخترت لنفسي أن أكون ترسًا صغيرًا في هياكل تتوافق فيها الدبلوماسية مع العلاقات العامة، كوسيطة بين الناس والشخصيات والثقافات لكل من ألمانيا والمملكة.

بمجرد أن كانت قدماي تطأ أرض السفارة، كنت أشعر بأني أغوص في دولة أخرى، وكانت هناك مواجهة يومية مع نمط مختلف من الحياة، مع دين آخر، وهياكل

* سيدة أعمال ألمانية



المتشدد بصورة كبيرة، وذلك عندما يدور الحديث عن المملكة العربية السعودية.

لقد كانت مفاجأة إن لم تكن صدمة بالنسبة للعالم الغربي ومن بينها أيضًا ألمانيا وفي أوساط عديدة من الشعب الألماني أن يكون العدد الأكبر من الإرهابيين المتورطين في أحداث الحادي عشر من سبتمبر هم من الشباب السعودي. وهذا الأمر لم يكن يتوقعه أحد. وقد نشر البرنامج التليفزيوني الألماني «مرآة العالم» في صفحته الإخبارية على الإنترنت تحت عنوان «الآباء يتكلمون بصراحة عن أبنائهم قائدي طيارات الموت» ما يلي: إنهم جميعًا تقريبًا من السعودية. فقد كان من بين التسعة عشر المنفذين لعمليات الحادي عشر من سبتمبر خمسة عشر من الشباب السعودي. ولكن: من هم هؤلاء الشباب السعودي الذي قام بهذه العمليات؟ لم يستطع أي فريق تليفزيوني أجنبي من الحصول على إذن بالسفر للسعودية لكي يجيب عن هذا السؤال بنفسه. وقد

اجتماعية مغايرة، كانت كلها تعطيني دفعة داخلية وراء الأخرى، أن أعيد التفكير ليس في المملكة والعالم العربي فحسب، بل للنظر من جديد في أسلوب حياتي، وفي بلدي ألمانيا.

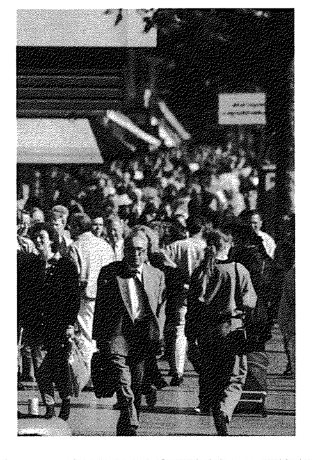
إنني أدين بالكثير لهذه السنوات التي قضيتها في السفارة، وطبعًا للأشخاص الذين كنت أحتك بهم هناك يومًا وراء يوم، وعلى رأس هؤلاء الأشخاص كان رئيسي ومرشدي المغفور له سعادة السفير الأستاذ عباس بن فائق غزاوي - رحمه الله- وأسكنه فسيح جناته- فقد تعلمت منهم أن لكل مسألة أوجهًا عديدة لرؤيتها، كما تعلمت المزيد من التفهم للآخرين، والتأني في الحكم عليهم، وأصبحت هذه الرؤية المتعددة الآفاق منهاج حياتي، والمحرك الذي يدير عجلة التبادل الثقافي والديني والاقتصادي، وقبل كل ذلك الوثاق المتين للعلاقات بين الناس مهما تباعدت بلدانهم واختلفت ثقافاتهم ومعاييرهم.

دقات القلب لا تعرف اللغات

ما زلت أذكر فترة اندلاع حرب الخليج الأولى، حيث كنا نشعر بالمخاطر والتوتر وبالمشاركة الوجدانية لأهل المملكة المقيمين هناك، وفجأة أصبحت المسافة الفاصلة بين بون وموقع الأحداث، والبالغة ٦٠٠٠ كيلو متر، لا وجود لها في الواقع، لقد كانت قلوبنا تدق مع قلوب الناس المقيمين في المملكة، وكانت ألسنتنا تلهج بالدعاء لهم، وبأن تنتهي الحرب هناك اليوم قبل الغد. وتعلمت أيضًا أنه من المهم بمكان إدراك، أنه وراء جدران السياسة، فإن الإنسان أينما كان لا يرى في موقع الحدث، إلا الإنسان مثله، حتى يمكن التوصل إلى تعايش مشترك يهيمن عليه الوئام والانسجام. وأدركت أيضًا أنه بدون الاستعداد لقبول الغريب كما هو بكل ما فيه من اختلاف عنا، والانفتاح المتزايد على الأشخاص الغرباء عنا، فإن الحياة المشتركة لن تكون ممكنة.

أهل المملكة وأنا

طوال كل هذه السنوات منحني السعوديون، ومازالوا يمنحونني مرة وراء مرة الكثير من الثقة والمودة وأسمى معاني الإنسانية، ودائمًا تكون هذه المشاعر مقرونة بالاحترام، ومع الحفاظ على بعض المسافة الفاصلة بيننا، التي توضح أننا مازلنا مختلفين عن بعضنا البعض، وصحيح أن الصداقات طويلة الأمد قليلة،



حصل فقط مراسلو القناة التليفزيونية MBC على الإذن بالسفر من قبل الحكومة السعودية بالتوجه لأسر هؤلاء الشباب، وتصوير أماكن مسقط رأس خاطفي الطائرات (انظر مجلة مرآة العالم بتاريخ ١/٩/٢٠٠٢م).

السعوديون في ألمانيا ومشكلة أكاديمية الملك فهد

إن السعوديين في ألمانيا لم يلفتوا الانتباه لهم، وذلك لقلة عددهم في ألمانيا. حتى هؤلاء القليلون يتصرفون عادة بطريقة لا تلفت الانتباه لهم. ولكنهم للأسف بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر كان عليهم أن يعايشوا بأنفسهم المزاج العام للألمان والمناهض للمملكة العربية السعودية كبلد قد أتى منها معظم الإرهابيين. فعلى سبيل المثال لم يرد أحد من الألمان أن يؤجر للسعوديين بنفس راضية أي مسكن. وبدأ الألمان يتجنبون الاحتكاك بهم، لأن الناس كانت ترى فيهم أنهم

ولذلك فإنني أقدرها للغاية.

ورغم طول معرفتي بالملكة، إلا أن زيارتي الأولى لها جرت قبل عامين فقط، وأقولها بحق إنني شعرت براحة لا توصف، لقد لقيت من كل من التقيت بهم، حفاوة بالغة، واهتمامًا فائقًا بتبادل الآراء معي.

إن المملكة فائقة الحسن، بكل ما فيها من تنوع وثراء في طبيعتها البديعة، ونموها العمراني، فأنا حين أزور دولة ما، أحب أن أستشعرها وأتعرف عليها بكل حواسي، أحب أن أشم وأذوق وأسمع وأرى كل ما حولي، والسعودية دولة تفتح عوالم لا نهاية لها لهذه الحواس، وكل ما في المملكة من ألوان وروائح ومذاق تلو المذاق، كلها كانت مثار إعجابي، لقد شعرت بالاحترام تجاه التقاليد السائدة هناك فيما يتعلق بالملابس وكيفية التصرف، وقضيت وقتًا لا ينسى هناك، وكم آمل وأتمنى ألا تكون هذه زيارتي الأخيرة إلى المملكة.

قومي الألمان وأنا

ربما يتساءل البعض في ألمانيا:هل هذه المرأة عمياء؟ هل تنظر للواقع بمنظار غير واقعي؟ ربما! ولكنني على ثقة كبيرة، بأن السعودية ستشق طريقها الخاص بين عالم التقاليد وبين واقع القرن الحادي والعشرين. ودعونا نستذكر أن النساء في الغرب كن إلى عهد ليس ببعيد في حاجة للحصول على موافقة الزوج، لخوض مجال العمل. ودعونا نتساءل عما تحقق مما يعرف باسم إنجازات تحرر المرأة، وعما إذا كانت هذه الحركة قد حققت نتائجها المرجوة. إن السيدات والعائلات التي تعرفت عليها في المملكة، بدت لي في غاية الرضا والسعادة، يشعرن بالسكينة في كنف العائلة، وفي الأسر الكبيرة ينمو الأطفال ويترعرعون في مناخ يوفر لهم الحماية والمودة، ولا تشكل رعاية الأطفال أي مشكلة هناك.

وحينما أقارن ذلك بوضعي الشخصي، وأوضاع الكثيرات من صديقاتي في ألمانيا، أجد في المملكة شعورًا بالتوازن النسبي في دور المرأة، على عكس وضعي المتمثل في التأرجح المستمر والمضني بين أدوار الأم وسيدة البيت والزوجة والموظفة، لأن كل واحد من هذه الأدوار له مطالبه الكثيرة. إن حرية المرأة التي يتشدق بها الكثيرون في ألمانيا والعالم الغربي عامة، تواجه حواجز تفرضها المشاعر أو الأوضاع المادية، فمثلًا تكليف شخص غريب

إرهابيون أو من الممكن تحولهم لإرهابيين إلى آخر هذه الأمور. ولكن هذا الجو السلبي قد هدأ مرة أخرى - والحمد لله - بعد فترة قصيرة من أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

إلا أنه يوجد ومنذ خريف عام ٢٠٠٣م بعض القلاقل بسبب أكاديمية الملك فهد الكائنة بمنطقة بون لانيس دورف، والتي تم افتتاحها في عام ١٩٩٥م، لتكون مدرسة سعودية في ألمانيا. وفي هذه الأكاديمية يتلقى أبناء الدبلوماسيين السعوديين وأيضًا أطفال عرب ومسلمين ينتمون لجنسيات أخرى تعليمهم الذي يتماشى مع تصوراتهم.

ومنذ أن عُرف بأنه قد نودي في مسجد أكاديمية الملك فهد أثناء خطبة الجمعة «بالحرب المقدسة» ضد غير المسلمين وأن المتطرفين من المسلمين يلتقون ويتبادلون الزيارات والآراء في المسجد بدأت السلطات تنتبه لهذا.

وفي بداية الأمر كان يريد يورجن روترز رئيس حكومة مقاطعة نوردراين فستفالين وهو من مدينة كولن أن يغلق المدرسة، إلا أن الخارجية الألمانية قد تدخلت، وذلك لأن إغلاق المدرسة سوف يضر بالعلاقات الدبلوماسية مع المملكة العربية السعودية. وبغض النظر عن ذلك فإنه توجد أيضًا مدرسة ألمانية في الرياض، ولا يريد المرء تعريض وجودها في الرياض للخطر.

ولم يرتض روترز بهذا التدخل من قبل الخارجية الألمانية وبدأ يفكر في استراتيجية جديدة بالاتفاق مع السلطات المحلية لمقاطعة نورد راين فستفالين ومع الخارجية الألمانية ومع الإدارة التعليمية الخاصة بالمدارس في مدينة بون. وقال روترز: «إننا سنعمل كل ما في وسعنا من أجل تقليل الأعداد المقبولة في هذه المدرسة». وفي نفس الوقت لابد وأن تكون الاتجاهات الأصولية في المدرسة وكذلك كل المنتسبين للمدرسة (من مدرسين وزوار) تحت المراقبة.

لقد كانت الموافقات الاستثنائية ولسنوات

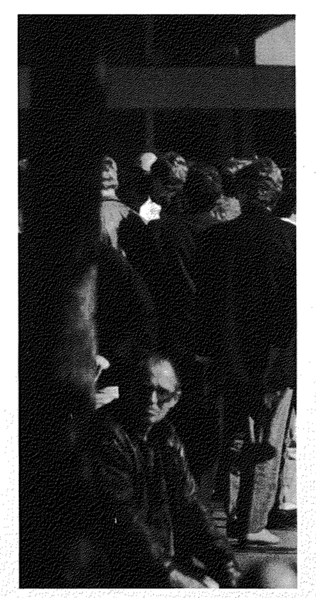
برعاية أطفالي، وغيابي الإلزامي الناجم عن عملي، يولد لدي في كثير من الأحيان الشعور بالذنب، ومخاوف من فقد الآخر لدى كافة أفراد الأسرة.

ضياع القيم في بلادي

أحيانًا أتساءل: ما الذي يجعل حياتنا في ألمانيا عسيرة؟ في تقديري هناك كثير من القيم قد ضاعت منا إلى غير رجعة، والتي مازالت تحظى بمكانة كبيرة في المملكة. فهناك التعاون المتمثل في التماسك بين الأجيال المختلفة، من أبناء وآباء وأحفاد، والدعم المتبادل بين أفراد الأسرة الواحدة، واحترام العقود التي لم يوقعها أطرافها بالقلم والورقة، بل بمجرد المصافحة، واحترام الكلمة ومكانتها، كما أنه ما زال هناك في المجتمع السعودي اهتمام واعتراف بدور الأطفال في المجتمع. وما كل هذه الأمثلة إلا قليل من كثير من قيم سائدة هناك، يجب الحفاظ عليها، وهي قيم لو عملنا بها في الغرب لجلبت لنا الخير الكثير، فكم أشعر بالأسف لأن نظامنا القضائي لا يشكل رادعًا على الإطلاق، وفيه الكثير من الثغرات والتأويلات التي يستغلها البعض للتملص من العقاب، ولكن على العكس من ذلك نرى أن النظام القضائي المستمد من الدين، يجعل كل شخص يعرف تمامًا المباح من المحظور، وهذه الحدود الحازمة تؤدي إلى انخفاض معدلات الجريمة هناك، وعندما يسألني البعض عن عقوبة الإعدام - غير المعمول بها في ألمانيا - وعن تأثير هذه العقوبة الحازمة على الجاني والضحية وأسرة كل منهما، فإنني أتوصل إلى قناعة، بأن التكفير عن الجريمة لا يمكن أن يتم بغير تطبيق حدود الشريعة، وما تتضمنه من عقوبات حازمة من هذا النوع. ومازلت أتذكر وقلبي ينفطر ما تقاسيه أسر الضحايا في ألمانيا، الذين فقدوا طفلاً أو أحد أفرادها، من عذاب لا يطاق، ثم يزيد عذابهم عندما يروا الأحكام المخففة التي تصدر على الجناة.

وعود على بدء، ماذا تعني المملكة لي؟ إنني آمل من كل قلبي أن تحقق المزيد من التقدم والنمو، وأن تشق طريقًا وسطًا على أساس راسخ من القيم الأصيلة والتقاليد العريقة، بين الماضي والحداثة، دون أن تضحي بمقدار ذرة من هويتها. وسواء دقق المرء النظر في المملكة من داخلها أو نظر إليها من خارجها، فإنها تبقى درة جذابة تتلألأ.■

عديدة مضت تُعطى بكل سخاء لكل من يريد إلحاق أطفاله بالمدرسة، وذلك لأن «المدرسة الدبلوماسية» كانت تعتبر في بداية الأمر من ناحية مشروعًا له وزنه الأدبي ومن شأنه أن يدعم الحق في أن تكون بون مدينة عالمية وذلك بعد أن فقدت مكانتها في أن تصير مقرًا للحكومة. ومن ناحية أخرى فإن وجود هذه الأكاديمية من شأنه أن يوفر التكاليف التي كان من المفترض أن تتحملها المدارس الألمانية لاستيعاب ٦٠٠ تلميذ. كما كان المدرسون في المدارس الموجودة سعداء بوجود التلاميذ العرب في الأكاديمية لأنهم لن يكونوا مضطرين للتعامل مع المشاكل اللغوية للأطفال العرب، فكثير من هؤلاء الأطفال لم يلتحقوا برياض



الأطفال الألمانية.

لقد استمر العمل في الأكاديمية لسنوات عديدة بالخطط الدراسية السعودية وبالكتب السعودية بعيدًا عن الرقابة المدرسية الألمانية. وقد كان هذا الأمر من الناحية القانونية صحيحًا، ولكنه كان من الناحية السياسية تعبيرًا عن وجود خلل ما. والآن تقوم هيئة حماية الدستور في مقاطعة نورد راين فستفالن بالمراقبة بالوسائل المخابراتية للمدرسة وللمنتسبين لها وذلك «لأنها - أي المدرسة - كانت في الماضي على الأقل نقطة جذب للمتطرفين».

وقد دعا روترز إلى تشكيل «لجنة تربوية» من المدرسين الألمان والسعوديين للتباحث والتشاور في المحتوى الدراسي والأهداف التربوية لمناهج الأكاديمية. وقد تم الاتفاق على آلية مشتركة للحضور لقاعات الدرس الألمانية والسعودية من قبل مدرسي الدولتين. وقد حصل المدرسون السعوديون على كميات كبيرة من الوسائل التعليمية لتدريس اللغة الألمانية بالأكاديمية على سبيل الهدية، وذلك من أجل توصيل القيم الغربية من خلال هذه الكتب للتلاميذ. وبالإضافة لذلك فقد قام روترز بإنشاء «لجنة ألمانية سعودية» من أعضاء من السفارة السعودية ومن رئاسة الحكومة ومن وزارة التعليم في مقاطعة نورد راين فستفالن ومن الإدارة المدرسية والإدارة التعليمية لمدينة بون. وتجتمع هذه اللجنة مرة كل ثلاثة أشهر. وقد تم الآن الاتفاق على أن يقوم المعهد المحلي المختص بشؤون المدارس ومواصلة التعليم في مدينة سوست بفحص الكتب المدرسية الخاصة بالأكاديمية. وقد حدث هذا لمحاولة تفادي إغلاق الأكاديمية، وذلك لأنه من الممكن إغلاق أي مدرسة أجنبية وفقًا للائحة المدرسية لمقاطعة نورد راين فستفالن، وفقًا للمادة رقم ٤٥، التي تنص على أنه يمكن إغلاق المدرسة الأجنبية عندما لا تقوم الإدارة أو هيئة التدريس أو القائمون على المدرسة باتباع اللوائح التي ينص عليها القانون أو التي من شأنها حماية التلاميذ أو المجتمع.

وبسبب أكاديمية الملك فهد فقد تغير القانون.

ففي المستقبل من المفترض أن تتحقق إلزامية التعليم فقط في إحدى المدارس الألمانية أو في المدارس الأجنبية المعترف بها التي يمكن الحصول منها على درجة البكالوريوس المعترف به دوليًا أو شهادة إتمام الدراسة لإحدى دول الاتحاد الأوربي، وكذلك التي تُدَرّس فيها اللغة الألمانية بشكل كاف. والاستثناء الوحيد من هذا الأمر يعطى فقط لأبناء الدبلوماسيين وكذلك يسري على الأسر التي تقيم بشكل مؤقت في ألمانيا، أي ليس للمهاجرين والذين يقيمون بشكل دائم في ألمانيا.

إن حوالي ثلثي التلاميذ من البنين والبنات البالغ عددهم ٤٤٥ تلميذًا والذين التحقوا بأكاديمية الملك فهد في شهر ديسمبر عام ٢٠٠٣م كانوا يحملون الجنسية الألمانية. وعودة أسر هؤلاء التلاميذ لأوطانهم هي مسألة محل شك كما تقول بذلك السلطات المسؤولة عن المدارس.

وبرغم المشاكل المذكورة فإن أكاديمية الملك فهد لا تزال قائمة ولم تغلق أبوابها بعد. ومن الملاحظ أن النقاش الذي كان يدور حول إغلاقها قد بدأت تخفت حدته بشكل ملحوظ.

نظرة إلى بطولة العالم لكرة القدم

ستنعقد بطولة كأس العالم في كرة القدم في القريب في ألمانيا، وستكون المملكة العربية السعودية هي إحدى الدول التي سترسل فريقها القومي إلى ألمانيا. إن الرياضيين والنجاح الرياضي هما في الغالب من أفضل السفراء لأي دولة في أي مكان، وأنهما أفضل مما يقوم به السياسيون والممثلون الرسميون لأي مجموعات أو رؤساء حكومات. ولقد أثبت الفريق القومي السعودي بمشاركته في كأس العالم أنه فريق قادر على الأداء الرياضي. وقد تأهلت المملكة العربية السعودية أربع مرات متواصلة للمشاركة في نهائيات كأس العالم بلا أي مشاكل كبيرة. إن الفريق السعودي قد تأهل هذه المرة بعد أدائه اثنتي عشرة مباراة بدون هزيمة واحدة، وهزم فريق كوريا الجنوبية الذي تأهل عام ٢٠٠٢م للعب في الدور قبل النهائي. وقد هزمه الفريق السعودي مرتين، مرة على أرضه وكذلك في كوريا. وبعد مباريات التصفية الأولى التي فازت فيها السعودية بالمباريات الست على إندونيسيا وسريلانكا وتركمنستان يركز السعوديون في هذه التصفيات النهائية على المهام الصعبة التي ستواجههم فيها، وإن كانوا يبدون اقتناعًا بهم وبأدائهم هنا في ألمانيا. والآن يتم التعريف بالمنتخب السعودي في وسائل الإعلام الرياضية على أنه فريق قوي وخصم لا يستهان به. ومن المشكوك فيه بشدة في أنه في حال التقاء الفريق السعودي من جديد بالمنتخب الألماني في ألمانيا أن تخرج نتيجة المباراة كما خرجت عليه في عام ٢٠٠٢م، حيث لقي الفريق السعودي هزيمة قاسية من المنتخب الألماني وكانت نتيجة المباراة ثمانية صفر لصالح المنتخب الألماني.

وقبل بدء المباريات فإن الأمر يبدو لكثير من الألمان مثيرًا للاهتمام لمعرفة أين وكيف سيتم إسكان الفريق السعودي. فلقد تم تأجير فندق بأكمله في مدينة باد ناوهايم، وهو فندق دولسي، وقد تم تغيير الفندق ليلبي متطلبات الرياضيين السعوديين. وبالنسبة للألمان فإن هذا التغيير للفندق يعد أمرًا غريبًا لم يألفه الألمان وذلك حينما يتم توجيه الأسلاك الهوائية للدش تجاه القنوات العربية، أو يتم إقامة أماكن لأداء الصلاة أو إبعاد كل المشروبات الكحولية من البارات الصغيرة بداخل الحجرات. وبكل تأكيد سوف يتابع كثير من الألمان باهتمام كبير التدريب والمباريات وأيضًا كل الأعمال الأخرى وكذلك كيفية قضاء اللاعبين السعوديين لأوقات فراغهم. وهنا فرصة ذهبية للمملكة العربية السعودية للتخلص من جزء كبير من صورتها كبلد «يخرج منه الإرهابيون» وأن تبين للألمان الجوانب الإيجابية للمملكة العربية السعودية التي تتمتع بها الغالبية العظمى من أبناء الشعب السعودي، وأن تبين أيضًا أن السعودية هي بلد يعيش فيه أناس ودودون ومنفتحون. ويتبقى لنا في الختام أن نأمل في أن يترك المنتخب القومي السعودي وكذلك الوفد الرياضي المرافق له انطباعًا جيدًا في مدينة باد ناوهايم (وبالطبع أيضًا في كل ألمانيا). ■

عدوان لدودان للاقتصاد الألماني ..

البطالة والتضخم النقدي

أحمد عفاني * - ألمانيا



* كاتب صحفي .

يحاول السياسيون ورجال الاقتصاد الألمان - ومنذ سنوات طوال - طمأنة الرأي العام الألماني وحثه على الصبر، مبشّرين بقرب انتهاء السنوات العجاف الحالية، والعودة إلى حقبة الرخاء ونهاية آفة البطالة عن العمل المستفحلة والمستعصية منذ أكثر من عقد ونصف من السنين.

وكان من الملاحظ في الأونة الأخيرة أن الحكومة جنّدت أقلامها وخبراءها لتصوير أي نمو اقتصادي بمقياس رسم كبير، مستندين إلى نتائج استقراءات الآراء التي تجريها معاهد البحوث الاقتصادية في صفوف رجال الأعمال الذين أصبحوا يتسمون في هذه الأيام بالتفاؤل المشوب أحيانًا بالحذر.

أكدت الحكومة الألمانية مؤخرًا في بيان رسمي عقب تقديم التقرير السنوي لمعاهد البحوث الاقتصادية الرئيسة (الحكماء الاقتصاديون)، أن «الانتعاش الاقتصادي أصبح واضحًا»، وأن قاعدة هذا الانتعاش أصبحت وطيدة. وتنبأت وزارة الاقتصاد الألمانية بناء على حسابات الخبراء أن يصل معدل النمو الاقتصادي هذا العام إلى ١,٦٪، وفي العام القادم إلى ١٪ فقط.

وأضافت الوزارة الألمانية أن «الزيادة البيّنة في أرباح الشركات وانخفاض الفوائد المصرفية والحاجة الماسة إلى التحديث ونمو التفاؤل، كل ذلك يشكل حوافز إيجابية على الاستثمار. ويتوقع الخبراء لأول مرة منذ عشر سنوات، أن يطرأ تحسن ملحوظ أيضًا على الاستثمار في قطاع البناء». ويتوقع خبراء الاقتصاد الحكوميون كذلك أن يتحسن الإقبال على الاستهلاك من جديد وأن تنتعش السوق الداخلية.

إلا أن الخبير الاقتصادي الشهير رونالد بيرغر، أشار في محاضرة له في مدينة فريدريكشهافن الألمانية الجنوبية، إلى أن حجم الصادرات لم يتوقف عن النمو، وأن معدل الزيادة بلغت في العام الماضي حوالي ٨٪. إلا أن معدل نمو الاستهلاك تراوح بين ثلاثة أعشار وأربعة أعشار في المائة ٠,٣ - ٠,٤٪. ونوّه بأن عددًا كبيرًا من الشركات المعتمدة على السوق الداخلية يعاني من هذا الركود النسبي. واستعرض النواحي الإيجابية، بما في ذلك السمعة الجيدة التي يتمتع بها عدد كبير من المؤسسات الاقتصادية الألمانية في شتى أنحاء العالم. بيد أنه حذّر من مغبة التغاضي عن الأخطار المحدقة بالاقتصاد الألماني من جرّاء الإحجام عن إصلاح سوق العمل، وأشار في هذا الصدد إلى أن ألمانيا لا تتبوّأ على الصعيد العالمي مكانًا مرموقًا في مجال التحديث مثلاً، حيث يقتصر الأمر هنا غالبًا على الشركات الكبيرة. وأردف قائلاً إن ألمانيا كانت في عام ١٩٩٤م رابع دولة في العالم من حيث الثّراء، إلا أنها جاءت في العام الماضي في المرتبة الثانية عشرة، ولا يفوقها في الاتحاد الأوروبي من حيث ارتفاع معدل البطالة سوى أسبانيا.

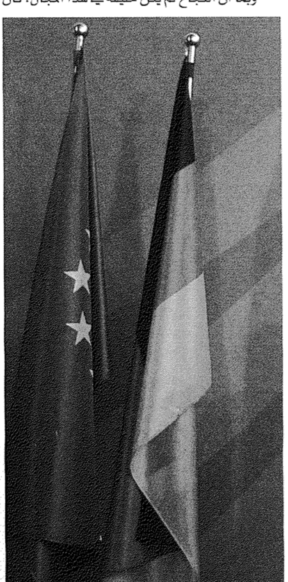
أما فيما يتعلق بصافي معدل الاستثمار، فإن ألمانيا تحتل المرتبة الرابعة والعشرين بين دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية. وأعرب عن رأيه في أن مكافحة آفة البطالة عن العمل المروعة في ألمانيا والإفلات من مصيدة الديون يتطلب نموًا اقتصاديًا

سنويا يتراوح بين ٣ إلى ٥٪.

العدوان اللدودان للألمان البطالة والتضخم النقدي

كان الفشل في مكافحة البطالة عن العمل، من أهم أسباب هزيمة المستشار الألماني الأسبق الزعيم المحافظ هلموت كول أمام منافسه الاشتراكي الديموقراطي غيرهارد شرويدر في عام ١٩٩٨م. وقد تعهد شرويدر في أول بيان حكومي له في المجلس النيابي الاتحادي (بوندستاغ) عقب تسلمه الحكم، ببذل أقصى الجهود لمكافحة البطالة عن العمل، وطالب بأن يكون الحكم على نجاحه في تأدية مهامه في ولايته السياسية، بناء على قدرته على التغلب على آفة البطالة المستعصية.

وبما أن النجاح لم يكن حليفه في هذا المجال، كان



من المتوقع أن يُهزم في الانتخابات التشريعية العامة عام ٢٠٠٢ لولا عامل السياسة الخارجية عندما رفض بحزم مخطط غزو العراق الأمريكي خلافًا لمنافسه المسيحي الاجتماعي ادموند شتويبر.

ويعتبر تصرفه في العام الماضي الذي أفضى إلى إجراء انتخابات نيابية عامة قبل الأوان، بمثابة اعتراف بعجزه عن إيجاد علاج ناجع لهذه القضية الخطيرة. ولا ينسى الألمان أن تضخم البطالة عن العمل في الثلاثينيات كان من أهم الأسباب التي أدت إلى انفضاض الشعب عن الأحزاب الديموقراطية التقليدية وتمهيد الطريق أمام وصول النازيين إلى سدة الحكم، مع ما ترتب على ذلك من كوارث وجرائم لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية، ونشوب حرب مدمرة أودت بحياة عشرات الملايين، وتسببت في تدمير جميع المدن الألمانية.

وليس هناك أيضًا مثيل للتضخم النقدي الذي بلغ الأوج في عام ١٩٢٣ عندما فقد الملايين مدخراتهم، نتيجة فقدان قيمة العملة. وتكفي الإشارة في هذا الصدد إلى أن الأصفار في أوراق النقد التي أصدرها آنذاك ما كان يسمى ببنك الرايخ، ارتفعت باستمرار لتصل في نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٢٣ إلى ١٨ في ورقة المائة بليون مارك!! ولا يخلو مرجع عن تلك الحقبة المخيفة، من صورة سيدة تستخدم كومة من أوراق النقد عديمة القيمة للتدفئة.

وقد بدأت تلك المأساة خلال الحرب العالمية الأولى، واستعرت بعد الهزيمة، خاصة بعد زحف القوات الفرنسية والبلجيكية على منطقة الرور الصناعية لتحصيل تعويضات الحرب. وبناء على ذلك، كان من البديهي أن يكون لهذا الخوف الدفين المتوارث من البطالة والتضخم النقدي والحروب أثره في صياغة المناهج السياسية والاقتصادية والاجتماعية بعد الحرب. وهو ما يفسر أيضًا، القلق الشديد الذي يعتري المسؤولين حاليًا نتيجة للفشل حتى الآن في تقليص البطالة وديون الدولة الهائلة التي ستبلغ هذا العام بليونًا ونصف بليون يورو.

ولم تكن هذه التطورات السلبية المخيفة، غير متوقعة، بل كان المستشار الأسبق فيلي براندت يغتنم كل فرصة للتحذير من عواقب (الثورة الصناعية الخامسة) في إشارة إلى الاستغناء باطراد عن

المزيد من الأيدي العاملة، نتيجة لدخول الأجهزة الإلكترونية إلى كل مجالات الإنتاج والعمل.

وقد بدأت البطالة عن العمل في ألمانيا في الستينيات عندما غزا الفحم الأمريكي الجنوبي الأسواق الألمانية، مما أدى إلى إغلاق العديد من المناجم في منطقة الرور مهد النهضة الصناعية الألمانية. واعترى القلق الأوساط السياسية على الرغم من أن عدد العاطلين عن العمل لم يزد عن حوالي ٦٥٠ ألفًا. ولم تكن تعويضات البطالة عن العمل تشكل في تلك السنين السّمان أي مشكلة تذكر بالنسبة إلى خزينة الدولة؛ وذلك خلافًا للفترة الحالية التي تعاني فيها ألمانيا من أعباء الديون المرهقة، والخلل الشديد الذي اعترى الهرم السكاني نتيجة للإعراض عن التكاثر وارتفاع معدل الأعمار وتضخم عدد متلقي التقاعد.

والمعروف أن لتعويضات البطالة عن العمل آثارًا سلبية مزدوجة: تعويضات البطالة والمعونات الاجتماعية، ثم نقص العائدات الناجم عن عدم مشاركة المحرومين من العمل في دفع الضرائب وأقساط الخدمات الاجتماعية من تأمينات صحية وغيرها. ويؤخذ من دراسة لمعهد بحوث العمل الألماني أن تكاليف البطالة عن العمل ارتفعت من من ٣٥ مليار يورو في عام ١٩٩١م إلى حوالي ٧٥ مليارًا في عام ٢٠٠٢م. وقد بلغت رقمًا قياسيًا هو أكثر من ٨٤ مليار يورو في عام ١٩٩٧م العام الذي سبق الانتخابات التشريعية العامة التي أسفرت عن هزيمة المستشار الأسبق هلموت كول.

وهناك معضلة جسيمة أخرى ألقت بظلالها في هذه الأثناء على الدول الصناعية، ألا وهي العولمة التي أرغمت جميع الدول تقريبًا على التنازل عن سيادتها على قطاعات حياتية في غاية الأهمية. ولا يطالب الزعماء السياسيون الآن إلا بالسماح لهم «بالمشاركة» في صياغة العولمة، وبعبارة أخرى المشاركة في الاطلاع مثلًا على خبايا قنوات رؤوس الأموال. ولا شك أيضًا في أن للوضع الاقتصادي الحالي في ألمانيا أسبابًا أخرى قديمة في مقدمتها الحرب الباردة بين الشرق والغرب. فمخطط الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان، نجح فعلاً في إرغام الاتحاد السوفييتي السابق على التسلح حتى الإفلاس؛

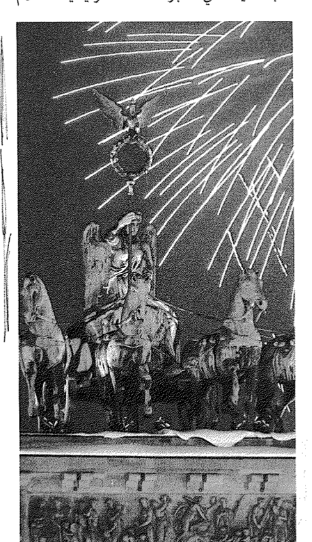
إلا أن نفقات برامج التسلح الغربية، أرهقت أيضًا ميزانيات دول الناتو التي لم تعلن إفلاسها، لكن ميزانياتها أصبحت مُثقلة بديون بأرقام فلكية، لأنها كانت مرغمة على زيادة نفقات «الدفاع» بنسبة عالية دون رصيد.

وكانت ألمانيا بحكم قوتها الاقتصادية حالة استثنائية نسبيًا، إلى أن توصلت في مطلع التسعينيات إلى إجماع دولي على توحيد الألمانيتين، مع ما ترتب على ذلك من التزامات مالية خيالية لرفع مستوى الولايات الشرقية إلى مستوى ولايات الدولة الألمانية الغربية السابقة. ويؤخذ من دراسة لمعهد مختص أن صافي ما دفعته الحكومة الاتحادية للولايات الألمانية الشرقية من عام ١٩٩١م حتى عام ٢٠٠٣م بلغ - بعد حسم الضرائب التي جُبيت من تلك الولايات - حوالي ٩٥٠ مليار يورو. وانضمت ألمانيا إلى بقية الدول الصناعية المرهقة بالديون وخدماتها، مع ما يعنيه ذلك من أنها أصبحت قابلة للابتزاز - حسب رأي وزير التعاون الإنمائي والاقتصادي الألماني الأسبق، المنظّر الاشتراكي الديموقراطي إرهارد إبْلر. وأشار في حديث صحفي، إلى أن أرباب الفعاليات الاقتصادية يمارسون متى شاؤوا ضغوطًا على حكومات الدول الصناعية مستخدمين سلاح الاستثمار. ولم يعد من الأمور النادرة تهديد أرباب الفعاليات الاقتصادية بنقل المؤسسات الإنتاجية إلى دولة أخرى، إذا لم تستجب الحكومة المعنية أو ممثلو العمال لطلباتهم. والمعروف أن النقابات العمالية الألمانية المتفوقة على مثيلاتها في العالم من حيث التنظيم تعتبر من أهم عوامل الاستقرار السياسي في البلاد، ولاسيما أنها تتمسك بالاعتدال في مطالب الطبقة العاملة، إلا أن نفوذها بدأ بالتراجع منذ استشراء آفة البطالة عن العمل التي يعاني منها حاليا في ألمانيا حوالي خمسة ملايين إنسان.

لمحة تاريخية

لقد فشل الوزراء الألمان الاتحاديون الذين تعاقبوا على حقيبة المالية في برلين، في إيجاد حل ناجع لمعضلة الديون، واضطرار ألمانيا إلى انتهاك أحكام الاستقرار النقدي الذي اتُّفق عليه لحماية قيمة اليورو، وهو أن لا تزيد نسبة القروض في

الميزانية السنوية على ٣٪ من الدخل القومي السنوي. مع العلم بأن ألمانيا كانت راعية قرار بهذا الشأن عند الاتفاق على توحيد العملة داخل الاتحاد الأوروبي لضمان رسوخ قيمة اليورو واستقرارها على غرار المارك الألماني. وكانت عملة الدولة الألمانية الغربية السابقة رمزًا للمعجزة الاقتصادية ونموذجًا للاستقرار النقدي منذ إجراءات الإصلاح النقدي وأسس السياسة الاقتصادية الألمانية التي وضعها في عام ١٩٤٨م البروفسور لودفيغ إرهارد، وزير الاقتصاد الأسبق في حكومة المستشار الألماني الأول كونراد أديناور، والتي اصطلح على تسميتها باقتصاد السوق الحرة الاجتماعي. واعتبر خبراء الاقتصاد آنذاك هذا النهج بمثابة (طريق ثالث) بين الرأسمالية والاشتراكية. صحيح أنه يضمن حرية السوق، إلا أنه يكفل أيضًا عناصر العدالة الاجتماعية التي تعتبر القاعدة الرئيسية للسلام الاجتماعي في البلاد.



ولا بد هنا من الإشارة إلى أن السماح لألمانيا بإنشاء المصانع لم يتسن إلا بعد زوال نفوذ وزير المالية الأمريكي آنذاك هنري مورغنتاو ومؤيدي خطته الجهنمية بمن فيهم الرئيس الأمريكي في تلك الفترة روزفلت. وتتلخص خطة مورغنتاو في معاقبة الشعب الألماني، وحرمانه من عناصر المجتمع الصناعي، وتحويل ألمانيا بأسرها إلى (مزرعة بطاطا). وما زلت أذكر تصريح أستاذ اللغة الألمانية في جامعة الهندسة في آخن بيشلر الذي كان يعمل بعد نهاية الحرب مترجمًا للحاكم العسكري البريطاني. إذ كشف النقاب أثناء لقاء مع مجموعة من الطلبة العرب عن أن الحاكم العسكري، كان يطلب منه أن يقول للمتقدمين بطلبات إنشاء المؤسسات الصناعية، إنه لن يُسمح لألمانيا بتاتًا بإنشاء أي مصنع بعد الآن. إلا أنه يبدو أن سياسة الخارجية الأمريكية الرافضة لتلك الخطة، أقنعت المسؤولين في واشنطن بخطورة هذه الآراء، لاسيما وأن بريطانيا والولايات المتحدة بدأتا بالتفكير مباشرة عقب الحرب في الإعداد لمحاربة الشيوعية؛ ولا يمكن الاستغناء هنا عن الشعب الألماني الذي كان جزء منه خاضعًا للاحتلال السوفييتي في الولايات الألمانية الشرقية.

وهكذا بدأت ألمانيا بإنشاء المصانع الحديثة بدلاً من تلك التي فككها الحلفاء كل في قطاعه ونقلها إلى بلاده. وأسفر انضمام ألمانيا إلى السوق الأوروبية المشتركة وإلى الناتو عن رفع المحظورات التي كانت مفروضة على ألمانيا الغربية السابقة كصناعة الطائرات والأسلحة وغيرها. ولم تكن الحكومة الألمانية الغربية لتكترث لوصمها بعد النهضة الاقتصادية بأنها عملاق اقتصادي وقزم سياسي.

وأكد الخبير الاقتصادي فيرنر آبلزهاور في كتابه «قصة الاقتصاد الألماني منذ عام ١٩٤٥» أن التاريخ الألماني الحديث بعد الحرب العالمية الثانية ليس سوى «تاريخ اقتصاد» في الدرجة الأولى. وساعدها إنشاء مصانع حديثة بدل تلك التي صادرها الحلفاء بعد الحرب، على منافسة بقية الدول الصناعية في الأسواق العالمية بل والتغلب عليها. لا بل إن قطاع الصادرات الألمانية أصبح من أهم الركائز للاقتصاد الألماني. وقد تفوقت ألمانيا في هذه الأثناء

حتى على الولايات المتحدة من حيث حجم الصادرات الذي ينمو باطراد، رغم ارتفاع الأجور.

وقد نوه المستشار الألماني الأسبق هلموت شميدت في كتابه بعنوان «الاقتصاد العالمي هو مصيرنا» بأهمية التعاون الدولي لضمان الاستقرار في الأسواق العالمية. وقد ضربت ألمانيا في العام الماضي رقمًا قياسيًا جديدًا من حيث حجم الصادرات الذي بلغت قيمته - حسب بيان دائرة الإحصائيات الاتحادية - ٧٨٦,١ مليار يورو أو بزيادة ٧,٥٪ عن عام ٢٠٠٤م. ونما في الوقت نفسه حجم الواردات بمعدل ٨,٧٪ لتبلغ قيمته ٦٢٥,٦ مليار يورو. وكان نمو حجم الصادرات الألمانية إلى بلدان مجلس التعاون الخليجي في الفترة المذكورة عاليًا إلى درجة أنه عوّض عن ارتفاع فاتورة النفط الذي كان من أهم أسباب نمو قيمة الواردات. ويؤخذ من آخر بيان للدائرة الاتحادية في مدينة فيسبادن الألمانية الجنوبية أن حجم الصادرات الألمانية نما في شباط/ فبراير من العام الحالي بمعدل ١٧,٧٪ عنه في نفس الشهر من العام الماضي لتبلغ قيمته ٧٠,٣ مليار يورو. فيما نما حجم الواردات بنسبة ٢٤٪ عنه في نفس الشهر من عام ٢٠٠٥م لتبلغ قيمته ٥٧,٢ مليار يورو.

من المارك إلى اليورو

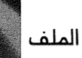
ويرى الخبراء أن ألمانيا ستحتفظ ببطولة العالم من حيث حجم الصادرات حتى عام ٢٠٠٨م عندما يتحتم عليها عندئذ أن تجابه منافسًا خطيرًا على مركز الصدارة في الأسواق العالمية هو الصين. وبديهي أن المنافسة الصينية ستكون في حجم الصادرات لا في النوعية.

ولم يكن لارتفاع تسعيرة اليورو في أسواق النقد العالمية أثر كبير على الصادرات الألمانية، لأن أهم الأسواق المستوردة للمنتجات الألمانية هي دول الاتحاد الأوروبي، وخاصة الدول الأعضاء في إقليم اليورو. بيد أن الخبراء ينتقدون ما أطلق عليه رئيس معهد إيفو للبحوث الاقتصادية في مدينة ميونيخ هانس - فيرنر زن، اسم «اقتصاد البازار». ويشير الخبراء إلى أن جزءًا لا يستهان به من الصادرات الألمانية مصنوع خارج ألمانيا. وأعرب الخبير الاقتصادي في بنك ديكا، أندرياس شويرله عن رأيه في أن «الاقتصاد الألماني يقف على ساق واحدة» هي قطاع الصادرات. وأضاف أن الساق الأخرى وهي الاستهلاك الداخلي ضعيفة تبعث على القلق، مشيرًا إلى أن الركود يعتري سوق الاستهلاك الذي يشكل عادة ثُلثَي القوة الاقتصادية.

وقد كان لاعتماد اليورو أثر كبير في هذا التطور الخطير، نظرًا لاستغلال القطاع التجاري لهذا الحدث الهام، ورفع أسعار كثير من السلع تدريجيًا لتصل تقريبًا إلى نفس أرقام الأسعار التي كانت محددة بالمارك الألماني، الذي تعادل قيمته الرسمية حوالي نصف تسعيرة اليورو. وفي الوقت الذي ترتفع فيه الأسعار الاستهلاكية، تنخفض الرواتب وتتقلص الخدمات الاجتماعية نتيجة للضعف الذي يعتري خزينة الدولة. وتبذل القيادة السياسية قصارى جهدها لتحسين الوضع الاقتصادي وتفادي العواقب الاجتماعية الوخيمة المترتبة على تفشّي البطالة. وإلى جانب محاولات فتح أسواق جديدة أو توطيد مركز ألمانيا الحالي في الأسواق العالمية، تحاول السلطات المسؤولة محاربة أسباب الركود وتشجيع التكاثر لتفادي كارثة إفلاس صناديق التأمين والتقاعد. إلا أن أحدًا من الزعماء السياسيين أو خبراء الاقتصاد لم يتقدم حتى الآن بوصفة جدية لمعالجة مجمّع المعضلات والعقبات، والعودة إلى سنيّ الرخاء.

التفاؤل بمستقبل أفضل

إلا أن السياسيين الألمان يجمعون على محاولة بث التفاؤل والأمل في أوساط الشعب، أملاً في حدوث معجزة. ولا شك في أن ألمانيا ستظل من أهم القوى الاقتصادية في العالم. ومن المؤكد أن الأوضاع الاقتصادية ستتحسن أيضًا في الولايات الألمانية الشرقية التي يزيد معدل البطالة في بعض مدنها على ٢٠٪. ولن يمضي وقت طويل حتى تظهر النتائج الإيجابية للمليارات التي تنفقها الحكومة الاتحادية والحكومات المحلية على مراكز البحوث في الجامعات الألمانية الشرقية التي أصبحت تتبوأ مركزًا مرموقًا متميزًا. ولم يعد هناك خلاف على أن ما تفرزه العقول في مراكز البحوث العلمية هو الذي سيقرر مصير التطور الاقتصادي في أي دولة والقدرة على الصمود في دوامة العولمة.■



شركات السيارات الألمانية اجتاحت أوروبا وأمريكا و . .العالم

صناعة السيارة وصناعة التاريخ

حازم علم الدين * - بون

*أكاديمية الملك فهد - بون .

عندما أردت يومًا الانضمام إلى أحد الأندية الرياضية لممارسة الرياضة في عطلة نهاية الأسبوع، كان ذلك في ثمانينيات القرن الماضي، طلب مني تعبئة استمارة اشتراك، وفوجئت بأحد البيانات المطلوب فيه ماركة سيارتي وسنة صنعها، وعلمت فيما بعد أن امتلاك سيارة في أغلب الأندية الرياضية مسألة أساسية في قبول العضو أو رفضه، والحمد لله على كل حال.

وإذا أردت أن تكسر ذلك التحفظ الألماني الشهير، فتتحدث مع الألماني عن سيارته، ستنفرج عندها أساريره، وسيحدثك وكأنك صديق حميم. لكن المشكلة أنك لا تستطيع بعد دقائق وبقليل من الملاحظة أن تحدد من منهما يملك الآخر، أهو يملك السيارة أم هي التي تملكه؟ أما إذا جاء إلى سيارته فوجدك متكئًا عليها – كما هو معتاد في كثير من بلداننا العربية – فقد ارتكبت إحدى الكبائر، ومن المؤكد أنك لن تسلم من العتاب وأحيانا التعنيف.

ألمانيا أم الاختراع

إن ألمانيا هي أم هذا الاختراع الذي غير وجه العالم، ففي عام ٢٠٠٠م قدر عدد السيارات المرخصة في العالم بـ ٦٠٠ مليون سيارة، ويتم إنتاج ٦٠ مليون سيارة جديدة سنويًا على مستوى العالم، ويكلف تطوير موديل جديد مبلغًا يصل إلى ١,٥ مليار يورو، ولا يقدر على ذلك إلا شركات ميزانياتها تفوق قيمة مجمل الإنتاج الوطني لبعض الدول الصغيرة، وأصبحت السيارة هي المحرك الأول لكل الاقتصاديات الصناعية في العالم.

لم يفكر كل من «كارل بنتس» و«مايباخ» عندما نجحا في عمل أول محرك يعمل بالبنزين عام ١٨٨٥م في السيارة كما هي معروفة الآن، وإنما أرادا ببساطة عمل آلة جر لتحريك السفن والعربات عمومًا. وكان هنري فورد في أمريكا هو من نفذ أول خط إنتاج للسيارة. وظلت صناعة السيارة في ألمانيا صناعة يدوية بحتة حسب طلب كل مستهلك، وبالتالي اختلفت كل سيارة عن مثيلتها، ولم تكن هناك مصانع وإنما ورش للإنتاج تشبه ورش الهواة حاليًا.

مشكلة القيادة

لم تكن قيادة السيارات الأولى في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين مسألة بديهية، فقد كان على السائق إدارة المحرك يدويًا، وقبل ذلك كان عليه ضبط ترتيب الاحتراق وتفريغ الهواء عند تزويد السيارة بالوقود، هذا في داخل المدينة، أما إذا خرج بالسيارة خارج المدن فهناك أخطار أخرى مثل الحيوانات التي تقف في الطريق، فقد كانت تثور وقد تهاجم السيارة عند سماعها آلة التنبيه، وغير ذلك مما لا يتوقعه قائد السيارة.

لكن المشاكل التقنية كانت أكبر بكثير، فعلى سبيل المثال مشكلة الفرامل، التي لم تكن – بالطبع – بالكفاءة الحالية على الإطلاق، وكان على قائد السيارة الضغط على الفرامل أكثر من مرة حتى يقلل من سرعة السيارة، قبل أن يتمكن من إيقافها. وفي ذلك يقول المؤرخ رولت:«إن قدرة السيارة على السير فاقت قدرتها على التوقف»، ولهذا كانت آلة التنبيه بالسيارة

أهم كثيرًا من الفرامل.

وكانت الإطارات تشكل تحديًا كبيرًا لصبر قائدي السيارات. فقد استعملت الإطارات المملوءة بالهواء لأول مرة في ١٨٩٥م، وكانت أغلب أعطال السيارات بسبب الإطارات. فقد كانت ملساء وكانت جدرانها رقيقة جدًا ولم يكن الكاوتشوك مخلوطًا بمواد أخرى مقوية – كما هو الحال الآن – ولذلك فقد كانت حساسة جدًا للشمس وللحرارة عمومًا. ولم يكن الإطار الاحتياطي شيئًا بديهيًا وبالتالي كان على السائق أن يقف ويصلح الإطار على الفور حتى يستطيع مواصلة السفر.

أما الإضاءة فكانت ضعيفة جدًا، ولم يكن الغرض منها إنارة الطريق أمام السائق، وإنما فقط لكي يرى الآخرون السيارة. وكان يستعمل لذلك إما الزيت أو الشمع. والطريف أن الدراجة الهوائية سبقت السيارة إلى الإضاءة الكهربائية، لكنها في مراحلها الأولى كانت لا تتحمل الاهتزازات القوية إذا وقعت السيارة في مطب أو ما إلى ذلك. ثم تحسنت بعد الحرب العالمية الأولى وأضيفت إليها الإشارات الجانبية (الفلاشر). حتى عام ١٩١٤م كانت نظرة السائقين إلى بعضهم وإشاراتهم باليد كافية تمامًا (كافية تمامًا حتى يومنا هذا في كثير من البلدان النامية).

الحبو أولا ثم المشي

كانت صناعة السيارات قبل عام ١٩١٤م، أي قبل الحرب الأولى، عبارة عن ورش صغيرة تصنع السيارة حسب الطلب – كما ذكر سابقًا – وكان الإنتاج قليلًا جدًا، ولم يكن مربحًا بالمرة. وعندما بدأت أوروبا تدرك مستقبل السيارة، وأنها صناعة قادمة وقابلة للنمو، دخلت كثير من الشركات الألمانية في هذه الصناعة، مثل أوبل الذي كان صانعًا للدراجات الهوائية، ووشتاير صانع السلاح. كما دخلت كل من شركة سيمنز و AEG من قطاع الصناعات الكهربائية أيضًا في صناعة السيارة.

وقد أدى التبادل التكنولوجي من خلال الاستيراد والتصدير ومنح تصاريح الإنتاج إلى تدويل صناعة السيارة، كما قاد التنافس ورغبات المستهلكين المتزايدة إلى الإسراع في البحث العلمي لتطوير السيارة. وكان من نتائج ذلك إنشاء أول معهد لأبحاث السيارات في العالم في كلية التكنولوجيا بجامعة برلين عام ١٩٠٩م، وتبعه معهد دريسدن عام ١٩١٨م، وآخن ١٩٢٣م، وكارلسروهه ١٩٢٤م، وهانوفر عام ١٩٢٨م. وبذلك انتقلت صناعة السيارات من الحبو إلى المشي، فقد أنهت هذه المعاهد العلمية مرحلة التجريب والهواية إلى الأبد، وحولت صناعة السيارة إلى هندسة وعلم منظم.

معركة الوقود وانتصار البنزين

يخطئ من يظن أن اختراع بنتس ومايباخ لمحرك البنزين أدى إلى ثورة، فقد كان ذلك الاختراع مجرد اقتراح أكثر من كونه اختراعًا. فقد سبقته محركات البخار والكهرباء، بل أنها كانت قد انتشرت إلى حد كبير، ففي أمريكا – على سبيل المثال – وفي بداية القرن الماضي كانت ٤٠ ٪ من السيارات تسير بالبخار، و٣٨ ٪ بالكهرباء، و٢٢٪ فقط بالبنزين. وكان التنافس والصراع أولًا بين البخار والكهرباء، ولم يكن البنزين يمثل إلا الاختيار الثالث والأخير، خاصة إذا علمنا أن السيارة التي كانت تسير بالبخار لم تكن بطيئة على الإطلاق، فقد وصلت التجارب بها في أمريكا عام ١٩٢٥م إلى سرعة قصوى قدرها ٢٠٥ كيلومترات في الساعة، وكان هذا هو الرقم العالمي في سرعة السيارة. وعليه فلم يكن أحد يتوقع هذا الانتصار المذهل للبنزين على حساب البخار والكهرباء، لكن هذا الانتصار له بالطبع أسبابه، ومنها على سبيل المثال، التعقيد الواضح في محركات البخار مقارنة بالبنزين، وضياع مساحة كبيرة من السيارة بسبب خزانات المياه الكبيرة... وغيرها.

لكن هناك سببين رئيسين أديا إلى هزيمة محركات البخار أمام البنزين: أولهما أن محرك البنزين يحتاج إلى خزان (تانك) صغير فقط لكنه في الوقت ذاته يجعل السيارة تسير مسافات أطول كثيرًا من البخار، مما مكنَ السائقين من الخروج من المدن بالسيارات، وشعور قائد السيارة بالخروج إلى عالم آخر، وكان ذلك شعورًا جديدًا وغريبًا لم يعتده الناس من قبل. وثانيهما - وهو الأخطر - أن أي تطوير في محركات البخار كان تجديدًا لتكنولوجيا قديمة ذاهبة إلى غير رجعة، فقد أدى ظهور محركات البنزين - مع الوقت - إلى إحالة محركات البخار إلى غرفة الإنعاش، بل إلى حالة أشبه بالموت الإكلينيكي.

سيارة لكل مواطن

كانت السيارة قبل الحرب الأولى منتجًا لا يعرفه إلا الأغنياء فقط، لأنها لم تكن تنتج بشكل تجاري، وكانت رمزًا للرفاهية، لكن بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٨م عاد كثير من المحاربين الألمان إلى ألمانيا، وكثير منهم لا يعرف إلا قيادة السيارات الكبيرة - أي الشاحنات - وإصلاحها. وعادت كثير من السيارات التي استعملت في الحرب وبيعت بأسعار زهيدة لأن أغلبها كان في حالة سيئة. وبطبيعة الحال أدت الحرب إلى انهيار قطاعات إنتاج كثيرة ومنها السيارات، فانهارت كثير من الشركات واختفى بعضها، واضطر البعض الآخر للاتحاد مع شركات أخرى، وكان من أبرز هذه المحاولات اتحاد «دايملر - بنز» في عام ١٩٢٦م، وسبحان مغير الأحوال ففي نهايات التسعينيات من القرن العشرين أطلق على اتحاد «دايملر - كرايسلر» اتحاد القرن، وتحول اتحاد الفقراء إلى اتحاد الأغنياء.

وفي تلك الأثناء - أي في العشرينيات - حدثت في أمريكا نقلة نوعية كبيرة في صناعة السيارات، فقد بدأ هنري فورد في صناعة السيارة «الفورد» على خطوط إنتاج كبيرة وبعدد ضخم منظم من العمال، مما أدى إلى إنتاج أعداد كبيرة من السيارات في اليوم الواحد. وكان نتيجة ذلك الإنتاج بكميات تجارية وبالتالي رخص سعر السيارة في أمريكا حتى أصبحت في متناول الكثير من الناس. وعلى سبيل المثال كانت شركة أوبل في ألمانيا تنتج في ذلك الوقت ١٠٨ سيارات يوميًا مقابل ٧٠٠٠ سيارة لشركة فورد.

لم يتقبل صانعو السيارات في ألمانيا هذا الأسلوب الأمريكي أولاً، وعولوا على أسلوب الكفاءة في التكنولوجيا ودقة التصميم، لكن أفكار فورد هذه لاقت قبولاً عند حكام مثل هتلر، الذي اقتبسها بعد ذلك لإنتاج أول سيارة للشعب وأطلق عليها هذا الاسم «سيارة الشعب»، وكان ذلك بمثابة يوم ميلاد «فولكس فاجن»، التي أصبحت بعد ذلك رمزًا للاقتصاد الألماني وقصة نجاح منقطعة النظير.

طغى أسلوب فورد في التصنيع بعد ذلك على صانعي السيارات في أوروبا كلها، ذلك أن فورد بدأ في بناء مصانع لتجميع السيارة الفورد في أوروبا وفلت بذلك من فخ الجمارك على السيارات المستوردة لإعادة تركيبها في دول كانت مبتدئة في صناعة السيارات مثل روسيا. وهذه الفكرة التي ابتدعها فورد لا زالت متبعة حتى يومنا هذا، حيث تبيع الدول المتقدمة صناعيًا معدات مصانعها القديمة إلى الدول النامية.

تعشقها أو تكرهها!

كان معروفًا عن هتلر حبه وولعه بالسيارات. وكان معجبًا بهنري فورد، وقد قرأ كتابه في تجربته مع صناعة السيارات وتأثر به. ولم يخف على أحد حبه في الظهور المستمر في السيارة المرسيدس السوداء الكبيرة المكشوفة. وكان لذلك أسبابه، فقد كانت السيارة جزءًا من خطة إعادة بناء الاقتصاد الألماني بعد الحرب

اشترت الشركات الألمانية كثيرًا من شركات السيارات الأوروبية، فامتلكت فولكس فاجن سيات الأسبانية وسكودا التشيكية ولامبورجيني الإيطالية وجزءًا من رولزرويس الإنجليزية بالمشاركة مع بي- إم - دبليو الألمانية أيضًا، واشترت بي- إم - دبليو بجانب رولزرويس روفر الإنجليزية، واشترت مرسيدس جزءًا من نيسان اليابانية وابتلعت في التسعينيات ثاني كبرى شركات السيارات في أمريكا وهي كرايسلر

الأولى والأزمة الاقتصادية العالمية في العشرينيات من القرن الماضي. وكانت صناعة السيارة تعني ببساطة إيجاد فرص عمل، وتوحيد الشعب الألماني على حب منتج بعينه، وإقناع الألمان بأنهم يستعملون أحد مخترعات العصر والتنزه بها على أحدث شبكة طرق، فكان هتلر هو أول من بدأ مشروع «الطرق السيارة» Autobahn في ألمانيا. وكانت النتيجة أنه حتى عام ١٩٣٩م تم إصلاح ١٧٠٠٠ كيلومتر وبناء ورصف ٣٠٠٠ كيلومتر، بالإضافة إلى ٣٠٠٠ كيلومتر أخرى كطرق على الجسور.

وظهرت في ألمانيا معارض السيارات. وأسس العمال ورش إصلاح خاصة بهم، وكان من نتيجة ذلك أن قفز إنتاج السيارة الخاصة إلى الضعف من ١٩٢٩م إلى عام ١٩٣٥م، بينما زاد عدد الشاحنات إلى الثلث فقط في نفس الفترة.

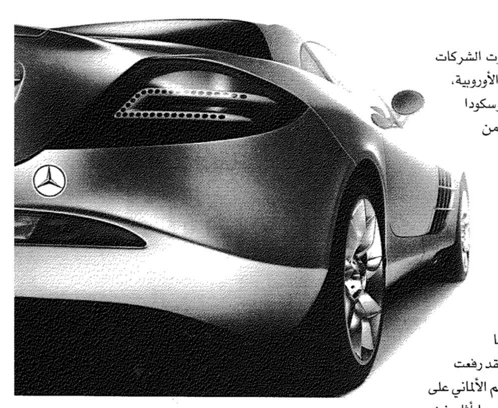
وولدت فكرة السيارة «الفولكس فاجن» في عهد هتلر، ذلك أن جمع الألمان على حب هذا المنتج مرتبط بشكل أو بآخر بقدرتهم على امتلاكه، فكانت فكرة صناعة سيارة بسيطة وبأسعار في متناول الكثيرين. وكان من أسباب وقوع الشعب في حب هذه السيارة أنها زودت بمحرك خلفي، وكان ذلك موضة في هذا الوقت، حتى إن شركة مرسيدس كان لها محاولات في ذلك. أما فكرة تبريد المحرك بالهواء بدلاً من الماء فقد استهوت الكثيرين حتى عهد قريب، بالإضافة إلى التصميم القريب من شكل الخنفس، الذي إما أن تعشقه وإما أن تكرهه ولا وسط بينهما.

محرك للسيارة ومحرك للاقتصاد

أجمع المؤرخون على ارتباط صناعة السيارات في ألمانيا ارتباطًا وثيقًا بالمعجزة الاقتصادية الألمانية بعد الحرب العالمية الثانية. لكنهم اختلفوا على السؤال: هل تأثرت صناعة السيارات إيجابيًا بالعصر النازي؟ وعلى كل حال فإن من المؤكد وجود نوع من الاستمرارية بعد هتلر، فقاد الألمان السيارة «الفولكس فاجن» بعد الحرب والتي صممها مهندسو هتلر، وساروا بها على الشوارع التي رصفها هتلر، وسافروا بها إلى الدول التي داهمها هتلر، وأصبح هاينرش نوردهوف رئيسًا لشركة شتاير للسيارات بعد أن كان رئيسًا لأحد مصانع السلاح. وعين المسؤول عن الإمداد والتموين في عهد هتلر رئيسًا لمجلس إدارة «فولكس فاجن»، وكان ذلك أمرًا طبيعيًا، فما كان يمكن للألمان – ولا لأي شعب آخر – الانفصال الكامل عن أمسهم القريب، ولكن كان لابد أيضًا من الانطلاقة الجديدة. وانطلقت صناعة السيارات الألمانية وسط خوف أوروبي من اجتياحها للسوق الأوروبية. وتلاحقت الأحداث مسرعة، ففي عام ١٩٥٢ تم إلغاء قانون تحديد السرعة على الطرقات الألمانية، وازداد حب الألمان للسيارة الخاصة، التي كانت تعبر عن الاستقلالية والفردية، وتحولت السيارة إلى معبودة الجماهير. وأسرعت الأحداث في تلاحقها وسط ذهول العالم وليس الأوروبيين وحدهم عندما وصل عدد السيارات الخاصة فقط في عام ١٩٥٢م إلى ١,٥ مليون سيارة، وارتفع العدد في السنوات العشر التي صاحبت المعجزة الاقتصادية من ١٢,٧ سيارة لكل ١٠٠٠ شخص في ألمانيا إلى ٨١,٢ . أما في عام ١٩٥٥م فقط احتفل الألمان بخروج السيارة «الفولكس فاجن» رقم مليون من المصنع. وفي الستينيات وصل عدد السيارات الخاصة في ألمانيا إلى ٨ ملايين سيارة. وبهذا أصبحت السيارة منتجًا عامًا يملكه المجتمع، وتجسيدًا لهذه الفكرة عادت فولكس فاجن وسجلت رقمًا قياسيًا جديدًا بإنتاجها السيارة رقم ١٠ ملايين، أي أنها أنتجت في السنوات العشر من ١٩٥٥ إلى ١٩٦٥م عشرة أضعاف ما أنتجته في تاريخها. وبعد ذلك بخمسة أعوام وصل عدد العاملين في ألمانيا في صناعة السيارات إلى ٧١٨٠٠٠ عامل، وبذلك أصبحت السيارة هي العامل الأول في عودة الازدهار الاقتصادي إلى ألمانيا. ويدل على تلك الحقيقة أن نسبة النمو في قطاع صناعة السيارات قفز من عام ١٩٥٠م إلى عام ١٩٦٠م إلى ثلاثة أضعاف النمو في كل قطاعات الصناعة الأخرى في ألمانيا. وأخيرا في عام ١٩٧٠م استطاع الألمان تصدير أكثر من نصف إنتاجهم من السيارات (٥٥,٢٪) إلى الخارج.

لقد جسدت السيارة بحق المعجزة الاقتصادية الألمانية، وكانت رمزًا للنجاح وعودة الروح في ألمانيا بعد انكسارات الهزيمة. كانت رمزًا لاستعادة الحرية، ومثلا يحتذى في كثير من بلدان العالم، وأصبحت السيارة في ألمانيا من لوازم الحياة اليومية.

وفيما يتعلق بالطفرة الاقتصادية الألمانية، التي بلغت ذروتها في الثمانينيات من القرن الماضي عادت السيارة ولعبت مرة أخرى دور البطولة في هذا المسلسل الجديد، فراحت شركات السيارات الألمانية تجتاح أسواق الدول الأوروبية، كما اجتاحت الجيوش الألمانية



هذه الدول في الحرب الثانية، واشترت الشركات الألمانية كثيرًا من شركات السيارات الأوروبية، فامتلكت فولكس فاجن سيات الأسبانية وسكودا التشيكية ولامبورجيني الإيطالية وجزءًا من رولزرويس الإنجليزية بالمشاركة مع بي- إم - دبليو الألمانية أيضًا، واشترت بي- إم - دبليو بجانب رولزرويس روفر الإنجليزية، واشترت مرسيدس جزءًا من نيسان اليابانية وابتلعت في التسعينيات ثاني كبرى شركات السيارات في أمريكا وهي كرايسلر. ومما يشير إلى أن هذه الشركات لا تمثل نفسها فقط، وإنما تعتبر نفسها أيضًا رمزًا للنجاح الاقتصادي الألماني، فقد رفعت «فولكس فاجن» و«بي - إم - دبليو» العلم الألماني على مصانع شركة رولزرويس فور شرائها، مما أثار غضب كثير من الإنجليز الذين يعتبرون رولزرويس فخرًا ورمزًا للصناعة الإنجليزية.

السيارة في الفن والأدب

تغلغلت السيارة في كثير من جوانب الحياة في ألمانيا، وكثير من الألمان ينظرون إلى السيارة على أنها أكثر من مجرد وسيلة انتقال، فانتقلت «عدوى» السيارة إلى الأدباء والشعراء واستعمل السياسيون في أدبياتهم مصطلحات من عالم السيارات في حملاتهم الانتخابية. من أمثلة ذلك الكتاب الذين كثيرًا ما يمثلون السيارة بالكائن الحي، ومحركات السيارة مثل البشر، لكل صوته المميز، وحركة المرور هي الدورة الدموية. بل وذهب بعض الأدباء إلى أكثر من ذلك بأن كتبوا شعرًا، وكأن السيارة تتحدث عن نفسها في أبيات شعر تصف فيه مزاياها... واستعمل رجال السياسة في ألمانيا مصطلحات مثل «التجاوز من اليمين» كتعبير عن أي قرار سياسي مؤثر. وفي عام ١٩٧٤م نقلت صحيفة «بيلد تسايتونج» عن رجل السياسة بيتر بونيش قوله: «على هذا الشعب أن يقرر في الانتخابات القادمة ما إذا كان يريد أن يركب السيارة أو الحافلة إلى مجتمع الرفاهية». وغير ذلك كثير لا يمكن حصره في هذا المقام.

وفي عام ١٩٦٨م تحولت السيارة إلى نجم سينمائي من نجوم هوليود عندما منح والت ديزني السيارة فولكس فاجن بطولة فيلمه الجديد، وقامت الشاحنات بأدوار الشر. وبعد النجاح الكبير لفولكس فاجن في أداء دورها في هذا الفيلم، منحها والت ديزني أدوارًا أخرى في سلسلة أفلام اشتهرت في تاريخ السينما العالمية.

وبعد، فنحن لم نقصد بهذا المقال المقتضب سردًا لتاريخ صناعة السيارات في ألمانيا، فذلك أمر شديد التعقيد نظرًا لتشعب جوانبه، كالجوانب الاقتصادية والتقنية والحضارية والاجتماعية، إنما أردنا فقط إلقاء بعض الضوء على تلك العلاقة الخاصة والحميمة التي تجمع بين الشعب الألماني واحدة من أكثر المنتجات تعقيدًا في تاريخ الصناعة ، إنها السيارة. ■

المراجع

-Kurt Moeser: Geschichte des Autos, Campus Verlag 2002
-Hans-Otto Neubauer: Die Chronik des Automobils, Muenchen 1994
-Bernd Spiegel: Die obere Haelfte des Motorrads, Muenchen 1999
-Anette Pelser: Fazination Auto, Frankfurt/M 1994

المطبخ الألماني

لا أرى، لا أشم، لا أتذوق!

أسامة أمين - ألمانيا

الطعام الألماني كائن عجيب، لا يشبه طعام البشر، بل تشعر أنه وليمة من عصور غابرة، يأكلها الإنسان الحجري، حين يعود إلى كهفه، فهو ضخم الحجم، دائري الشكل، تسيل منه الدماء، يحمل في طياته كل ما ينفرك من الاقتراب منه، المظهر الفج، والرائحة غير المستساغة، فإذا تهورت وفقدت عقلك، وقررت رغم كل هذه المؤشرات أن تحمله بيدك، وتقترب به من فمك، وتسد أنفك، وتغمض عينيك، وتفتح شفتيك، ثم تدسها بين فكيك، فتأكد أن العاقبة مؤلمة، والخطب جلل.

في الزيارة الأولى لأهل زوجتي، رحب بي والدها بحرارة، وأخذ يقبلني بصورة جعلتني أرتاب، ويبدو أنه لاحظ ذلك، فأطلعني على نسخة من كتاب عن طباع أهل الشرق، تشرح كيفية السلام على العربي، ويبدو أن المؤلف شاهد مقابلات ياسر عرفات، فخلط بين الفعلين قابل وقبّل.

عمومًا جلس يحكي لي عن افتتانه بزوجته، التي عرفها قبل أربعين عاماً، وكيف أنها تبدع في تحضير الطعام، فمكعبات الخيار ومثلثات الجبن الأبيض، داخل السلطة تضفي عليها جمالاً فائقًا. أما الأرز فقد تعلمت حماتي مؤخرًا كيفية عمله بالخلطة الشرقية، أي مع اللوز المحمر والزبيب، واللحم، وما أدراك ما اللحم يذوب فوق لسانك من فرط الحلاوة.

فكرت مليًا إذا ما كان يهزأ بي، إذ ليس من الممكن أن يكون جادًا في حديثه عن السلطة وأسلوب تقطيع مكوناتها، ولكني قررت الانتظار، لأرى بعيني ما يقصده. وطال الانتظار وأنا أسمع نغمات إعداد الطعام في المطبخ، أطباق كثيرة، وملاعق تصطدم بالطبق، أثناء وضع الطعام فوقه، سمعت قعقعة كثيرة، وانتظرت الطحين.

فجاء، وليته ما جاء، فطبق السلطة لا يختلف كثيرًا عن السلطة الموجودة في (الجردل) المعلق على عربة الفول المدمس في حواري القاهرة الفقيرة، والتي يحصل عليها مشتري طبق الفول «فوق البيعة»، أي مجانًا، وطبق الأرز الذي وضعته حماتي وسط السفرة، وسحبته أمامي، لاعتقادي خطأ أنه الطبق المخصص لي، تبين أنه طبق الأسرة بأكملها، أي لرجل بالغ عاقل هو والد زوجتي، ورجل بالغ عاقل آخر هو أنا، وامرأتين ناضجتين هما حماتي وزوجتي، حصل كل واحد منا على عدد يتراوح بين ٣٧ - ٤٢ أرزة بالتمام والكمال، يأكلها بشوكة تصطاد في كل مرة ٣ إلى خمس حبات. ولكني خفت أن تنتهي حبات الأرز بسرعة، وأردت أن أظهر بصورة الإنسان المتحضر العصري، فأخذت أحاول أن أستخدم السكين، ليس بهدف دفع حبات الأرز فوق الشوكة، بل بهدف تقطيع كل حبة إلى قسمين، لأستغرق ضعف المدة، ولكن

النتيجة تجعلني أوصي بعدم تكرار التجربة.

ثم شممت رائحة شواء، وتخيلت قططًا ترفع رأسها إلى السماء، وذئابًا تعوي، من فرط السعادة، ثم ناولتني حماتي الغالية قطيعة من اللحم، حجمها يتراوح بين حجم الإبهام والبنصر، خلتها تتلوى فوق الطبق، لأن الدم كان على يمينها ويسارها، ومن بين يديها ومن خلفها، ومن تحتها وفوقها، وكأنما أصيبت في حادثة «تفحيط» مروعة، وحسبت طبقي سيارة إسعاف، فقفزت فوقه، ثم لفظت أنفاسها الأخيرة، وفارقت الحياة.

لم تكن الكارثة في الطعام فحسب، بل في قصيدة الغزل التي أخذ حماي يرددها، في روعة الطعام، وتفرد مذاقه، والإتقان الذي يظهر في كل صنف من الأكل، رغم أنه لا يستغرق إعداده أكثر من ثلاثة أرباع الساعة، أربعون دقيقة للسلطة والأرز، وخمس دقائق للحم.

فكدت أبكي من الشوق إلى طعام أمي، وقررت أن



أمر على محل البيتزا في طريق العودة إلى المنزل.

الألمان والمطبخ الشرقي

أجمل ما في الألمان، أنه بوسعك أن تطبخ لهم أي شيء، وبأي طعم، ثم تقول لهم إن هذا هو الطعام الشرقي، فيأكلونه ويلعقون أصابعهم وراءه، فساذج من استنتج من كلامي السابق أن الألمان لا يأكلون الكثير، لأن ذلك ينطبق عليهم فقط عندما يكونون هم أصحاب الدعوة، فإنهم يكونون عندئذ دومًا قنوعين، أما إذا كانوا ضيوفًا، فإنهم لا يتركون أخضر ولا يابسًا، إلا نسفوه من فوق الطاولة.

فقد طبخت محشي ورق عنب، ومحشي كرنب وباذنجان وفلفل أخضر وبطاطس، وأصابع كفتة، وكباب حلة، وكباب طاووق، وأرز بقطع الكبد، وبامية، وسمك مشوي، وجمبري مع زبدة بالتوابل، ومكرونة بالبشاميل، وسلطات بابا غنوج وطحين وسلطة خضراء، وكان الحلو بسبوسة وكنافة.

فأكل الألمان حتى ظهرت عليهم أمارات الثمالة والدوار، فهدأت من روعهم، ووعدتهم بتوزيع الطعام الباقي عليهم، فلم يرفض أحد منهم ذلك، لأنهم يريدون أن يعرّفوا أولادهم بهذا الطعام، الذي يختلف عن عينات الطعام التي توضع في أطباقهم، ويزعمون أنهم يراعون البعد الجمالي في وضع الطعام في الأطباق، لأن «العين تأكل أيضًا»، ولكن العين لا يمكن أن تأكل إذا لم تجد المعدة ما يسكت صريرها من فرط الجوع، والاستمتاع بالطعام يكون بعد سد الرمق أولًا.

ليس هناك طعام ألماني

كل كتب الطبخ الألمانية التي اطلعت عليها، تقول إن كل منطقة لها تفردها في الأطعمة الخاصة بها، وليس هناك طعام منتشر في كافة أنحاء ألمانيا، فمناطق الجنوب، لها طعامها الذي يشبه ما يتناوله سكان النمسا وسويسرا، ومناطق الجنوب الغربي في ألمانيا، متأثرون بالمطبخ الفرنسي، وأهل المناطق الغربية يطبخون مثل جيرانهم الهولنديين، وسكان شرق ألمانيا، يأكلون أطعمة تشبه الطبخ في دول شرق أوروبا.

ولكن أشهر الوجبات التي يعرفها العالم عن الألمان هي (زاور كراوت) وهو الكرنب الأبيض المخلل المخلوط باللبن الرايب، واللحوم من الخنزير والبقر

والحيوانات البرية، والتي تصنع على شكل سجق، ومنه سجق أبيض، علما بأن الألمان يحبون اللحم النيء ويأكلونه مع الخبز، ويعشقون البطاطس، وعندهم أنواع من الخبز لا أول لها ولا آخر، ممزوجة بدهن الخنزير، أو البصل أو التوابل.

طباع تناول الطعام

يتناول الألمان طعام الفطور مبكرًا، أقصد قبل الذهاب إلى العمل، وليس أثناء الدوام، كما اعتدنا في بلادنا، وهناك استراحة للقهوة تستمر نصف ساعة، ثم استراحة غداء لمدة تستمر ساعة تقريبًا، لأن الألمان يعملون في الغالب من الثامنة صباحا حتى الخامسة من بعد الظهر، لأنهم مطالبون بالعمل ٣٨ إلى ٤٠ ساعة أسبوعيًا. وتوفر الكثير من الشركات في ألمانيا طعام الغداء بسعر مخفض، ويكون العشاء من الخبز، والعسل، والسجق، أو من الزبادي والجبن بجميع أنواعه.

ويحب الألمان اللحوم حبًا جمًا، سواء من الحيوانات أو الطيور أو الأسماك، بل ومن القواقع، ومن الطريف أن ارتفاع اليد العاملة في ألمانيا، تجعل مصاريف نقل الجمبري مثلا من ألمانيا في ثلاجات على سفن شحن، والسفر بها إلى المغرب، لتقوم اليد العاملة الرخيصة هناك بتقشيره، ثم إعادة شحنه إلى ألمانيا، وتفريغه، أرخص من تكاليف اليد العاملة في ألمانيا فقط، ودون شحن.

أما الخضراوات فإن الألمان يعشقون خلط عدة أنواع منها، خوفًا من أن يصبح منظرها شهيًا، فيحرصون على إضفاء لمستهم اللاجمالية، أو الجمالية بمقاييسهم هم.

وتربطهم بالمكرونة علاقة حميمة، فيصنعون منها أشكالاً عديدة، بعضها مثل الدود، حيث تكون أكثر سُمكًا من المكرونة الاسباجيتي الإيطالية، وشكلها غير متناسق، ويصنعون بعضها على شكل كرات بحجم كرة البنج بونج، تسبح في شوربة أقل جاذبية منها.

وتعامل المطبخ الألماني مع التوابل مختلف عن المطبخ العربي، فالطعام اللبناني مثلاً الذي يبدع في التعامل مع هذه التوابل، يجعلها أحلى مذاقًا، وأكثر فتحًا للشهية، أما التوابل الكثيرة الاستخدام مثل الخردل، فتضاف إلى السجق الأبيض البافاري،

أشهر الوجبات التي يعرفها العالم عن الألمان هي (زاور كراوت) وهو الكرنب الأبيض المخلل المخلوط باللبن الرايب، واللحوم من الخنزير والبقر والحيوانات البرية، والتي تصنع على شكل سجق، ومنه سجق أبيض

فكأنك أردت أن تزيل الشحم من يديك فصببت عليه حامض مركز، يكوي ولا ينظف، فالخردل يلهب الفم، دون أن يزيل الطعم الكريه لهذا المدعو السجق الأبيض.

الألمان والشراب

في داخل كل ألماني برميل لا قاع له، فهو يشرب فنجان القهوة تلو الآخر، خاصة أثناء النهار، أما المساء فهو وقت تناول البيرة، بكافة روائحها الكريهة، والكحوليات هناك لها تراث وتاريخ متأصلان في ألمانيا، فهذا خمر أحمر، وهذا أبيض، وهذا من العنب، وذاك من التفاح، وضحايا الخمر وإدمانه في كل محطة قطار، يتسكعون ليل نهار، يطلبون الصدقة، ليعودوا إلى الشرب من جديد.

أما الماء المعدني فيشربه الألمان بلا حساب، ويبدو أن الأطباء يحصلون على عمولة من شركات تعبئة الماء المعدني، فعلاج كل الأمراض عندهم، تناول الماء بشراهة، والماء المعدني أنواع بالغاز القليل والمتوسط والكثير وبدون غاز، وبطعم الليمون أو البرتقال أو غيرهما.

الطعام الألماني والمسلمون

أسوأ ما في الطعام الألماني أنه غالبًا لا يصلح للمسلمين، فمثلاً إذا طلبت سلطة بطاطس، فإنك ستجد فتافيت حمراء، هي عبارة عن قطع من دهن الخنزير، وهذا الدهن اللعين، تجده في أشياء لا تخطر على بالك، ففي مرة دخلت مطعمًا فاخرًا، وطلبت سمكًا مقليًا، وأكدت على الجرسون أنني لا أريد خمرًا في طعامي، ولا خنزيرًا، فجاء السمك

المقلي، على طبق كبير، وبجانبه بقدونس ليزيّنه، ولكن الرائحة المثيرة للشكوك جعلتني أسأله عن نوع السمن أو الزيت المستخدم في القلي، فقال لي بافتخار إنه دهن الخنزير، ولم يفهم أن رفضي للخنزير يسري على شحمه ولحمه.

ومرة أخرى طلبت صدور دجاج، وكان شكلها شهيًا، فوضعت الشوكة، وقطعتها بالسكين، لأجد أن هذه الصدور محشية في الوسط، بشرائح من الخنزير.

أما مطاعم الستيك هاوس، التي تقدم اللحوم المشوية أو المحمرة، فإنها تضع بعض الكحول، ليضفي عليها مذاقًا مميزًا بزعمهم، ويبررون ذلك بأن الكحول يتبخر، وتبقى النكهة.

والحلويات الألمانية الراقية كلها تقريبًا بالكحول، فالشيكولاته الغالية مصنوعة من كحول غال، والشيكولاته الرخيصة بها أيضًا كحول في كثير من الأحيان، وكذلك التورته والجاتوه، وهناك أنواع كثيرة لا تصلح بغير الكحول.

ولذلك ليس أمام المسلم إلا أن يفتش عن مطعم تركي أو عربي لتناول الطعام، ولكن حتى عند هؤلاء يوجد البعض ممن يخلطون اللحم البقري بالخنزير في صنع الطعام، لأنه أرخص بالنسبة لهم، وحتى الشاورمة بعضها من الخنزير، وبعض المطاعم اللبنانية أو الفلسطينية أصحابها إما مسيحيون أو مسلمون لا يأبهون بتعاليم الدين فيبيعون الخمر، ويزعمون أنه بدون الخمر لا يأتي الألمان إليهم، ولذلك فالحذر واجب، حتى ولو أقسموا لك على المصحف، مادامت زجاجات الخمر مرصوصة تعلو فوق رؤوسهم.

الألمان والطعام الأجنبي

وجود أكثر من مليوني تركي جعل الألمان يتعرفون على أنماط حياتهم، وطعامهم، ولذلك فإن الشاورمة التركية مشهورة ومحبوبة للغاية في ألمانيا، خاصة أن السندويتش كبير الحجم، رخيص السعر، لأن المطاعم التركية يعمل فيها أفراد الأسرة جميعًا، بدون مقابل تقريبًا، فتكون التكلفة منخفضة.

كما عرف الألمان أيضًا الطعام اليوناني، والمكسيكي، والإسباني، واللبناني، والصيني طبعًا، والفرنسي، والإيطالي، كما اجتاحت المطاعم الأمريكية المدن الألمانية، فماكدونالدز يحتل حاليًا المرتبة الأولى من حيث عدد المطاعم في ألمانيا، فهو في القطارات، وفي الطرق السريعة، وفي كل مدينة، رغم التحذيرات من عواقب هذا الطعام السريع.

وحتى الألمان الذين لا يحبون الأجانب، ويعتقدون أنهم أقل منهم تحضرًا، وأنهم يأخذون أماكن العمل منهم، ويطالبون برحيلهم وعودتهم إلى بلدانهم الأصلية، فإنهم غير مستعدين للتنازل عن سندويتش الشاورمة التركية، أو البيتزا الإيطالية، أو الهامبورجر الأمريكي، أو الفلافل اللبنانية، ولذلك فإنني واثق من أن الأجانب سيجدون دومًا من يطالب ببقائهم، أو على الأصح لبقاء طعامهم الذين يعرفون كم هو لذيذ، بعد أن جربوا الطعام الألماني، عافانا الله وإياكم منه!.





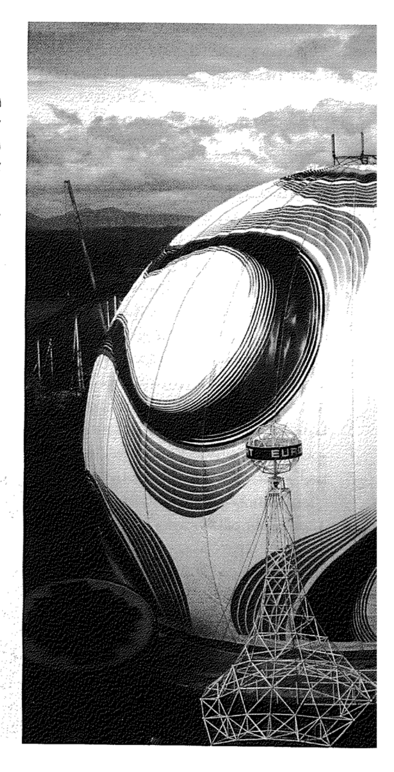
كأس العالم ٢٠٠٦

الاستعدادات - التوقعات - الأخطار - الفوائد

شكري عبدالحميد * - ألمانيا

* مراسل صحفي .

بدأت الساعة في الدوران استعدادًا لاستضافة بطولة كأس العالم لكرة القدم ٢٠٠٦ في ألمانيا، وجندت ألمانيا كل ما تملك رياضيًا من أجل هذا الحدث العالمي لانطلاق البطولة الثامنة عشرة من منافسات كأس العالم... الكل في ألمانيا ينتظر بفارغ الصبر يوم التاسع من يونيو القادم موعد انطلاق الفعاليات التي تستمر لمدة شهر جاذبة أنظار العالم، ويتسابق المنظمون تحت قيادة «القيصر» فرانس بكنباور «رئيس اللجنة المنظمة للبطولة» في منظومة رائعة لإخراج هذا التنظيم على أحسن وجه إذ يراهن الألمان على تقديم لوحة فنية فائقة التنظيم. يعول الألمان على معايير الجودة الألمانية الشهيرة لتكون البطولة القادمة الأروع من ناحية النوعية والابتكار والتسامح والمحبة والانفتاح على الآخرين لتقديم رسالة سامية إلى العالم بشتى طوائفه بمعاني الرياضة الرفيعة الداعية إلى التمسك بالخلق الرياضي مهما تكون النتائج، والأهم هو التجمع والالتقاء والتعرف على تقاليد الآخرين وعاداتهم.



وعليه يؤكد بكنباور «أن بلاده قادرة منذ نالت شرف الاستضافة لهذا الحدث الرياضي العالمي على تدعيم سمعتها وتحويله إلى مهرجان احتفالي كبير لكرة القدم يتسم بالبهجة والفرحة، ويسير بسهولة ويسر في بلد محب للسلام».

ومنذ أن نالت ألمانيا شرف هذه الاستضافة عام ٢٠٠٠ وهي في حالة طوارئ دائمة على كافة الأصعدة الخاصة بالاستعدادات، وربما لا يعرف الكثيرون أن ألمانيا وضعت خطة استراتيجية للترشح لبطولة عام ٢٠٠٦ في عام ١٩٩٣، إذ أعلنت تشكيل لجنة لهذا الغرض، نجحت في نيل هذا الشرف في عام ٢٠٠٠، وكثف رئيس اللجنة بكنباور الجهود حتى تخرج البطولة في أوج الإبداع، إذ نظرًا للبنية التحتية الرائعة التي تمتلكها ألمانيا كان هناك دور فعال لها في أن تزيد ألمانيا من تحسين صورة ملاعبها وبناء الجديد من الأجيال الحديثة من الملاعب حتى تلائم اسم ألمانيا وتفوق في التنظيم من سبقوها، وكان اختيار اللجنة المنظمة العليا للبطولة صعبًا للملاعب الاثني عشر التي ستقام عليها المباريات في المونديال.



الاستعدادات على المستوى الرياضي والملاعب

نظرًا لجاهزية الملاعب الألمانية في مختلف المدن لاستضافة أي حدث رياضي، آثرت اللجنة المنظمة إجراء قرعة لاختيار الملاعب مع الاحتفاظ بحقها في اختيار الملاعب الرئيسة للبطولة مثل: برلين وميونخ وهامبورج ودورتموند وشالكه. وأجريت القرعة لاختيار المدن الأخرى وملاعبها لتقام عليها المباريات، وكانت لحظة صعبة إذ انتظرت تلك المدن نتيجة القرعة بشغف، وكانت هناك فرحة في مدن وبكاء في مدن أخرى لم يتم اختيارها. وفي النهاية تم اختيار المدن السبع الباقية، وكانت فرحة ما بعدها فرحة، نظرًا لما سيعود عليها من فوائد سياحية واقتصادية، وكانت هذه المدن هي: هانوفر – كولونيا – كايزرسلاوترن – لايبزج – فرانكفورت – نورنبرج – شتوتجارت، إضافة إلى برلين وميونخ وشالكه وهامبورج ودورتموند... وتضم هذه الملاعب ٦٣٧ ألفًا و٦٥٥ مقعدًا، كل منها تحفة معمارية. وما إن تم اختيار هذه الملاعب إلا ودخل مسؤولوها والمنظمون في تكثيف البناء والتعديل والإصلاح عليها حتى تخرج في أجمل صورة. ولتخرج أيضًا هذه التحف المعمارية إلى النور في وقت قياسي، الأمر الذي تحقق وأنجزه القائمون عليها بخطط متناهية الدقة، إذ:

• يمكن للمرء أن يذهب إلى هذه الملاعب بسهولة ويسر متناهيين.

• ويسير كل شخص إلى مقعده بتذكرته المختلفة الألوان والمؤدية إلى المقعد المشار إليه من خلال هذه التذكرة.

• يمكن للمشاهد القادم إلى الاستاد أن يرى صورة (ماكيت) للملعب على مقدمة هذا الاستاد توضح بجلاء هندسة الملعب وروعته في لوحة

هندسية، ماهية الاستاد وطرقاته ومدرجاته، ليلقي نظرة سريعة عليه قبل الدخول، أو حتى لمن يمر مرور الكرام أمام الملعب، إنها فكرة رائعة ابتدعها المهندسون لكي يتمتع الإنسان قبل مشاهدته المباراة.

وبدأت ألمانيا المراحل المهمة لهذه البطولة تحت شعار (العالم ضيف عند أصدقاء) هؤلاء الألمان ثلثا سكانهم يمارسون نشاطات رياضية، وتضم بنيتهم الرياضية أكثر من ٨٧ ألف ناد لمختلف أنواع الرياضة، ولذلك اهتم الاتحاد الألماني لكرة القدم بملاعب الكرة بشكل فائق الروعة، ولذلك عندما أعلن عن فوز ألمانيا بتنظيم البطولة لعام ٢٠٠٦ كان من الممكن القول إنها مستعدة للتنظيم بدءًا من العدد (صفر).

ملاعب وتحف معمارية

يأتي الاستادان العملاقان ميونخ وبرلين في مقدمة تلك الملاعب، فاستاد ميونخ تحفة معمارية تم بناؤه من الألف إلى الياء، وتكلف ٢٨٠ مليون يورو، ويتسع لـ ٦٦ ألف متفرج، وسيشهد مباريات الافتتاح ومباريات من الدور الأول للمنتخب الألماني والمنتخب البرازيلي ومباراة لدور الثمانية وإحدى مباريات الدور قبل النهائي.

أما استاد برلين فيتسع لـ ٧٤ ألف متفرج، وتكلفت إصلاحاته ٢٨٢ مليون يورو، وستقام عليه مباريات الدور الأول والثاني، وسيستقبل الحدث الأكبر وهو المباراة النهائية يوم ٩ يوليو.

استاد شالكه الذي بني كاملاً بتكلفة ١٩٢ مليون يورو، وتم افتتاحه عام ٢٠٠١، وتقام عليه مباريات الدور الأول. استاد هانوفر، ويتسع لـ ٤٥ ألف متفرج، وتكلف بناؤه ٦٣ مليون يورو، وتقام عليه مباريات الدور الأول ومباراة في دور الثمانية يوم ٦/٢٧.

ملعب كولونيا، انتهى البناء فيه منذ عام، بتكلفة ١١٠ ملايين يورو، وتقام فيه مباريات الدور الأول خاصة مبارة الأرجنتين وفرنسا ومباراة في دور الثمانية يوم ٦/٢٦، ويتسع لـ ٤٥ ألف متفرج.

ملعب دورتموند — من أكبر الملاعب الألمانية إذ يتسع لـ ٦٧ ألف متفرج، وتكلفت الإصلاحات به ٣٦ مليون يورو، وتقام عليه مباريات الدور الأول للمنتخب

عدد الكاميرات التي ستنقل الأربع والستين مباراة في ١٢ ملعبًا في مونديال ٢٠٠٦ ارتفع من ٢٦٠ إلى ٣٠٠ كاميرا عما كان عليه في البطولة السابقة

الألماني أيام ١٤ ، ٢٢ يونيو إضافة إلى مباراة الدور قبل النهائي في ٤ يوليو ومباراة للمنتخب البرازيلي.

ملعب كايزرسلاوترن، ويتسع لـ ٤٨ ألف و ٥٠٠ مقعد، وتم إجراء إصلاحات فيه بتكلفة ٤٨,٣ مليون يورو، وتقام مباريات الدور الأول عليه ودور الثمانية يوم ٦/٢٦.

ملعب لايبزج في شرق البلاد، وتم بناؤه بالكامل بتكلفة ٩٠,٦ مليون يورو بسعة ٤٢٦٥٥ متفرجًا، وتقام عليه مباريات الدور الأول ثم مباراة في دور الثمانية يوم ٢٤ يونيو.

ملعب فرانكفورت ويتسع لـ ٤٨ ألف متفرج بتكلفة ١٢٦ مليون يورو، وتقام عليه مباريات الدور الأول وإحدى مباريات دور الثمانية.

ملعب نورنبرج — يتسع لـ ٤٥ ألف متفرج، وتم افتتاحه في شهر يوليو الماضي وتكلفت إصلاحاته ٥٦ مليون يورو.

ملعب هامبورج — يتسع لـ ٥٠ ألف متفرج بتكلفة ٢٨٠ مليون يورو إذ تم بناؤه كاملاً، وتقام عليه مباريات الدور الأول وإحدى مباريات دور الثمانية.

استاد شتوتجارت — بسعة ٥٤٥٠٠ متفرج، وتكلفت إصلاحاته ٥٢,٧٥ مليون يورو، وتقام عليه مباريات الدور الأول والثاني.

وتحرص اللجنة المنظمة العليا للبطولة برئاسة بكنباور على إقامة مباريات الفريقين الألماني والبرازيلي على ملاعب ميونخ وبرلين ودورتموند — أكبر الملاعب سعة — حتى يكون هناك عائد اقتصادي، نظرًا للإقبال الجماهيري المتوقع على

مباريات الفريقين.

وعليه لم تبخل الحكومة واللجنة المنظمة في تقديم المساعدة لإتمام هذه المنظومة الهندسية والمعمارية للملاعب التي تكلفت جميعها مليار و٣٢٨ مليون وستمائة وخمسين ألف يورو. ولم لا، والمحصلة رائعة إذ كسبت ألمانيا بنية تحتية جديدة ومعدلة لسنوات عديدة قادمة، أضف إلى ذلك العائد المادي والسياحي منها.

وحرصت اللجنة المنظمة على إجراء تجارب لهذه الملاعب قبل عام من بدء البطولة حتى يمكن علاج السلبيات بعد رؤيتها عمليًا، كما حدث في استادات فرانكفورت وكايزرسلاوترن ونورنبرج وميونخ – وتم تلافيها بدرجة فنية رائعة – ولم تكابر اللجنة والمنظمون بل تعلموا من الأخطاء وتلك السلبيات وعالجوها بدرجة فنية رائعة. أما على المستوى التنظيمي بعيدًا عن الملاعب فقد كانت المهمة صعبة وضخمة على عاتق اللجنة، إذ يتوقع أن يشاهد البطولة أكثر من ٣ ملايين متفرج لمبارياتها الأربع والستين في اثنتي عشرة مدينة، وسيحضر هذه النهائيات نحو أربعة عشر ألف إعلامي وصحفي، و٣٠٠ قناة تليفزيونية ويشاهدها نحو ثلاثة مليارات شخص في مختلف أنحاء العالم إلى جانب أكثر من خمسة ملايين شخص سيحضرون احتفالات المشجعين في المدن التي تستضيف المباريات. ومن ثم كان التنسيق كبيرًا بين اللجنة المنظمة والوزارات المختلفة ومن أهمها وزارة الداخلية والأمن والثقافة.

استعدادات ثقافية مصاحبة للبطولة

لم تشأ ألمانيا أن تفوت الفرصة لأن يواكب البطولة برنامج ثقافي، وانتهزت هذه البطولة ليكون هناك هذا البرنامج الثقافي والفني. إذ رصدت الحكومة ثلاثين مليون يورو لهذا الغرض، وكثفت من حملات التوعية والمشاريع في المدارس والأندية، إضافة إلى تجنيد آلاف المتطوعين من أجل إنجاح هذا الهدف وإطلاع الزائرين على ألمانيا في كافة الأوجه.

ميزانية البطولة... والفوائد المتوقعة

تبلغ ميزانية البطولة ٤٣٠ مليون يورو من مصادر عدة أهمها: مبيعات التذاكر ٢٠٠ مليون يورو – والاتحاد الدولي موّل البطولة بـ ١٧٠ مليون يورو، ٦٠ مليون يورو من الرعاة الرسميين. لكن مصاريف الاتحاد الدولي تصل إلى ٦٠٠ مليون يورو منها ٢١٥ مليون يورو ستمنح للفرق المشاركة في النهائيات، و٢٠,٧ مليون يورو لاستعدادات الفرق، ١٩٥ مليون يورو مكافآت للفرق الفائزة. وبدأت مؤشرات المكاسب الاقتصادية لألمانيا في الطريق قبل بدء البطولة، إذ بدأت البلاد في تحقيق الكثير إذ يشهد السوق الألماني زيادة مطردة في تسويق المنتجات المحلية قبل البطولة عن طريق بيع متعلقات رمزية للبطولة كالأدوات والملابس والكرات وغير ذلك، والنهوض بالسياحة لفترة أطول قبل البطولة وبعدها، وتوفر عدد من أفضل الملاعب في العالم للأجيال القادمة عن طريق بناء عدد منها وتطوير الآخر.

تقدر وزارة الاقتصاد العائد المتوقع من استضافة البطولة بحوالي ١٠ مليارات يورو ستظهر بشكل كبير في قطاع الاستثمارات ومشاريع البنية التحتية حيث يتوقع استثمار ما قيمته ٦ مليارات يورو في قطاع المواصلات وبناء الملاعب الرياضية والفنادق لاستيعاب الأعداد الهائلة من الزائرين.

ويتوقع الألمان مردودًا اقتصاديًا في الطلب الاستهلاكي تبلغ عوائده ما بين ٢ إلى ٣ مليارات يورو، ومن تحقيق نمو اقتصادي تصل نسبته إلى

تبلغ ميزانية البطولة ٤٣٠ مليون يورو من مصادر عدة أهمها: مبيعات التذاكر ٢٠٠ مليون يورو – والاتحاد الدولي موّل البطولة بـ ١٧٠ مليون يورو، ٦٠ مليون يورو من الرعاة الرسميين



٠,٥٪ من صافي أرباح الدخل القومي.

ولن تتوقف الاستفادة على القطاع الرياضي، بل هناك قطاعات أخرى ستستفيد من عوائد البطولة منها قطاع إنتاج الألعاب الالكترونية وشركات الخدمات الأمنية وإنتاج الوسائل الرياضية، وقد تصل إلى مليار يورو.

الاستعدادات الأمنية والتخوفات

هي جزء مهم، بل الأهم في البطولة نظرًا لموقع ألمانيا الفريد في أوروبا، وسهولة القدوم إليها عن طريق كافة البلدان الأوروبية، أضف إلى ذلك الوفود الرسمية والجماهير المصاحبة والقادمة من الخارج. لذلك اتخذت السلطات إجراءات أمنية مشددة خشية وقوع أحداث شغب وعنف قد تعكر صفو هذا الحدث العالمي. وهناك تخوف من افتعال البعض من المشاغبين فوضى ومشاكل فوضوية أثناء المونديال خاصة مع تأكيدات مسؤولين كبار من الحكومة مثل جونتر بيكشتاين وزير داخلية ولاية بافاريا أن المشاغبين يستعدون بقوة لكأس العالم، ولهذا أكدت اللجنة المنظمة العليا لكأس العالم ٢٠٠٦ أن ألمانيا تنوي فرض عقوبات رادعة ضد مثيري الشغب في الملاعب والمدن التي ستستضيف البطولة، حيث ستفرض عقوبات مشددة إلى جانب ترحيل المشاغبين غير الألمان إلى بلادهم على الفور، وأن مثيري الشغب سيتم تقديمهم للمحاكمة خلال ساعات أو أيام - إذا كانت الأدلة واضحة - إذ وضعت خطط محكمة من خلال المراقبة الدقيقة والشاشات العملاقة الجماعية الفخمة لمتابعة المشاغبين والقبض عليهم في أسرع وقت - وأن المسؤولين في كافة المدن الألمانية وضعوا أيضًا الخطط لترحيلهم خارج ألمانيا واتخاذ عقوبات تصل إلى السجن.

واتخذت السلطات الألمانية أيضًا إجراءات تتجاوز حجم الإجراءات التي فرضت في البطولات السابقة، وأجرت وزارة الداخلية الألمانية سلسلة من الإجراءات لتلافي أية أحداث إرهابية، وسيتم تفتيش ومراقبة كل الجماهير وفق النظام البيومتري في خطوة جديدة لمواجهة أية أحداث أمنية وأيضًا العمل بأنظمة جديدة عن طريق تجريب نظام الأبواب المتحركة من أجل ضبط عملية تدفق المشجعين إلى المدرجات.

زرع المئات من كاميرات المراقبة في ملاعب كرة القدم وأخرى في وسط المدن المستضيفة للملاعب والمباريات، وأيضًا قيام عشرات الخبراء ورجال الأمن من المكتب الجنائي والمخابرات وحماية الدستور!! بتحليل كل المعلومات تحسبًا لاحتمال وقوع أية عمليات إرهابية أو فوضوية. ومن ثم اجتمع

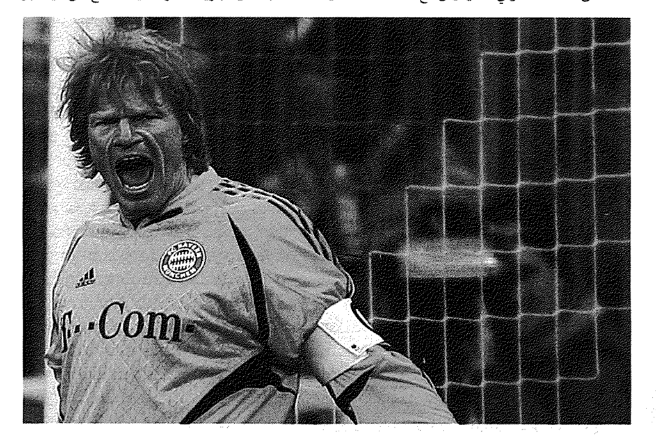
وزراء داخلية الولايات الألمانية لإقرار الخطة الأمنية اللازمة للحفاظ على الأمن والهدوء خلال المونديال. فالرقابة الأمنية ستعتمد إضافة إلى الإجراءات السابقة على المراقبة الإلكترونية في المدن والملاعب ورسم ملامح وجوه الإرهابيين والمشاغبين المطلوبين واكتشاف الأخطار قبل وقوعها، بل سارعت إلى تجريب إنسان آلي قادر على اكتشاف الأخطار النووية والبيولوجية والكيميائية، وتم تجربته في الملعب الأولمبي ببرلين – ويمكن للإنسان الآلي الذي يزن ٥٠ كجم ويشبه الدبابة وقيمته ٨٠ ألف يورو مراقبة مساحة تصل إلى ١٠ آلاف متر مربع دون توقف لمدة ١٢ ساعة مع نقل صور وتوجيه إنذار إلى المقر الرئيس في حالة وجود أي خطر.

ومن بين الأخطار التي طفت على السطح مؤخرًا وتهدد كأس العالم في ألمانيا ما طرح مؤخرًا من خطورة مشكلة إنفلونزا الطيور التي انتشرت في عدد من الدول الأوروبية ومنها ألمانيا وأثارت الخوف والهلع في كثير من المناطق بألمانيا بل إن إحدى الصحف الألمانية الواسعة الانتشار وهي «بيلد» تساءلت هل تلغى نهائيات كأس العالم؟ خاصة مع تزايد الأنباء من الاتحاد الدولي أنه يدرس مع السلطات الألمانية احتمال الإلغاء في حال تحول الفيروس إلى وباء، كما ذكرت صحيفة «أوساتدو» البرازيلية في هذا الشأن. لكن نائب رئيس اللجنة المنظمة للمونديال في ألمانيا هورست شميت أعلن: «أنهم مرتاحون ولا يجب البدء في الشائعات حول تطور الفيروس أو تداعياته على المونديال». وحدا الأمر بوزير الداخلية الألماني فولفجانج شويبله بالقول: «إنه لا يرى خطرًا على كأس العالم»، ووزير الصحة الألماني قال: «المونديال سيقام في موعده».

تلك شائعات تحوم حول كأس العالم لكن المؤكد أن ألمانيا باتت مستعدة تمامًا لاستضافة المونديال العالمي لـ ٢٠٠٦، ولم تترك شيئًا للصدفة والأهواء، وإنما خططت ودرست طويلاً على المستوى الإداري والتنظيمي سواء على مستوى الإقامة أو النقل التليفزيوني، ويبقى فقط – كما يرى الألمان – أن يتوجوا ذلك بالفوز بالبطولة، فهل تحقق ألمانيا الفوز بكأس العالم لعام ٢٠٠٦ بعد كل هذا التخطيط والاستعداد للتنظيم المرتقب للمونديال؟

على المستوى الفني

بعد أن أجريت القرعة في التاسع من ديسمبر



عام ٢٠٠٥ في لايبزج تم تقسيم الفرق إلى ثماني مجموعات :

المجموعة الأولى: ألمانيا – كوستاريكا - بولندا - الإكوادور.

المجموعة الثانية : إنجلترا - باراجواي - السويد - ترينداد وتوباجو.

المجموعة الثالثة : الأرجنيتين – كوت ديفوار – صربيا والجبل الأسود – هولندا.

المجموعة الرابعة: المكسيك – البرتغال – أنجولا - إيران

المجموعة الخامسة : إيطاليا – تشيكيا – الولايات المتحدة – غانا.

المجموعة السادسة: البرازيل – كرواتيا – اليابان – استراليا.

المجموعة السابعة : فرنسا – سويسرا – كوريا الجنوبية – توجو.

المجموعة الثامنة: إسبانيا – أوكرانيا – تونس – السعودية.

ورغم استضافة ألمانيا البطولة والترشيح المنطقي لها أن تفوز بالبطولة للمرة الرابعة في تاريخها إلا أن المؤشرات الأخيرة خاصة بعد هزيمة المنتخب الألماني من إيطاليا ٤/١ فإن الألمان عامة أصابهم القلق البالغ من حظوظ المنتخب بشأن مواصلة مسيرته في البطولة التي ستقام على ملاعب بلاده وبين جماهيره... إذ وجهت انتقادات حادة إلى المنتخب ومديره الفني يورجن كلينسمان خاصة من القيصر فرانس بكنباور رئيس اللجنة المنظمة للبطولة الذي يعتبر الآن بمثابة الأب الروحي للكرة الألمانية وموجهها، رغم دفاع بكنباور- من قبل - عن كلينسمان واعتقاده أن المنتخب الألماني بإمكانه تقديم عروض قوية في كأس العالم مستفيدًا من عامل إقامة البطولة على أرضه، لكن عدم نجاح كلينسمان في تقديم عروض طيبة مؤخرًا وجهت له سهام الانتقادات حتى إن رجال السياسة في ألمانيا أعربوا عن رغبتهم في مساءلة كلينسمان أمام البرلمان لشرح وجهة نظره بشأن اعتقاده فوز الفريق بالبطولة من عدمه خاصة بعد الأداء المخيب للمنتخب الألماني أمام إيطاليا، وأثار علامات استفهام حول قدرة كلينسمان على تعديل أوضاع الفريق قبل البطولة.. لكن عدم نجاح المنتخب الألماني على مدار خمس سنوات في تحقيق الفوز على أي من المنتخبات الكبيرة مثل البرازيل وفرنسا وإيطاليا وهولندا يزيد الأمر صعوبة وقلقًا داخل ألمانيا، ويبرر خبراء اللعبة ذلك بافتقاد الفريق للمواهب وليس لضعف في إمكانيات المدرب... ولكن الجميع يعول على نوعية المنتخب الألماني واللاعب الألماني عمومًا وإصراره على تحقيق الفوز رغم كل الصعاب ... خاصة مع ترشيح الخبراء بفوز القمم الكروية كالبرازيل وفرنسا وإيطاليا وهولندا وتشيكيا والأرجنتين بالبطولة وتأرجح الموقف بشأن المنتخب الألماني، لكن الألمان بعزيمتهم وإصرارهم قد يكون لهم رأي آخر ومخالف لمثل هذه التوقعات مع استغلال أن البطولة على أرضهم وبين جماهيرهم.

سيشاهد البطولة تلفزيونيًا وعمليًا في الملاعب وعلى الشاشات العملاقة ما يقدر بـ ٣ مليارات مشاهد وتنقله ٣٠٠ قناة تليفزيون، ويحضرها ١٤ ألف إعلامي وصحفي

ولهذا أيضًا لم يترك الاتحاد الألماني أي فرصة إلا وأكد ثقته بالفريق وبالمدرب كلينسمان وأنه مستمر مع المنتخب بل وهناك تصور لتمديد عقده بعد بطولة كأس العالم أيًا كانت نتيجة البطولة وفوز الفريق بالبطولة من عدمه، ويتضح ذلك التصميم على بث الثقة في نفوس لاعبيه برصد الاتحاد الألماني ٣,٥ مليون يورو لفريقه لو فاز بالبطولة. إذ أشار إلى أن المنتخب الألماني لن يحصل على أية مكافآت إذا فشل في تخطي الدور الأول للبطولة.

كأس العالم وأرقام

- عدد الكاميرات التي ستنقل الأربع والستين مباراة في ١٢ ملعبًا في مونديال ٢٠٠٦ ارتفع من ٢٦٠

إلى ٣٠٠ كاميرا عما كان عليه في البطولة السابقة.

- يبلغ عدد ساعات البث المباشر من ألمانيا إلى ٥٠ ألف ساعة، بفارق ٩ آلاف ساعة من البث المباشر عن المونديال السابق، تتابع كل التفاصيل الدقيقة للمشاهد من خلال التدريبات والمعسكرات وانطباعات الأجهزة الفنية واللاعبين.

- لأول مرة يتم تخصيص ٤ كاميرات متحركة عن بعد في زوايا الملعب الأربع.

- لأول مرة سيمكن للمشاهد في أي مكان في العالم أن يرى لقطات متنوعة ومختارة من المباريات المختلفة سواء على شبكة الإنترنت حتى لو كان في الطائرة أو على هاتفه المحمول.

- ستنقل المباريات مجانًا لسكان المدن الاثنتى عشرة المنظمة في ألمانيا ولن تذاع المباريات على شاشات عملاقة إلا في المدينة التي تنظم المباراة ليستفيد منها سكانها فقط.

- لن تتمكن الدول العربية من بث مباريات كأس العالم ٢٠٠٦ عبر قنواتها الرياضية كما حدث في مونديال ٢٠٠٢ إلا بعد إبرام اتفاق مع شركة راديو وتليفزيون العرب، والأخيرة اشترت من الشركة السويسرية كل الحقوق في منطقة الشرق الأوسط فضائيًا وأرضيًا وبكل اللغات، حيث إن هذه الشركة السويسرية حافظت بكل قوة وصرامة على حقوقها المشروعة.

- يبلغ عدد البطاقات المطروحة للبطولة لمشاهدة المباريات ٢ مليون و ٣٩٠ ألف تذكرة. عرض ثلثاها عبر الإنترنت.

- سيشاهد البطولة تلفزيونيًا وعمليًا في الملاعب وعلى الشاشات العملاقة ما يقدر بـ ٣ مليارات مشاهد وتنقله ٣٠٠ قناة تليفزيون، ويحضرها ١٤ ألف إعلامي وصحفي.

- تقام المباريات على ١٢ ملعبًا في اثنتي عشرة مدينة ألمانية.

- سيحضر أكثر من خمسة ملايين شخص احتفالات المشجعين في المدن التي تستضيف المباريات.

- ميزانية البطولة فقط ٤٣٠ مليون يورو.

- مصاريف الاتحاد الدولي تصل إلى ٦٠٠ مليون يورو.

- تبلغ مكافآت الفرق الفائزة بالبطولة والمراكز التالية ١٩٥ مليون يورو.

- تم بناء الملاعب وإجراء تعديلات وإصلاحات عليها في المدن الألمانية بداية من عام ٢٠٠٠ وحتى عام ٢٠٠٥ وتكلفت ١,٥ مليار يورو.

وعليه يتضح أن ألمانيا قبل أشهر قليلة من بدء فعاليات بطولة كأس العالم عام ٢٠٠٦ التي تنظمها على أرضها أصبحت جاهزة بنسبة تقارب المائة في المائة على مستوى الملاعب والنظام الأمني المحكم وعدم تزوير التذاكر وبيعها في السوق السوداء بعدما نجحت في بيع نسبة كبيرة منها عبر البريد الإلكتروني «الإنترنت» إضافة إلى إحكام المراقبة الإلكترونية المرتقبة في المدن الكبيرة والملاعب الموجودة بها، لكن التخوفات من الشغب المنتظر من بعض الجماهير، وأيضًا الفوضى المتوقعة من البعض الآخر، قد يضفي ظلالاً على هذا المونديال. لكن السلطات وضعت كل ذلك في الحسبان بالتعاون مع الوزارات المختلفة وأهمها الداخلية والمكتب الجنائي الاتحادي وحماية الدستور والاستخبارات السرية الألمانية، كل سيقوم بواجبه بتحليل كل معلومة أيا كانت تلك المعلومة مقلقة بوقوع عمليات إرهابية أثناء سير المباريات، رغم تلك المخاوف إلا أن الأمل كبير لدى ألمانيا في تحقيق الكثير من الفوائد المادية التي قد تصل إلى عشرات المليارات من اليوروات من السياحة والمبيعات للمتعلقات الخاصة بالمونديال وإيرادات المباريات، لكن كل ذلك قد يضيع أدراج الرياح إذا تعثر المنتخب الألماني في البطولة ولم يصل إلى الأدوار النهائية بعد ظهوره في عدد من المحافل والمباريات بمستوى يثير القلق، وهو ما دعا القيصر فرانس بكنباور رئيس اللجنة المنظمة العليا للبطولة إلى تحفيز الجهاز الفني بقيادة النجم كلينسمان واللاعبين وتذكيرهم باسم ألمانيا وبتاريخها الكروي وحصولها من قبل على ثلاث بطولات عالمية أعوام ٥٤، ٧٤، ١٩٩٠ وهو ما يعتبر الأمل الأخير لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وتحقيق البطولة الرابعة في تاريخ ألمانيا. لكن هل يتحقق هذا وسط عمالقة كروية مثل البرازيل وإيطاليا وهولندا والأرجنتين وفرنسا وغيرهم؟

هذا ما سيجيب عنه المونديال القادم من التاسع



من يونيو إلى التاسع من يوليو القادم.

ويبقي القول إن الألمان بقدر مايهتمون بنجاح المونديال العالمي على أرضهم فإنهم يسعون بكل قوة أن تكون هذه النهائيات بطولة مثالية من الناحية البيئية أي أن تكون بطولة خضراء خالية من أية أضرار بيئية ويبذل المسؤولون جهودًا مضنية في هذا المضمار تتمثل في :

- لا قطع لأشجار ولا أطنان قمامة يتم حرقها وتتسبب في أخطار بيئية.
- لا إهدار لماء الشرب.
- إطلاق يد المسؤولية للحكومات في كل ولاية ألمانية لاتخاذ الإجراءات اللازمة لمعالجة الأضرار التي ستنجم عن زيادة عوادم السيارات التي سيستخدمها آلاف المشجعين والمتنقلون بين المدن الاثنتي عشرة التي تضم استادات الكرة.
- اعتبار تذكرة المباريات صالحة لركوب المواصلات العامة داخل ألمانيا للحد من استخدام السيارات الخاصة ومن ثم تقليل العادم مما يساعد في الحفاظ على البيئة.
- عدم شراء أية بضائع رياضية من الخارج إلا بعد خضوعها للفحص البيئي الدقيق والتزام الشركات المنتجة بالمعايير البيئية الدولية.
- تنامي الوعي البيئي لدي القادمين خاصة في تناول الأطعمة وتخلصهم من بقاياها بطريقة تحافظ على البيئة والنظافة.

خطوات مهمة يتخذها المسؤولون والمنظمون عن المونديال العالمي في ألمانيا رياضيًا وتنظيميًا وبيئيًا، فالمحافظة على صحة الإنسان أمر مهم بجانب استمتاعه بمشاهدة المباريات وهذا ما يسعي اليه الألمان للخروج ببطولة كأس العالم في بلادهم في أكمل صورة فنية وبيئية حتى إن المراقبين والمهتمين يرون أن كأس العالم هذه ستكون بطولة فنية رائعة على المستوى التنظيمي والفني والكروي لكنها ستكون أيضا بطولة خضراء بداية من العشب الذي سيجري عليه اللاعبون وخضراء في كل مايحيط بها في كل المجالات لأن الحفاظ على البيئة وصحة الإنسان لايقل أهمية عن فوز ألمانيا بالبطولة أو الاستمتاع بفنيات كرة القدم■

الثروة غير الملموسة



عبدالكريم بكار - الرياض

نحن في أمس الحاجة إلى امتلاك رؤية تنموية شاملة ومتكاملة، وينبغي أن ينظر إلى التنمية على أنها الإدارة الجيدة لثروات البلاد.

إن كل بلد في العالم يملك ثروات مقدّرة، وإن نموه الحضاري يشكل مؤشرًا حقيقيًا إلى حسن إدارة ثروات ذلك البلد. يمكن تقسيم ثروات أي دولة إلى ثلاثة أقسام أو عناصر، هي: الثروة الطبيعية، والثروة المنتجة (أدوات الإنتاج) والثروة غير الملموسة. وتشير بعض الدراسات التي أجراها بعض اقتصاديي البنك الدولي إلى أن الثروة الطبيعية تشكل نحوًا من (٤٪) من ثروات معظم بلدان العالم في الحد الأوسط، على حين أن الثروة المنتجة تشكل ما يقارب (١٧٪). أما الثروة غير الملموسة، فتشكل الباقي، وهو (٧٩٪). وهذه الأرقام مذهلة بكل المقاييس، لأنها تدل على أن ما تتغابن به الأمم في حقيقة الأمر، هو الثروة غير الملموسة، لأنها تشكل معظم ثروات الأمم والشعوب. وتفيد دراسات أخرى أن الثروات غير الملموسة تسهم في (٨٠٪) من ثروات الدول مرتفعة الدخل في العالم على حين أنها تسهم بـ(٦٨٪) من ثروات الدول متوسطة الدخل، على حين أنها تسهم بـ(٥٩٪) من ثروات الدول المنخفضة الدخل.

أما الأصول المنتجة فمساهمتها في مجمل الثروة متقاربة على مستوى المجموعات (١٧٪) و(١٩٪) و(١٦٪) لمجموعات الدخل المرتفع والمتوسط والمنخفض. أما الأصول الطبيعية فهي: (٢٪) و(١٣٪) و(٢٦٪) على التوالي. وهذا يعني أن الثروة غير الملموسة أو ما يمكن أن نسميه بالإمكانات الأخلاقية والإنسانية، يسهم بالقسط الأكبر من مكونات ثروات الأمم الغنية، على حين أن الموارد والثروات الطبيعية تلعب دورًا أكبر في تشكيل ثروات الأمم الفقيرة. وأنا في هذا المقال سأحاول شرح هذه المسألة وإيجاد نوع من المقاربة لها عبر المفردات الآتية:

١- يعلق جلّ الأمم آمالاً عريضة على تنمية الإنسان وإصلاح أحواله بوصف كثير من ذلك متاحًا لكل أمم الأرض، وهذا الاتجاه اتجاه قرآني في الحقيقة، حيث إننا لو استعرضنا آيات الذكر الحكيم لوجدنا أن أكثر من (٩٠٪) منها يتحدث بصورة من الصور عن إصلاح الإنسان بل ويبدو أن هذه الرؤية تشكل جزءًا مهمًا من دعوات الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- على امتداد التاريخ البشري، ونجد هذا واضحًا فيما قاله نوح- عليه السلام- لقومه: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارًا يرسل السماء عليكم مدرارًا، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارًا﴾ (سورة نوح: ١٠-١٢).

إن الاستغفار الذي يعبر عن الأوبة والاستقامة سبب في نزول الغيث وكثرة الأموال والخيرات والأولاد.

٢- لم يعد هناك شك في أن العالم قد دخل مرحلة تنموية متطورة تقوم على رؤية جديدة لمذخورات الأمم ومحركات نهضتها، ويشكل الجانب الروحي والخلقي لدى الإنسان بالإضافة إلى الجانب الفكري والثقافي حجر الزاوية في هذه الرؤية. وهذا يعني بعبارة أخرى أن الازدهار ينتظر من يعلّم ويربي بطريقة أحسن وأفضل، ومن يمتلك المؤسسات التعليمية والتقنية والبحثية الممتازة. وهذا بالنسبة إلينا موضوع محزن للقراءة، إذ ليس لدينا سوى مؤسسات من الدرجة العاشرة وإنك لتعجب ألا يكون في العالم الإسلامي بطوله وعرضه جامعة واحدة مصنفة ضمن الجامعات المئة الأولى في العالم.

٣- لو تساءلنا ما عناصر الثروة غير الملموسة لأمكننا أن نعد منها:

أ- الاستقامة الخلقية والسلوكية، حيث إن الانحراف يجعل الدولة- وكذلك المجتمع- تنفق نفقات باهظة على الأمن والصحة. ولو أردنا أن نعرف مدى ما يتم إنفاقه على هذا الصعيد، فلننظر إلى المشكلات الهائلة التي يثيرها إدمان المخدرات والرشوة والسرقة ونهب المال العام، ولننظر إلى الأموال التي تنفق على أجهزة الأمن والشرطة والسجون والمصحات النفسية... إن كثيرًا من الجهود والأموال، يمكن توفيره وتوجيهه إلى سد حاجات الناس وتحسين مستواهم المعيشي. ومن هنا فإن من الواجب نشر الأرقام المتعلقة بتكاليف الانحراف، ومحاولة نشر ثقافة مجتمعية تحبذ الاستقامة الخلقية والسلوكية، وتوضح المخاطر التي يتعرض لها المجتمع بسبب سوء سلوك بعض أبنائه.

ب- التكافل الاجتماعي إذ إن ما يقدمه الناس من مساندة ودعم للعناصر الضعيفة وذوي الظروف الصعبة، ذو تأثير بالغ في مساعدتهم على مواجهة التحديات وفي الارتقاء بأوضاعهم وأحوالهم. في بعض البلدان الإسلامية متوسطة الحجم يقدم سكان العاصمة والمدن الكبرى الفرصة لأبناء أقربائهم الراغبين في الدراسة في الجامعة لأن يسكنوا معهم، ويأكلوا من طعامهم. وقد أدى هذا فعلاً إلى تمكن عشرات الألوف من الطلاب من إنهاء دراسة المرحلة الجامعية، ومن غير هذه المساعدة كان ذلك صعبًا أو غير ممكن. وفي هذا السياق لا بد أن نجأر بالشكوى من ضعف الاهتمام في أسرنا ومدارسنا بالتربية الاجتماعية ومساعدة الآخرين والإحساس بهم، ويؤسفني القول: إن بعض الأسر في العالم الصناعي متقدمة في هذا الشأن على كثير من الأسر الإسلامية، مع أننا نملك الأساس العقدي والفقهي والأخلاقي لتقديم نماذج متفوقة جدًا. وعلى سبيل المثال فإن ما سماه الأصوليون (الكليات الخمس) وهو حفظ الدين والعرض والنفس والمال والعقل، يصلح جعله محاور أساسية للتربية الاجتماعية، حيث تقوم تربية الطفل وتعليمه على أن المسلم كما أنه مطالب بالمحافظة على تدينه الشخصي والمحافظة على نفسه وماله وعقله وعرضه، كذلك فإنه مطالب برعاية الآخرين والمحافظة على تدينهم وعلى صيانة أنفسهم وعقولهم... لكن يبدو أن (الفردية) لدينا نامية أكثر مما ينبغي!

ج-التعليم عنصر أساسي في تكوين الثروة غير الملموسة، والحقيقة أن تحصيل المزيد من العلم والمعرفة، لا يساعد على التلاؤم مع متطلبات السوق من الاستعداد المهني فحسب، وإنما يغير نوعية الحياة، ويوجد لدى المتعلم استعدادًا أكبر لاستبيان المتغيرات الجديدة، والتعامل مع التحديات المعاصرة. وقد دلّ الكثير من الدراسات على أن ما ينفق من مال في التعليم يتم استرداده بشكل أسرع مما ينفق في الصناعة أو الزراعة... وهذا من المعروف المشهور الذي لا يحتاج إلى شرح.

د- نزاهة واطمئنان الناس إلى حقوقهم وشعورهم بوجود جهات قوية وموثوقة تمنعهم من الظلم. وهذه الجهة هي القضاء النزيه والمستقل والنشيط. والحقيقة أن التعليم والقضاء يشكلان المؤشر الدقيق لأحوال الشعب، فإذا صلحا، دل ذلك على صلاح الأحوال العامة كلها، وإذا فسدا أو ضعفا لم يستقم في ظل فسادهما أي شيء.

إن الثروات تتعاظم في ظل الأمن ووجود درجة عالية من العدل والإنصاف حيث يتم بناء الثقة، ويتشجع الناس على زج أموالهم في دورة الإنتاج، وتتأسس الأعمال البعيدة المدى... ولو تأملنا في أحوال الدول الغارقة في الفساد والدول الغارقة في الفقر، لوجدنا ذلك التلازم اللافت بينهما، فالفساد يجلب المزيد من الفقر، كما يدفع الفقر في اتجاه المزيد من الفساد، وهكذا يكون المجتمع في دورة معيبة لا يعرف كيف سيخرج منها لتوفير بيئة ومناخ لجذب الاستثمارات الأجنبية، حيث إن كثيرًا من سوء الأحوال في الدول النامية، يعود إلى ضعف رأس المال الوطني ونقص التمويل المطلوب لإقامة المشروعات وتوفير فرص العمل. إن السبب الأهم في التقدم الصناعي والحضاري السريع لبعض دول جنوب شرق آسيا، يعود إلى تمكنها من توفير البيئة المطلوبة لتدفق أموال الغرب. عناصر البيئة تتكون من قوانين حماية فعالة لرأس المال ومن قضاء عادل وحاسم وبنية تحتية جيدة، ومرونة إدارية، وعمالة متدربة تدريبًا حسنًا، وأيضًا النظر إلى أصحاب رؤوس الأموال الوافدة على أنهم شركاء في صنع الرفاهية وليسوا منافسين.

تنمية الثروة غير الملموسة هي الشيء الأصعب، والأسهل في آن واحد، ومع العزم والوعي يتحقق الكثير.■



هل شعلة الطموح تكمن في: الجينات أم العائلة أم البيئة؟

الموضوع: Ambition Why Some People Are Most Likely To Succeed
الكاتب: Jeffrey Kluger
المصدر: مجلة تايم ١٤ نوفمبر ٢٠٠٥م
ترجمة بتصرف: إيمان الكرود

لا يمكن أن تصبح ناجحًا مثل «جرج»و «درو شيب» عن طريق المصادفة. صافح الأخوين التوأم اللذين يبلغان من العمر ستة وثلاثين عامًا ويملكان نادي اللياقة الشخصية المتوسع «هاي فاي» في «شيكاغو» وستكتشف أنك أمام شخصين يشعان حماسًا. لكن هذه لم تكن الحالة دائمًا. فوالد التوأم أسس شركة جوفان للعطور الذي كان مشروعًا ضخمًا يدر من العوائد العالية ما جعل الصبيان يسرحون ويمرحون في المرحلة الثانوية ويلهون في الجامعة دون أن يحملوا هم دفع الإيجار أو تعبئة الثلاجة. ولكن قبل أن يتخرجا بدأ إحساسهما بأنهما يعيشان بلا هدف ينغص عليهما حياتها، وفي نفس الوقت تقريبًا باع والدهما الشركة بثمن بخس. ومعها ذهبت تلك المناصب المريحة في مرحلة الشباب التي مثلت دائمًا دعمًا عاطفيًا للصبيين.

لكنهم نجحوا. في الوقت الذي تخرج فيه الأخوان في الجامعة كان كل منهما قد نجح في أن يغير نفسه كليًا ليتحولا بذلك من صبيين كان من الممكن أن يكبرا ويعيشا على ثروة عائلتيهما إلى رجلين تتملكهما طاقة في أن يعتمدا على نفسيهما ويكوّنا ثروتهما الخاصة. يقول جرج «أعتبر نفسي طموحًا بطريقة جنونية».

هذا ما يظهر. في عام ١٩٩٨م توجه الأخوان إلى تجارة النوادي الرياضية. ووجدا ناديًا صحيًا متواضعًا يدر أرباحًا متواضعة. اشتريا المكان من صاحبه وحولاه إلى مكان فاخر يستطيع المدربون الخصوصيون أن يحجزوا مكانًا فيه لزبائنهم الأغنياء. ومنذ ذلك الوقت انتقلت الشركة بعد أن ضاق المكان بها إلى مبنى آخر، ثم مبنى ثان، وهم الآن بصدد الانتقال إلى مبنى ثالث. جرج وهو خريج اتصالات يتولى أمر الزبائن، بينما درو وهو خريج إدارة أعمال يتولى المهمة الأصعب فيشرف على الأمور المالية والتوسع. يقول درو: «نحن لا نجلس ساكنين. وحتى الآن رغم أننا نقوم بضعف ما كنا نقوم به في المبنى القديم مازال هناك تعطش لابد أن يروى».

لماذا هذا؟ لماذا هناك أشخاص يولدون بنار مشتعلة في أحشائهم، بينما البعض مثل الأخوين شيب يحتاج إلى موقف يشعل الشعلة داخلهم؟ ولماذا البعض الآخر لا تشتعل شعلة الطموح في داخلهم أبدًا؟ هل هناك على أي حال عائلة لا تحتوي على أفراد منجزين وآخرين مخفقين، من أمثال جيمي كارتر و بيلي كارتر، وجيب بوش ونيل بوش، ثم لا تجد نفسها تتساءل كيف خرج هؤلاء من البركة الجينية ذاتها؟

من بين جميع الدوافع في الملف السلوكي للإنسان، الطموح -الحاجة إلى أن تخطف دائمًا قطعة أكبر من فطيرة الموارد قبل أن يحصل عليها شخص آخر. الحاجة إلى التفوق قد يرى البعض أن من المفترض أن تكون مزروعة فينا بالتساوي.

ومع ذلك فهي ليست كذلك. كل شخص مسكون

برغبة الإنجاز يقابله شخص آخر راض بما يعرض له في الحياة. كل شخص يختار أن يعمل ثمانين ساعة في الأسبوع يقابله شخص آخر يغادر مكتبه في الساعة الخامسة. الرجال والنساء كما يقال يعبرون عن طموحهم بطرق مختلفة. كذلك الأمريكيون والأوروبيون، جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية والأجيال التي ولدت بين الستينيات والثمانينيات، الطبقة المتوسطة والغنية. وحتى بين الأشخاص المتحمسين بوضوح هناك درجات متفاوتة من الطموح. ستيف وزنياك ساهم في تأسيس شركة أبل المشهورة، ثم بعد ذلك غادر الشركة عام ١٩٨٥م مليونيرًا في الرابعة والثلاثين. شريكه ستيف جوبز ما زال يجدد في أبل، بينما يعمل في شركته الكبرى الثانية، بيكسر أنيمايشن ستوديو، التي تحقق نجاحًا كبيرًا.

لسنا فقط نحاول جاهدين أن نعرف لماذا يملك بعض الأشخاص طموحًا أكثر من الباقين، ولكننا أيضًا لا نستطيع أن نتفق على تعريف الطموح. يقول عالم الإنسانيات إدوارد لوي من جامعة سوكا في أمريكا: «الطموح هو أحد نتائج عملية التطور لدى الإنسان. ليس من المهم كيف تعرف الرتبة الاجتماعية. هناك مجموعة معينة من الناس في كل مجتمع يطمحون إليها برغبة طاغية ومجموعة أخرى لا تسعى لها بتلك الرغبة». دين سيمنتون وهو عالم نفس من جامعة كاليفورنيا يدرس العبقرية والإبداع وغرابة الأطوار يعتقد أن الطموح معقد أكثر من ذلك. فيقول: « الطموح هو طاقة وتصميم. ولكنه يحتاج إلى أهداف أيضًا». الأشخاص الذين يمتلكون الأهداف ولكنهم لا يمتلكون الطاقة هم الذين ينتهي بهم المطاف جالسين على الأريكة وهم يقولون» في يوم من الأيام سوف أبني مصيدة فئران أفضل.أما الأشخاص الذين يمتلكون الطاقة ولكنهم من غير أهداف واضحة فهم الذين يستهلكون أنفسهم في مشاريع عشوائية غير مدروسة واحدًا بعد الآخر».

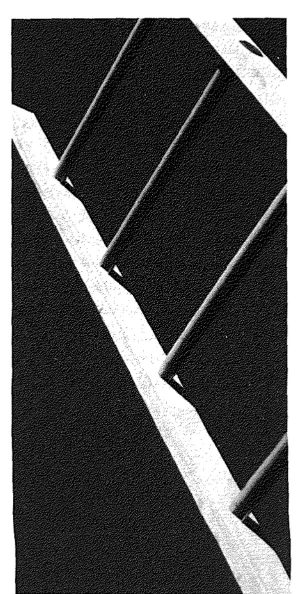
لنفترض أنك تملك الدافع والأحلام والموهبة فهل كل الطموح متساوٍ؟ هل المحامي المجتهد الذي يعمل فوق طاقته مع شركائه أكثر طموحًا من الأم المجتهدة في الأمومة؟ هل الموسيقي الناجح الذي تأتيه الألحان بسهولة مدفوع أكثر من نظيره غير الناجح الذي لا يكتب كل نوتة موسيقية إلا بشق الأنفس؟

الأمر الأكثر إشكالاً ماذا لو تحول الطموح المطلوب إلى أكثر من اللازم؟ الأحلام العظيمة المجردة من الأخلاقيات هي من أخلاق الطغاة .

دوام اليوم المملوء بالتوتر الشديد والوجبات التي تتناول على مكتب العمل هو المؤدي لحموضة المعدة والأزمات القلبية. حتى بين الأطفال، الطموح الأكثر من اللازم يتحول سريعًا إلى ضرر حقيقي. في دراسة أنهيت قريبًا قام عالم الإنسانيات بيتر ديميراث من جامعة أوهيو ستايت بعمل دراسة على ٦٠٠ طالب من إحدى المدارس الثانوية للمتفوقين، حيث جدول الطلاب مزحوم ثلاث مرات أكثر من غيرهم بالكورسات المكثفة والرياضات ووظائف ما بعد المدرسة. حوالي ٧٠٪ منهم قالوا إنهم بدؤوا يشعرون بالضغط بعض أو كل الوقت. يقول ديميرات: «سألت أحد الأولاد ما هي ردة فعل والديه حيال حصته من العمل، فأجاب: أنا لا أذهب إلى البيت كثيرًا، ثم سلمني بطاقة العمل الخاصة به من محل الفيديو الذي يعمل به».

علماء الإنسانيات، وعلماء النفس وغيرهم بدؤوا يدرسون بدقة هذه الأمور بحثًا عن جذور الطموح في العائلة والثقافة ونوع الجنس البشري والجينات وغيرها. وحتى الآن لم يزيحوا الستارة كلية و لكنهم بدؤوا يرفعونها. يقول لوي من جامعة سوكا:«إنه من أساسيات الإنسانية أن نكون حريصين على المنزلة الاجتماعية. ليس من الكافي أن تؤمن الطعام والمسكن. الناس يريدون أكثر».

ولكن إذا كان البشر مخلوقات طموحة فمن الواضح أننا لسنا الوحيدين. الكثير من الحيوانات معروفة بأنها تظهر ميولها الطموحة منذ الولادة. وحتى قبل أن يفطم صغار الذئاب تبدأ بتصنيف أنفسها إلى حيوانات مسيطرة alpha على جميع الأنواع الأخرى. الحيوانات المسيطرة أسرع و أكثر فضولاً و أكثر طمعًا بالمكان و الحليب و الأم، وهم يبقون على هذه الحالة طوال حياتهم. ذئاب الألفا تتجول بحرية في مساحات كبيرة وتنجب سنويًا وتعيش حتى تبلغ عشرة أو أحد عشر عامًا. الذئاب الأقل رتبة لا تتمتع بأي من هذه المزايا، فتظل قريبة



من مسكنها وتنجب نادرًا وتموت غالبًا قبل أن تبلغ الرابعة. البشر دائمًا ما يظهرون نفس الحتمية الطبعية. العائلات مليئة بقصص عن الطفل المليء بالطاقة الذي يكبر ليصبح مغامرًا والطفل الهادئ الذي لم يظهر عليه أبدًا الكثير من الحماس. ولكن إذا كانت الجينات هي المسيطرة على الموقف فما الذي يفسر حالة التوأم شيب اللذين لم يتداركا أنفسهما إلا في فورة النضج؟ وماذا يشرح حالة التوأم المتطابق: نسخ جينية متطابقة تمامًا من المفترض أن تكون متطابقة في الطباع ولكن يظهرون اختلافات كبيرة في مدى طموحهم؟

دراسات قائمة على التوائم المتطابقة قاست دافع الإنجاز لغة المعمل للطموح. في التوائم المتطابقة الذين تم فصلهم عند الولادة وجدوا كل واحد من هؤلاء التوائم يتشارك في ٣٠٪ إلى ٥٠٪ من صفات الآخر. في لغة علم الوراثة هذا يعني الكثير. وكما يقول عالم الوراثة دين هامر من المعهد الوطني للسرطان:«إنه مقياس للوراثة». ولكن هذا يترك أشياء كثيرة يمكن أن تحدد عن طريق تجارب الطفولة والتربية اللاحقة وأشياء لا تعد لا يمكن قياسها.

بعض هذه المتغيرات يمكن أن تكتشف عن طريق دراسة وظيفة الدماغ. في جامعة واشينغتون كان الباحثون يجرون تصويرًا للدماغ ليبحثوا في صفة يسمونها الإصرار وهي القدرة على التركيز في المهمة حتى تكتمل بدقة والتي يعتبرونها أحد المحركات المهمة للحماس.

استقدم الباحثون عينة من الطلاب وأعطوا كل واحد منهم استبيانًا لقياس مستوى الإصرار. ثم أعطوا الطلاب مهمة و هي تحديد فيما إذا كانت مجموعات الصور مرضية أو لا، وفيما إذا كانت التقطت في داخل مبنى أو في الخارج، بينما يقومون بتصوير التردد المغناطيسي في دماغهم. طبيعة المهمة لم تكن ذات أهمية، ولكن مدى رغبة الطلاب في أدائها على وجه جيد، وأين في الدماغ يفرز هذا الشعور، يمكن أن يكشف الكثير. وقد وجد الباحثون أن الطلاب الذين كانوا أكثر تصميمًا كان عندهم النشاط الأعظم في منطقة الليمبي limbic، وهي منطقة في الدماغ مرتبطة بالعواطف والعادات. يقول بروفسور الطب النفسي روبرت كلونينجر وهو أحد المشاركين في البحث: «العلاقة المتبادلة كانت ٨٠٪. هذا أفضل ما يمكن أن تحصل عليه».

من المستحيل أن نقول إذا كانت الاختلافات الفطرية في الدماغ هي التي تدفع السلوك الطموح، أو فيما إذا كان السلوك المكتسب هو الذي يضيء الليمبي limbic. ولكن عددًا من الباحثين يعتقدون أنه من الممكن للأشخاص غير الطموحين أن يوقظوا الدافع شريطة أن تتوفر الهزة المناسبة. يقول عالم النفس سيمنتون: «قد يكون مستوى الطاقة وراثيًا. ولكن في كثير من الأوقات علينا فقط أن نجد الشيء المناسب الذي نكون متحمسين بشأنه». سيمنتون وآخرون يستشهدون بالرئيس فرانكلين روزفلت الذي لم يكن ليصبح نفس الرئيس الذي كان عليه، بل حتى

رئيسًا على الإطلاق لولا الله، ثم شلل الأطفال المعيق الذي أعطاه دروسًا ثمينة في الصبر والتصميم.

لكن هل هذا النوع من الإلهام متوفر لنا جميعًا أم أن بعض الناس محصن ضد هذا النوع من التنوير؟ هل هناك أفراد أو جماعات كاملة نسبة الطموح عندهم هي ببساطة أقل من الآخرين؟ إنه سؤال - وأحيانًا تهمة - تظهر في جميع المناقشات عن نوع الجنس والعمل وعما إذا كانت النساء يملكن طبع آكلي لحوم البشر ليتعايشن في العالم المهني. كل من نتائج البحوث والتجربة اليومية توحي بأن طموحات النساء تعبر عن نفسها بطريقة مختلفة عن الرجال. معنى هذا الاختلاف هو المحك الذي تدور حوله هذه المناقشات.

عالمتا الاقتصاد ليز فيسترلاند من جامعة بيتسبرغ وموريل نيدرل من جامعة ستانفورد قامتا بدراسة جمعتا فيها أربعين رجلًا وأربعين امرأة وأعطتاهم خمس دقائق ليجمعوا خلالها أكبر قدر في استطاعتهم من الأعداد المكونة من رقمين. الأفراد موضع الدراسة لم يكونوا يتنافسون مع بعضهم.

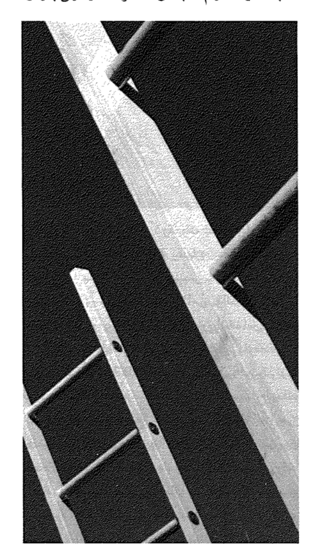
لاحقًا تحولت اللعبة إلى مسابقة قسم فيها الأفراد إلى فرق يضم كل فريق رجلين أو امرأتين. الفرق الفائزة تحصل على دولارين عن كل عملية حساب. أما الفرق الخاسرة فلا تحصل على شيء. وقد كان أداء النساء والرجال متساويًا في كلتا التجربتين. ولكن في الجولة الثالثة عندما سألوا أي الطريقتين يفضلون اللعب فيها ٣٥٪ من النساء اخترن فقط شكل المسابقة، بينما اختارها ٧٥٪ من الرجال.

يقول فيسترلاند: «الرجال والنساء فقط يختلفون في شهيتهم للتنافس. يبدو أن هناك كرهًا له بين النساء وتفضيلًا بين الرجال».

لكن خبراء السلوك الآخرين يعتقدون أن استنتاجات فسترلاند غير منطقية. فيقولون ليست المسألة أن النساء غير طموحات بما يكفي ليتنافسن حول ما يردنه، ولكنهن أكثر اختيارًا فيما يخص وقت دخولهن في منافسة. إنهن يردن أن يتقدمن مهما كلف الثمن ولكن ليس تحت أي ظرف.

تقول سارا بلافر هردي وهي بروفسورة في علم الإنسانيات ومتقاعدة من جامعة كاليفورنيا:«على مستوى الكائنات الراقية تتنافس الذكور بطريقة مباشرة أكثر من الإناث. و هو أمر منطقي. ولكن هذا لا يعني أن النساء لا يملكن فطريًا صفة التنافس أيضًا».

بما أن الكثير ينظر إليه من خلال عدسات علم الإنسانيات فإن جذور الاختلافات تكمن في استراتيجيات التزاوج عند الحيوانات والإنسان. الذكور مهيئون كي يقوموا بعملية تزاوج سريعة، ثم يمضون في حياتهم، بينما الإناث يكرسون كل حياتهم لمتعلقات هذه المرحلة فيبذلون خلالها عناية طويلة المدى لعدد قليل جداً من الصغار ويبحرون بهم بأمان في عالم عادة ما يكون عدوانيًا. من بين هذه الحيوانات البابون والمكاك وقردة العالم القديم. هذا من الممكن أن يتطلب بعض المهارة على وجه الخصوص، حيث ترث صغار الإناث الرتبة الاجتماعية لأمهم. لابد أن تتصرف أمهاتهن بمهارة



حتى يرفعن كلاً من رتبتهن ومن ثم في النهاية رتبة بناتهن. إذا كنت تعتقد أن الطموح الذي عن طريق الوكالة لا ينطبق على الإنسان ففكر مرة أخرى كما تقول هردي. وتقول أيضًا: «اقرأ رواية لإديث وارتون عن كيف كانت النساء في نيويورك القديمة يتنافسن على فرص الزواج من أجل بناتهن».

طبق مثل هذه الميول على بيئة عمل القرن الواحد والعشرين وستجد نساء قادرات على التنافس بشراسة ولكنهن يملن ليكن على شكل فريق، وأن يخرجن بالمكسب الأوسط على أقل تقدير إذا لم يحصلن على كل شيء يردنه. وماذا عن الأمهات اللواتي يبدون غير راغبات في الكفاح ويتركن بيئة العمل بالكامل ليربين صغارهن؟ هردي تعتقد أنهن يتنافسن على الأسهم الأبقى على الإطلاق واضعات جانبًا أهدافهن قصيرة المدى ليضمن النجاح البعيد المدى لنسلهن. روبين باركر التي تبلغ من العمر ستة وأربعين عاماً وهي منظمة حملات كانت في عام ١٩٨٠م في الحملة الانتخابية للسينتور إدوارد كينيدي كانت بالضبط من نوع السياسيين المستعدين لأن يناضلوا مدى الحياة والتي كانت ستجد نفسها يومًا في الجناح الغربي. ولكن في عام ١٩٩٢م في نفس اللحظة التي عاد فيها رئيس من حزبها إلى البيت الأبيض وكان من الممكن أن تحصل على وظيفة راقية في ذلك البيت غادرت باركر العاصمة وانتقلت إلى بوستن مع عائلتها وأصبحت أمًا متفرغة لولديها. تقول باركر: «أن أخرج إلى العالم أصبح أقل أهمية بكثير بالنسبة لي. كنت معتادة على أن أقلق بشأن انتخاب الرئيس ومازلت طموحة بشكل لا يصدق. ولكن ما أرغب النجاح فيه اليوم هو رعاية عائلتي، وتربية أبنائي، ومساعدة زوجي ومجتمعي. بعد عشر سنوات عندما يقف الأولاد على أقدامهم من يعرف ماذا سأكون فاعلة؟ لكن بالنسبة للوقت الحالي، فعندي عالمي».

حتى لو كان شيء أساسي مثل غريزة التناسل تدفعك في أحد الاتجاهات، فمن الممكن لأشياء أخرى أن تعيد توجيهك بالكلية. اثنان من أكثر الأشياء تأثيرًا على مستوى طموحك العائلة التي أنجبتك والبيئة التي أنتجت العائلة.

ليس هناك قواعد عريضة للعائلات التي تنجب

> أغلب علماء النفس يتفقون على أن العائلات التي تضع تحديات صارمة ولكن واقعية تشجع النجاح وتتقبل الفشل تنتج أبناء يتمتعون بثقة نفس عالية

أشخاصًا منجزين. أغلب علماء النفس يتفقون على أن العائلات التي تضع تحديات صارمة ولكن واقعية تشجع النجاح وتتقبل الفشل تنتج أبناء يتمتعون بثقة نفس عالية. ولكن ما يصعب على الوالدين التحكم فيه رغم أنه قد يكون له أثر عظيم هو المستوى المعيشي الذي يولد فيه الصغار. يصعب التنبوء بالكيفية التي يؤثر فيها الفقر والغنى على الدافعية. ترعرع في كنف أسرة غنية ومن الممكن أن ترث أدوات الإنجاز (فكر في الرئيسين بوش) أو كسل الأرستقراطيين. انشأ فقيرًا وستخرج إما بدافع قوي لتكافح (فكر بالرئيس كلينتون) أو خمول اليائس. على العموم تقترح الدراسات أن الطبقة المتوسطة العليا هي التي تنتج القدر الأكبر من الأشخاص الطموحين-غالبًا - لأنها أيضًا تنتج العدد الأكبر من الأشخاص القلقة.

عند قياس الطموح يقسم علماء الإنسانيات العائلات إلى أربعة أقسام: الفقراء، والمكافحون وهؤلاء يجدون ما يسد عوزهم، والطبقة المتوسطة العليا، والطبقة الغنية. بالنسبة لأفراد الفريقين الأولين الذين يكافحون حتى لا تنقطع الكهرباء وليدفعوا فاتورة الهاتف يكون الطموح عادة رفاهية. بالنسبة للأغنياء عادةً ليس ضروريًا. ولكن أبناء الطبقة الوسطى العليا الذين هم لحد ما مؤمَّنين اقتصاديًا ولكنهم ليسوا مؤمَّنين من الحظ العاثر الذي قد يؤدي إلى كارثة، هم الأكثر اندفاعًا لزيادة حظهم. يقول عالم الإنسانيات لوي: «إنها تسمى قلق الوضع الاجتماعي. وسواء كنت مولودًا لتكون مهتمًا به أم لا سوف تصاب به».. «ولكن بعض المجتمعات تجعلك أكثر قلقًا من البعض الآخر. الولايات المتحدة

كانت دائمًا حضارة «أنا أولاً» كما هو الشأن مع أمة نشأت من جماعات مشتتة من الناس على مساحة كبيرة من قارة كانت الأراضي توزع فيها بالمجان. فكرة «احصل على كل شيء» مازالت مستمرة إلى الآن رغم أن الثروات المجانية توقفت منذ زمن طويل. الدول الأخرى حيث مساحة الأراضي أصغر والحصاد أقل نضجت بطريقة مختلفة عن طريق التعاون للتغلغل بالجناس الاجتماعي. النموذج الأمريكي أنتج ثروة ولكنها كانت بثمن حيث الطموح أحيانًا يدير ظهره للطموحين ويهلكهم جميعًا.

الدراسة التي أجراها ديميراث من جامعة أوهيو ستايت على مدارس الطلاب المتفوقين الثانوية جديرة بالملاحظة لأسباب أكثر من الضغط الذي اكتشف أن الطلاب يعانونه. فقد أظهرت المدى الذي يستطيع أن يتكبده الطالب ووالداه حتى يتفوق على الطلاب الآخرين الذين يعانون. الغش كان شائعًا ومعظم الطلاب استخفوا بأمره معتبرين أنه مشكلة صغيرة. وقد سعى عدد من الأهالي، بعض منهم حصل أطفالهم على معدل (٤)، إلى أن يجعلوا أبناءهم يصنفون كطلاب تعليم خاص حتى يتاح لهم وقت إضافي في الاختبارات. يقول ديميراث: «الأطفال يكتسبون حسهم الأخلاقي. وعندهم حس حاد بالتنافس مع الآخرين وينشئون هويات مهيئة لذلك».

ديميراث حصل على نتائج مختلفة جدًا عندما أجرى الدراسة في مكان مختلف تمامًا وذلك في بوبا في غانا الجديدة. ففي منتصف التسعينيات قضى ديميراث سنة كاملة في قرية صغيرة هناك ليلاحظ كيف يتعلم الصغار. اكتشف أن الطلاب عادة ما ينظرون إلى المدرسة على أنها ليست مكانًا للتنافس، حيث من المهم أن ينجحوا جماعيًا ثم يمضون في حياتهم. النجاح على حساب الآخرين كان ينظر إليه على أنه نوع من التعالي الذي يسميه الغانيون «التصرف المتكلف». يقول ديميراث: «هذا شيء غريب بالنسبة لهم». ولكن له فائدته من الناحية التكتيكية. ففي بلد تعتمد على الزراعة والصيد يجب أن تعرف أنك إذا مرضت يومًا ولم تستطع أن تزرع أرضك أو ترمي شبكتك فسيقوم شخص آخر بالمهمة عنك. التعالي في الفصل ليس هو الطريقة لضمان حصول ذلك.

ولكن طبعًا إذا كنت في يوم من الأيام تعمل بالعقل الجمعي فهذا لا يعني أن ذلك سيستمر دائمًا.

ماركلو بروفسور العولمة والتعليم تابع أربعمئة عائلة هاجروا إلى أمريكا من آسيا وأمريكا اللاتينية وجزر الكاريبي. كثير منهم قدموا من قرى تعتبر فيها ثقافة التنافس الأمريكية غريبة. ولكن فور ما قدموا تغير ذلك سريعًا.

كمجموعة، الأطفال المهاجرون في دراسة ماركلو يفوقون في الأداء الأطفال المولودين في أمريكا. الأكثر من ذلك أن الأشخاص الراشدين يتفوقون في الأداء بطريقة واضحة على العائلات المهاجرة التي قدمت قبلهم. يقول ماركلو: «قبل مئة عام كان الناس لا يصلون إلى المستوى المعيشي للطبقة المتوسطة إلا بعد جيلين أو ثلاثة. الآن يصلون إليها خلال جيل واحد».

إذًا هذا شيء جيد، صح. الناس المكافحون يأتون إلى هنا من أجل النجاح وهذا ما يحدث.

بينما هناك العديد من الفوائد التي لا يمكن نكرانها والتي تنتج من تعلم طرق الطموح. هناك أيضًا العديد من المخاطر، الكثير منها أشنع بكثير من غش طلاب المرحلة الثانوية في امتحاناتهم.

التاريخ الإنساني كتب دائمًا بدم التحالفات المنقوضة وتطهير السلطة، والشعوب القوية أو الأمم تنقض على الضعيفة. وكلها من أجل إشباع جوع

أبناء الطبقة الوسطى العليا الذين هم لحد ما مؤمّنين اقتصاديًا ولكنهم ليسوا مؤمّنين من الحظ العاثر هم الأكثر اندفاعًا لزيادة حظهم



أحدهم للقوة أو الثروات. يقول وارن بنيس بروفسور في إدارة الأعمال من جامعة جنوب كاليفورنيا ومؤلف ثلاثة كتب في القيادة: «هناك مرحلة تجد فيها نوعًا مثيرًا من الصلة العصبية بين التفاؤل والتعالي. هذه الصلة تصبح تعاليًا وغرورًا وعدم قدرة للعيش بدون قوة».

بينما يخفي معظم الناس الطموحين «قيصر» السري الكامن في داخلهم بعيدًا في مكان آمن، من الممكن أن يظهر بطريقة مثيرة للدهشة أو فجأة. يقول فرانز دي وال وهو عالم حيوانات ومؤلف : «من الممكن أن ترى شمبانزي ذكرًا يعتبر شخصية أكثر هدوءًا ولكنه في يوم من الأيام يرى الفرصة سانحة لينقلب على القائد ويتحول إلى ذكر مختلف تمامًا. أستطيع أن أقول إن ٩٠٪ من البشر يتصرفون بمثل هذه الطريقة أيضًا. فعلى جزيرة مكونة من ثلاثة أشخاص من الممكن أن يكونوا دكتاتوريين نوعًا ما».

ولكن التوق للسلطة من الممكن أن يخلق مجموعة المشكلات الخاصة به. الأزمات القلبية، والقرحة وأمراض أخرى مرتبطة بالضغط هي الأكثر شيوعًا بين المنجزين وهذا يشمل حتى المنجزين من غير البشر. فدم ذئاب الألفا تظهر باستمرار مستويات عالية من الكرتيزول، نفس هرمون الضغط stressالذي يوجد في الأشخاص القلقين. شيمبانزي الألفا يعاني أيضًا من القرحة وأزمات قلبية أحيانًا.

من أجل هذه الأسباب، فإن البشر والحيوانات الذين يملكون الشهية ليصبحوا متميزين «ألفا» دائمًا ما يختارون عن رضا حياة المسالمة. يقول دي وال: «الرغبة في أن نكون في مرتبة رفيعة هي عالمية. ولكن هذه الصفة تبلورت في مهارة أخرى - مهارة أن تستفيد أقصى استفادة من المناصب الصغيرة». البشر لا يتصالحون مع أدوارهم الصغيرة فقط بل يستفيدون منها ماديًا. فمن بين الشركات هناك مجموعة متزايدة من قوة العمل تتمتع بمميزات عالية تمثل لاعبي الصف الثاني من مديرين ومهنيين الذين هم تحت الطبقة العليا إلى حد ما. ربما لا يكونون حاضرين في موائد العمل أو لحظات قص الشريط ولكنهم بدلاً من ذلك يتولون الإدارة اليومية للشركة والتي تتطلب مهارة عالية. وبينما يشكك حاملو الأسهم الذين يملكون حصصًا في الشركات في المرتبات الضخمة التي يتقاضاها مسؤولو الصف الأول تزيد نظرة الاحترام للاعبي الصف الثاني. إنها عملية تكيف تخدم كلا من الشركة والمجتمع الذي حولها. يقول لوي: «كل واحد يملك طموحًا. على المجتمعات أن توفر خيارات مختلفة حتى ينجز الناس».

في النهاية إنها المرونة ذاتها - تعدد المكافآت المحتملة - هي التي تجعل الأحلام الكبيرة والسير وراء الأهداف العظيمة تستحق كل هذا العناء. الطموح هو غريزة مكلفة تحتاج إلى استثمار ضخم من رأس المال العاطفي. ومثل أي استثمار، من الممكن أن تثريك بما لا عدد له من العملات المختلفة. ولكن المهارة كما سيقول لك أي مراقب هي أن تتعرف على الثروات عندما تأتي في طريقك■

أين نحنُ من طاقةِ الله فينا؟

الحارث عبد الحميد حسن* - العراق



*استشاري الطب النفسي

يدور على ألسنة الناس في كل زمان ومكان، مصطلحان وصفيان: المثالي، والواقعي. فإذا كان الإنسان حريصًا في فكره وعمله على تشوف الصورة الكاملة، ساعيًا إلى تحقيق المثل الأعلى، فنصفه بالشخص المثالي. وإذا كان في آرائه وتصرفاته ملتزمًا حدود الممكنات القريبة الوقوع حاسبًا حساب الواقع الملموس، نصفه بالشخص الواقعي. أليس هذا هو الاستعمال الشائع للمصطلحين؟ لكن للفلسفة رأيًا آخر.

إن قوام المثالية في الفلسفة مذهبان:

الأول قديم، وهو المذهب الأفلاطوني الذي انبعث من الفلسفة القديمة (فلسفة سقراط)، إذ يرى أن الأفكار والمقولات أو المعاني والمثل موجودة وجودًا هو أسمى من الوجود المحسوس، لأنها هي المبادئ النموذجية الأصيلة للأشياء.

والثاني: نقدي حديث، وهو المذهب الكانتي الذي مهد له أبو الفلسفة الحديثة «ديكارت» في مبدئه المشهور باسم «الكوجيتو» (أفكر فأنا إذن موجود)، ووضحه «بركلي» في كتاباته بأن «الوجود هو كون الشيء مدركًا». ثم رسخه «كانت» على أساس من نقد العقل في جوانبه الثلاثة: النظر والعمل والذوق. ويرى هذا المذهب أن الأشياء ليست سوى انطباعات حسية أو أفكار، وأنها تتحقق في الوجود على نحو ما، أي بوصفها تأملات ذهنية. والأشياء ليست موجودة بذاتها وجودًا مستقلاً عن القوة «الناطقة» أي القوة المتعلمة التي ندركها، بل وجودها مستفاد من هذه القوة ذاتها.

وبالرغم من وجود الاختلاف بين المذهبين: القديم والحديث، للمثالية، ففي كلتا النظرتين نجد الفكر مستقلاً عن الموضوعات والأشياء، وهنا لا تستطيع المثالية أن تقبل أن يكون للأشياء وجود في ذاتها، مستقل عن الفكر، لأن ما هو «خارج» الفكر لايمكن أن يكون متعقلاً وبالتالي لا يكون شيئًا. والذات العارفة إنما تفكر، أي تعقل الأشياء بالفكر، وإرادة الفكر في التعقل هي الأفكار، إذن لاشيء هناك سوى الأفكار.

ولما كانت مثالية أفلاطون وكانت تريان أن الفكر مقدم على الوجود، مشرع للأشياء ونموذج للموضوعات، فإن إدراك الوجود هو الوجود نفسه. والحقيقة بطبيعتها «الجوهرية» ندركها في أنفسنا ولا سبيل لنا في الإدراك سوى النفس. وإذا قال سقراط يومًا «اعرف نفسك» فقد أكد كانت أن «عصرنا لم يعد يريد أن يطول به أمد التلذذ بظاهرة المعرفة وقشورها» بل يريد أن يمحص شرائطها الداخلية وقوانينها الأبدية.

لقد صدق الفارابي وديكارت وبركلي وكانت عندما قالوا: ما من شيء يستطيع الإنسان أن يدركه أو يناله حقًا بدون الفكر، وما من صورة يستطيع أن يتبينها خارج الوعي. ولكن هذا لا يعني أن المثل الأعلى الذي تنشده العلوم الحديثة، كافٍ وافٍ بتعريف الفكر.

إن الفكر الذي يستكفي بذاته إنما هو علم الله -سبحانه- وكل فكر إنساني إنما هو علاقة جدلية بين الذات والموضوع. وقد كان «كانت» محقًا -دون شك- عندما قال:«إن تصورات بغير حدوس تكون فارغة،وإن حدوسًا بغير تصورات تكون عمياء».

من المعروف أن بعض الفلاسفة الواقعيين، يعرفون الحقيقة على أنها مطابقة الصورة التي في الذهن للشيء الموجود خارج الذهن. وهنا أطلب منكم أن تتساءلوا وبتأمل بسيط! هل يستطيع الإنسان أن يخرج من مجال الفكر لكي يكتشف مطابقة الفكر

للوجود الخارجي؟ وهل يمكن للحقيقة أن تكون موجودة خارج الفكر؟

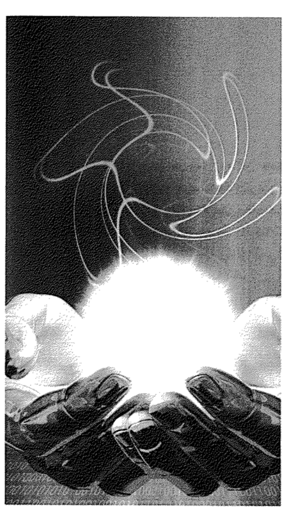
إن الحقيقة ليست شيئا خارجيًا عن الفكر، بل هي «داخلية» تعيش فيه. وإن النموذج الذي يراد للفكر أن يطابقه موجود على نحو ما في الفكر نفسه، وإن يكن بلوغه مشروطًا بشروط معينة.

وإذا كانت مثاليتا «أفلاطون» و«كانت» تؤكدان استقلال الفكر وصدارته بالقياس إلى الأشياء والموضوعات فإن الفكر عند أفلاطون هو فكر «المطلق» وما هو بذاته.أي الله تعالى، في حين إن الفكر عند كانت إنما هو فكر «النسبي» وما هو لذاته، أي الإنسان. وقد نستطيع القول هنا إن مثالية أفلاطون «لاهوتية» في حين إن مثالية كانت «ناسوتية» مستعيرين المصطلح من متصوفة المسلمين في التفريق بين عالم اللاهوت وعالم الناسوت.

نستنتج من خلال ما تقدم أن السمة الأولى في كل مثالية هي أنها تفسر «الواقع» الذي نواجهه على أنه ذو معنى، وأن له «قصدًا»، وأن فيه «جوهرًا» خفيًا من وراء مظهره الخارجي المحسوس. والمثالية تفترض أن هذا المعنى «الباطني» بمعنى «الجواني» هو قوام الواقع وحقيقته وماهيته. ويعتقد أن هذا هو المعنى الذي أراده «هيجل» عندما قال «الواقعي كله عقلي، والعقلي كله واقعي».

ولنتحرك الآن قليلًا نحو هدف هذا الحوار النابع من الأعماق، تاركين المذاهب المثالية القديمة والحديثة، نحو فلسفة «الجوهر» ذلك المنهج الذي يستند إلى الوعي الإنساني ويدعو الفكر إلى الالتفات نحو الذات ليجد فيها سبب الأشياء ومصدرها، وإلى الزهو بالمعنى والمثال والقيمة، ذلك المنهج الذي يسعى لفهم العالم وفهم الإنسان ليتشوف المثل الأعلى ويتخطى ما هو «كائن» إلى ما حقه أن يكون، ويزرع الإيمان بقدرة الروح الخالصة على تجاوز حدود الواقع في المكان والزمان، واليقين بحرية الذات الواعية في إصلاح الفرد والجماعة.

إن صوت هذا الاتجاه في فلسفة الأعماق لا يسمعه إلا أصحاب الضمائر الحية. ولا أبالغ حين أقول إن أصحاب كل رسالة مخلصة ودعوة صادقة، أيا كان قائلها، فكرية أو سياسية أو اجتماعية أو نفسية أو دينية، وقد حقق لأمته نصرًا أو للإنسانية كسبًا، لابد



أن يكون قد عاش في جوانيّه هذه الفلسفة وعاناها في حياته معاناة جعلته يسمو على نفسه وينكر ذاته، فيستوي عنده مدح الناس أو ذمهم، ولا يعبأ بأمر أو جزاء من عمل يؤتيه أو واجب إنساني يكلف به. إننا هنا ندعو إلى التزاوج بين الذات والموضوع، بين العقل والقلب، بين النظر والعمل، وندعو إلى النية الخالصة في سير الفكر وسلوك الحياة واستواء السر والعلانية ومجانبة الرياء والتظاهر، وتهذيب النفس وتربية العقل بالقدوة الحسنة والمثل الطيب. إنها دعوة جهادية في تبصير أبناء هذا الجيل من أن تأثير الأفعال أشد وقعًا من تأثير الأقوال، وأن التباين بين المظهر والجوهر هو مصدر الكثير من آفات المجتمع، وأن العنصر الإنساني أساسي في حل كل المشكلات حتى السياسية منها، وأن الدين قادر على هداية الأنسان . وبهذه الروحية الصادقة وبهذا المنهج الروحي نستطيع أن نواجه الأزمة التي يعانيها الجيل الحاضر والتي منشؤها فقدان الروح وضياع الإيمان وغربة الإنسان.

إنها دعوة مخلصة لنا جميعًا أن نحقق الله في نفوسنا، وبعد ذلك الانصراف إلى كل شؤون الدنيا ولكن ليس العكس. لأننا إذا عشنا حياتنا الأرضية بعد حصولنا على الحياة الروحية، لن نتعرض أبدًا إلى فقدان الراحة النفسية.

يقول «راما كريشنا» في كتابه الحقائق الروحية الكبرى: عندما يصل مسافر إلى مدينة فإن أول عمل يقوم به هو التفتيش عن مكان يأوي إليه ويضع فيه متاعه. وبعد ذلك يبدأ بالتجول في المدينة والتفرج على معالمها. أما إذا لم يأخذ لنفسه هذا الاحتياط الأولي فإنه يعرض نفسه لقضاء ليلته في العراء. كذلك الإنسان الذي استطاع أن يؤمن لنفسه راحة دائمة في كنف الله يمكنه الانصراف بعد ذلك إلى أعماله اليومية دون خوف أو قلق.

إذا عرفنا الله الواحد الأحد أصبح بإمكاننا معرفة جميع الأمور الأخرى. إن الأصفار التي نضعها على يمين الرقم (١) تصبح أعدادًا لا حصر لها. أما إذا أزلنا الواحد فلن يبقى أمامنا سوى مجموعة من الأصفار لا تساوي شيئًا، فالتعددية أذًا لاقيمة لها إلا بوجود الواحد. إذًا: الله أولاً وبعد ذلك العالم ومن فيه وما فيه. فكما إن السراج لا يضيء بدون الزيت كذلك لامعنى لوجود الإنسان بدون رضى خالقه.

الجسم البشري أشبه بالقدر الذي نطبخ فيه طعامنا. أما العقل والحواس فهما كالماء والرز. فعندما نضع فوق النار قدرًا يحتوي على الماء والرز يصبح القدر وما فيه ساخنًا وإذا ما لمسناه أو لمسنا محتوياته تحترق أصابعنا. مع أن الحرارة في ذاتيتها، ليست من طبيعة القدر ولا من طبيعة الماء أو حبات الرز. كذلك فإن قوة الله فينا هي التي تحرك فكرنا وحواسنا وتجعلها تقوم بأدوارها. وعندما تتوقف هذه القوة عن العمل يتوقف عمل عقلنا وحواسنا. إن الجهل هو الذي يدفعنا للقول: «نحن الذين نتحرك ونعمل». بينما كل قوتنا، في الحقيقة مستمدة من قوة الله فينا.

وهذا ما يجعلنا أكثر إصرارًا وأيمانًا بأن طاقات الإنسان وقدراته، الكامن منها والظاهر، هي عظيمة وكبيرة لأنها تنبع من قوة الله فينا، فعلينا جميعا أن نتعمق في دراسة هذه الطاقات والقدرات التي لا حدود لها ونسخرها في خدمة الإنسان والإنسانية، وألا نحدد أنفسنا في سجن النظرة المادية المتطرفة للعلم، بل نعيش في رحاب النظرة المتفتحة للجديد والمتجدد في العلم، لأن العلم هو نتاج الفكر والفكر نبع الحياة الصافي، والحياة ينبوع لا ينضب في محيط الكون الفسيح الذي خلقه الله لنا في أحسن صورة وأجمل نظام.

دَعونا إذًا نتفق على أن فينا طاقة عظيمة جبارة لا حدود لها، تعترف بوجودها كل الأديان والمذاهب والعقائد منذ أن بدأ الإنسان يفكر، وإن اختلفت التسميات لهذه الطاقة. أنها الطاقة التي تبث في أجسادنا الحياة والحيوية فتحرك فينا الغرائز والدوافع والطاقات الكامنة الأخرى المدفونة في أعماقنا.

لنتأمل هذه الطاقة بذاتها، بعيدًا عن كل ما جاء في فلسفات الشعوب القديمة، وبعيدًا عن كل ما جاء في الديانات الوضعية والسماوية من قيم وشرائع وأحكام وأفكار ودروس رائعة وعظيمة، ونتساءل مع أنفسنا، إذا كانت طاقة الله فينا؟ فإذًا أين نحن من هذه الطاقة الجبارة اليوم..؟ لماذا غابت الفضيلة؟ واستقالت روح المحبة والأخلاق الحسنة، وتربعت الرذيلة والكراهية على عرش الإنسان، في قلبه وعقله وفكره ووجوده، وانتصر الحقد على التسامح، والبغضاء على التصالح، وتحول عالمنا اليوم إلى حروب وكوارث نصنعها بأنفسنا، ثم نقول بعد ذلك : تلك أرادة الله!!

عجبًا من هذا التدهور والانحلال الذي أصاب الفكر والعقل الإنساني، فأضحى ناسيًا أو متناسيًا قيم المحبة والفضيلة والسلام الموجودة أصلاً في جوانيه.

أما آن الأوان بعد هذا التداعي والخذلان لأن نعود من جديد لنبحث في أعماقنا عن طاقة الله فينا، لنصلح ما أفسدته المصالح ولو بالقدر اليسير!!

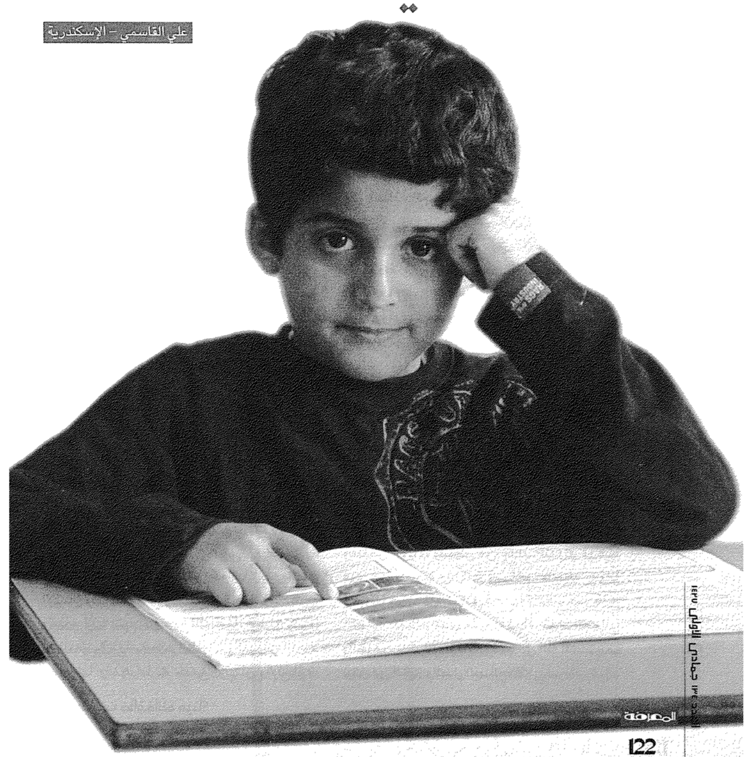
أما آن الأوان، لننزع عنّا غبار السنين العجاف، وننتفض أقوياء، وننهض من جديد، لندرك ما فينا من خير ومحبة وتسامح وسلام، فنجعله عنوانًا لمسيرتنا فوق هذا الكوكب. ؟

إنه النداء الذي ما بعده نداء، نداء الجوانّي والجوهر، نداء الله فينا، أن نعود إلى الله لنحصد ما تبقى من الخير والعمل الصالح.

الطفل العربي والمنظومة اللغوية في التعليم

السنة العربية للغات.. متى تأتي؟

علي القاسمي - الإسكندرية



نصت المواثيق الدولية والعربية على حق كل طفل في التعليم. ويشكل هذا الحق واجبًا على الدولة والوالدين. وقد استجابت معظم الدساتير والقوانين العربية لهذا الحق فأقرت التعليم الإلزامي (وإن لم يكن مطبقًا تمامًا) الذي وإن كان يغطي عادة التعليم الابتدائي أو الأساسي (٦ أو ٩ سنوات من التعليم) ويستجيب إلى حاجات الطفل الأساسية في التعلم، فإن الطفل المنخرط فيه لا يستطيع اختيار المواد الدراسية التي تتناسب مع سنه وقدراته وميوله، لأن المنهج المدرسي (والمواد التي يجب على الطفل تعلمها) تقررها الدولة ممثلة بوزارة التربية والتعليم، خاصة في المرحلة الابتدائية.

وفيما يخص مسألة تعليم الأطفال اللغات الأجنبية فإن لولي أمر الطفل حرية محدودة جدًا (في بعض الأقطار العربية وفي المدن الكبيرة منها فقط)، حيث يستطيع الميسورون من الآباء إدخال أطفالهم في مدارس أهلية خاصة تعلم لغة أجنبية أو أكثر إلى جانب اللغة العربية. إذًا، فلا للطفل ولا لوالديه رأي في مضامين التعليم وطرائق التدريس، اللهم إلا عن طريق مجالس الآباء والمعلمين، التي عادة ما تتناول قضايا إجرائية أكثر منها منهجية.

وإذا كان في طليعة حقوق الطفل التي تؤكدها الاتفاقيات الدولية والمواثيق والإعلانات العربية، حقه في إشباع حاجاته التعليمية التي تساعده على النمو النفسي والاجتماعي، يتوجب علينا تعليم الطفل اللغات التي تحقق ذلك النمو المنشود، أو عدم تعليم الطفل تلك اللغات إذا ثبت أن تعلمها يؤدي إلى عرقلة ذلك النمو ويضر به.

المنظومة اللغوية للطفل العربي قبل المدرسة

في البلاد العربية، يمكن التمييز بين ثلاث منظومات لغوية رئيسية قبل المدرسة هي:

- الطفل في بيئة عربية خالصة.
- الطفل في بيئة عربية ولكنها تستخدم مربيات أجنبيات وخدم بيوت أجانب وتعتمد أسواقها على العمالة الأجنبية.
- الطفل في بيئة تتكلم لغة وطنية غير العربية.

وتتباين هذه البيئات اللغوية على الوجه التالي:

الازدواجية اللغوية

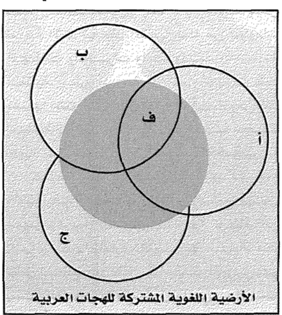
عندما يدخل الطفل المدرسة الابتدائية أو حتى روضة الأطفال، فإنه لا يأتي إلى هذه المؤسسة وذهنه صفحة بيضاء ليكتب عليها المعلم ما يشاء، وإنما يدخل المدرسة الابتدائية وقد اكتسب جملة من المعلومات والمهارات والخبرات والسلوكيات الاجتماعية والنفسية، وعلى المدرسة أن تنمي حصيلته تلك وتشذبها وتفتق قدراته الإبداعية وتطورها. ومن تلك الحصيلة التي يأتي بها الطفل إلى المدرسة حصيلته اللغوية التي اكتسبها من أسرته ومحيطه الصغير.

وكلما كانت حصيلة الطفل اللغوية جيدة وسليمة ووافية، فإن تقدمه في المدرسة يصبح ميسورًا وممهدًا وسريعًا، ذلك لأن اللغة هي الوسيلة التي يتلقى بواسطتها المعارف الأخرى في المدرسة. فلغة الطفل تضطلع بدور فاعل في تحصيله المدرسي فهي ليست مادة مدرسية فحسب وإنما هي وسيلة لتعلم المواد الأخرى كذلك. وهذا بعض ما يفسر لنا تفوق الأطفال الذين ينتمون إلى أسر مثقفة تبذل مجهودًا في ترقية لغة الطفل قبل دخوله المدرسة.

ولكن الطفل العربي الذي ينتمي إلى بيئة عربية خالصة، لا يأتي إلى المدرسة وهو يتكلم اللغة العربية

التي تستعلمها المدرسة. إنه يتكلم العربية الدارجة التي تتحدث بها أسرته ومحيطه، على حين أن المدرسة تستعمل اللغة العربية الفصيحة في كتبها المدرسية وفي دروس معلميها (كما هو المفروض). وتُسمى هذه الظاهرة، في علم اللغة، بالازدواجية اللغوية. يقول الأستاذ «تشارلس فرغسون»، وهو أول من درس هذه الظاهرة في أربع لغات كبرى من بينها العربية في تعريف هذه الظاهرة: «وضع مستقر نسبيًا، توجد فيه بالإضافة إلى اللهجات الرئيسية للغة (التي قد تشتمل على لهجة واحدة أو لهجات إقليمية متعددة) لغة تختلف عنها، وهي مقننة بشكل متقن (إذ غالبًا ما تكون قواعدها أكثر تعقيدًا من قواعد اللهجات)، وهذه اللغة بمثابة نوع راق، يستخدم وسيلة للتعبير عن أدب محترم، سواء أكان هذا الأدب ينتمي إلى جماعة في عصر سابق، أم إلى جماعة حضارة أخرى. ويتم تعلم هذه اللغة الراقية عن طريق التعليم الرسمي، ولكن لا يستخدمها أي قطاع من الجماعة في أحاديثه العادية»(1).

ويمكن أن نمثل للعلاقة بين اللهجات العربية (كالمصرية، والشامية، والعراقية، والمغربية..إلخ) وبين اللغة العربية الفصيحة(2) بالشكل التالي:



الأرضية اللغوية المشتركة للهجات العربية

وفي هذا الشكل:

ف: اللغة العربية الفصحى.

أ: إحدى اللهجات العربية.

ب: إحدى اللهجات العربية.

ج: إحدى اللهجات العربية.

فهناك أرضية مشتركة بين كل لهجة وبين اللغة العربية الفصحى، وبين كل لهجة وأخرى. كما تجد مساحة تنفرد فيها كل لهجة عن اللغة العربية الفصحى وعن بقية اللهجات.

وهكذا فالطفل العربي يواجه صعوبة عند دخوله المدرسة تتمثل في أن اللغة التي يتعلمها في المدرسة تختلف (نوعًا ما) عن اللغة التي يتحدث بها ويألفها في المنزل والحي.

ويمكن معالجة هذه الصعوبة بطريقتين: قبلية وبعدية، أي قبل دخول الطفل المدرسة وبعده.

فقبل المدرسة، تستطيع وسائل الاتصال وخاصة التلفزة أن تضطلع بدور هام في اكتساب الطفل اللغة العربية الفصيحة، عن طريق صياغة البرامج المخصصة للأطفال باللغة العربية الفصيحة وتجنب استعمال العامية. وهكذا تكون وسائل الاتصال أداة تربوية تثقيفية ترفيهية في آن واحد، وتتكامل وتتناغم مع المدرسة في وظيفتها. أما بعد دخول الأطفال المدرسة فيمكن تشجيعهم، بطرق مختلفة، على التحدث بالعربية الفصيحة فيما بينهم تعزيزًا لما تعلموه.

التداخل اللغوي

تستخدم بعض البيوت العربية في منطقة الخليج وبعض البلدان العربية الأخرى، خدمًا وسائقين للعمل في المنزل وكذلك مربيات للعناية بالأطفال، خاصة الصغار منهم. وأغلب هؤلاء الخدم والمربيات من الدول الآسيوية كالهند والفلبين وباكستان وسيرلانكا. وهم إما يتكلمون بلهجة عربية هجينة مشوهة صوتيًا ونحويًا ودلاليًا، وإما يتكلمون بإنجليزية أكثر تشويهًا بسبب مستواهم الثقافي والاجتماعي الذي لا يسمح لهم باكتساب اللغة الإنجليزية والتحدث بها بصورة مقبولة.

وتقرر الدراسات اللغوية أن لغة الأطفال تتأثر بلغة المربيات والخدم. وتسمى هذه الظاهرة في علم اللغة «بالتداخل اللغوي» ويعرف التداخل اللغوي بأنه «إبدال عنصر من عناصر اللغة الأم بعنصر من عناصر اللغة الثانية»(3) أو: «انتقال عناصر من لغة إلى أخرى وتأثيرها في مستوى أو أكثر من مستويات اللغة المنقول إليها: الصوتية والصرفية والنحوية

واللفظية والدلالية والكتابية، سواء أكان هذا الانتقال من اللغة الأم إلى اللغة الثانية أم بالعكس، وسواء أكان هذا الانتقال شعوريًا أم لا شعوريًا»(٤).

وينتج عن «التداخل اللغوي» أحد الوضعين التاليين:

١- إذا كان أولئك الخدم يتكلمون بعربية دارجة مكسرة، فإن الطفل سيكتسب منهم بعض العادات اللغوية غير السليمة في عدد من المستويات اللغوية أبرزها:

- المستوى الصوتي: إذ سينطق بعض الأصوات (الحروف) بطريقة خاطئة، مثل نطق الذال أو الضاد زايًا، ونطق الثاء سينًا، ونطق الطاء تاء، وهكذا. ومثل هذه الأخطاء الصوتية قد تبقى مع الطفل طيلة عمره ما لم تبذل جهود جادة لإصلاحها قبل أن يبلغ الحادية عشرة من عمره.

- المستوى النحوي: إذ ستأتي بعض تراكيبه اللغوية غير سليمة، مثل استعمال أفعال الشخص الثالث المذكر مع ضمير المخاطب. وهذه الأخطاء يمكن إصلاحها بتقدم الطفل في التعلم أو باختلاطه مع الآخرين في بيئته العربية.

٢- إذا كان أولئك الخدم يتحدثون الإنجليزية، فإن لغتهم غير سليمة خاصة في المستوى الصوتي، وبالأخص في تنغيم الجُمل الذي يتأثر بتنغيم الجمل في لغاتهم الآسيوية. وإذا كان الطفل الذي يعتني به هؤلاء الخدم والمربيات، يتعلم الإنجليزية في مدرسته في سن مبكرة، فإنه لا يسلم من التداخل اللغوي السلبي بحيث يميل إلى نطق الإنجليزية وتنغيم عباراتها بالطريقة الآسيوية.

ونتأكد من خطورة هذا الوضع إذا ما علمنا أن الطفل سيسمع هولاء الآسيوين لا في المنزل فحسب وإنما في السوق والشارع كذلك. فحجم العمالة الوافدة إلى منطقة الخليج كبير جدًا ، بحيث إن المملكة العربية السعودية وحدها كانت تضم عام ١٩٩٥م حوالي ٦,٢٥٦,٣٢٣ شخصًا، ينتمي ٩٩٪ منهم إلى دول نامية، و٥٧٪ من هؤلاء إلى دول آسيوية. وقد تنبه كثير من الباحثين الخليجيين إلى تأثير خدم البيوت ومربيات الأطفال على ثقافة أولئك الأطفال ولغتهم، فقال أحدهم: «من أسوأ الأمور في هذا الموضوع أن الأطفال الذين تربيهم مربيات أجنبيات لا يتشربون

الأطفال الذين تربيهم مربيات أجنبيات لا يتشربون الثقافة الخالصة للمجتمعات التي أتين منها فحسب ، ولكنهم يتشربون الثقافة الدنيا لهذه المجتمعات

الثقافة الخالصة للمجتمعات التي أتين منها فحسب، ولكنهم يتشربون الثقافة الدنيا لهذه المجتمعات. وذلك بحكم أن المربيات يأتين من طبقات دنيا لتلك المجتمعات»(٥).

التعدد اللغوي

إذا نشأ الطفل في أسرة وبيئة تتحدث لغة وطنية غير العربية (كما في حالة الطفل في قرية أمازيغية في جبال الأطلس في المغرب مثلاً) فإنه سيواجه «ثنائية لغوية» عند دخوله المدرسة التي يتعلم فيها اللغة العربية الفصيحة. وتعني «الثنائية اللغوية» تحدث الفرد بلغتين.

أما إذا كان هذا الطفل من أسرة تتحدث بالأمازيغية ولكنها تعيش في مدينة تتحدث باللهجة المغربية العربية، فإن الطفل سيواجه عند دخوله المدرسة حالة «تعدد لغوي»، أي أنه يتعلم الأمازيغية في المنزل، واللهجة المغربية العربية مع أقرانه في الحي الذي يقطن فيه، واللغة العربية الفصيحة في المدرسة.

المنظومة اللغوية للطفل العربي في التعليم قبل سنة ٢٠٠٠م

لقد شهدت المنظومة اللغوية للطفل العربي في التعليم تغيرًا جذريًا في مطع الألفية الثالثة (أي خلال السنوات الخمس الأخيرة)، وذلك بفعل العولمة وتعاظم هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا على العالم. ولهذا فهنالك فرق كبير بين المنظومة اللغوية في الأنظمة التعليمية في الأقطار العربية قبل سنة ٢٠٠٠م وبين هذه المنظومة بعد سنة ٢٠٠٠م.

فقبل سنة ٢٠٠٠م (وباستثناء التعليم الأهلي الخاص الذي يدرس لغة أجنبية أو أكثر في سن مبكرة) فإن المنظومة اللغوية للطفل في التعليم العام الرسمي في الأقطار العربية لم تتغير كثيرًا منذ أكثر من نصف قرن، أي منذ استقلال معظم تلك الأقطار. لقد وضعت المناهج المدرسية بعد الاستقلال في ضوء البنيات التعليمية التي أقامها المستعمر في البلاد، وفي حدود الإمكانات البشرية والمادية المتاحة، وفي نطاق الاتجاهات التربوية السائدة آنذاك. ولم تخضع تلك المناهج المدرسية (خلال نصف القرن الماضي) لتغيرات جذرية لتساير التطورات العلمية والتكنولوجية ونتائج الأبحاث التربوية والنفسية المتجددة.

فالأقطار العربية في المشرق لم تكن تعلم اللغات الأجنبية في سن مبكرة، لا في رياض الأطفال ولا ابتداء من السنة الأولى من المدرسة الابتدائية. فمصر والسعودية وسوريا، مثلاً، كانت لا تعلم اللغة الأجنبية في مدارسها الابتدائية، وإنما يشرع بتعليم اللغة الأجنبية في بداية المدرسة الإعدادية (المتوسطة). وفي بعض أقطار المشرق العربي الأخرى، كان تعليم اللغة الثانية (وهي الإنجليزية) يبدأ في السنة الرابعة الابتدائية (كما في الكويت)، أو في السنة الخامسة الابتدائية (كما في العراق والأردن). وفي المرحلة الثانوية، تضاف لغة أجنبية ثانية (هي الفرنسية عادة) أو يختار الطالب (كما في سوريا) لغة أخرى كالألمانية أو الروسية، إذا توفرت في مدرسته. وإضافة إلى اللغة الإنجليزية في العراق، تدرس اللغة الكردية في المدارس الابتدائية في المناطق الكردية.

أما في أقطار المغرب العربي (خاصة تونس والجزائر والمغرب)، فإن تعليم اللغة الأجنبية الأولى، وهي الفرنسية، كان يبدأ في السنة الثالثة الابتدائية. وفي المرحلة الثانوية، تضاف لغة أجنبية ثانية، هي الإنجليزية عادة، أو يختار الطالب لغة أخرى إذا توفرت في مدرسته، مثل الألمانية والإسبانية والإيطالية والروسية.

ويلاحظ أن تونس ما تزال تستخدم اللغة الفرنسية لتدريس العلوم والرياضيات في المرحلة الثانوية، أي أن تعريب لغة التعليم التي بدأت في أقطار المغرب العربي بعد استقلالها قد توقفت في تونس عند نهاية المرحلة الإعدادية، على حين تواصل التعريب في المغرب والجزائر إلى نهاية المرحلة الثانوية.

ويدل التباين الذي كان قائمًا بين الأقطار العربية بخصوص السن التي يبدأ فيها تعليم اللغة الأجنبية على عدم وجود استراتيجية تربوية عربية واحدة تستند إلى نتائج البحث العلمي، بالرغم من وجود «جامعة الدول العربية»، و«المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم» واستراتيجياتها التربوية والثقافية والعلمية المنشورة.

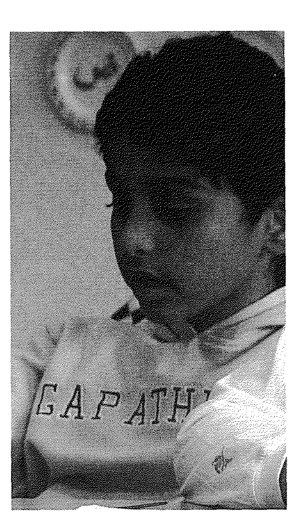
أسباب عدم تعليم اللغة الأجنبية في سن مبكرة

يمكن تقسيم الأسباب التي أدت سابقًا إلى عدم تعليم اللغة الأجنبية في سن مبكرة (أي ابتداء من السنة الأولى ابتدائية) في البلاد العربية إلى سببين رئيسيين:

١- أسباب إدارية

إن قرارًا يقضي بتعليم اللغة الأجنبية في جميع سنوات المدارس الابتدائية، يقتضي تنفيذه توفير أعداد كبيرة من معلمي تلك اللغة الأجنبية، ومناهج ملائمة، ووسائل تعليمية مناسبة، وهذا ما لم يكن بمقدور الدول العربية توفيره حال استقلالها عندما كانت إمكاناتها المادية والبشرية محدودة. فقد كان إعداد معلمي المدارس الابتدائية يتم في دور المعلمين الابتدائية (٣ سنوات بعد ٩ سنوات من التعليم العام)، أو في دورة تدريبية تربوية أمدها سنة واحدة بعد الثانوية. وإذا كان هذا النوع من الإعداد قد يفي

يدل التباين الذي كان قائماً بين الأقطار العربية بخصوص السن التي يبدأ فيها تعليم اللغة الأجنبية على عدم وجود استراتيجية تربوية عربية واحدة تستند إلى البحث العلمي



بتدريب معلمي المواد المدرسية الأخرى في المرحلة الابتدائية، فإنه غير مناسب حتمًا (من حيث مدته ونوعيته) لتدريب معلمي اللغة الأجنبية. وقد يتسبب معلم اللغة الأجنبية غير الكفء في ضرر يفوق أي نفع يرتجى من تعليم اللغة الأجنبية. ولهذا كان من الأفضل تأجيل تعليم اللغة الأجنبية إلى المدرسة الثانوية حيث يتمتع المدرسون فيها بتأهيل جامعي متخصص.

٢- أسباب علمية

حوالي منتصف القرن الماضي، كانت البحوث التربوية والنفسية التي أجريت في الغرب منقسمة بين مؤيد ومناهض لتعليم اللغة الأجنبية في سن مبكرة. وتستند في معارضتها لتعليم اللغة الثانية في سن مبكرة إلى الحجج التالية:

- إن الكبار أقدر من الصغار على تعلم اللغة الأجنبية في وقت أقصر وبجهد أقل وبصورة أيسر.

- ليس لجميع الأطفال القدرة على تعلم اللغة الأجنبية، فبعضهم لا يمتلك الاستعداد الطبيعي لاكتسابها.

- إن تعميم تعليم اللغة الأجنبية في التعليم الابتدائي هو هدر للموارد والطاقات والوقت الذي يمكن أن يستخدم في اكتساب مهارات مفيدة. فمعظم الأطفال يتركون الدراسة بعد المرحلة الابتدائية، ولا تتاح لهم في حياتم فرصة لاستعمال اللغة الأجنبية التي تعلموها.

- إن تعلم اللغة الأجنبية في سن مبكرة يؤثر سلبًا على تمكن الطفل من إتقان لغته القومية بسبب «التداخل اللغوي».

- إن تعلم اللغة الأجنبية عملية مرهقة للطفل تعرقل نموه النفسي والفكري، وخاصة تكوين المفاهيم في ذهنه، لأن كل لغة تمثل منظومة مفهومية مختلفة(٦).

وكان من أشد المعارضين لتعليم اللغة الأجنبية في سن مبكرة اللغوي البريطاني الشهير «مايكل ويست M. West» الذي نشر آراءه في الموضوع بسلسلة مقالات في مجلة «تعليم اللغة الإنجليزية Engligh Language Teaching» التي يصدرها المجلس الثقافي البريطاني، في الخمسينيات من القرن الماضي. وتبنى هذا الاتجاه في البلاد العربية الأستاذ ساطع الحصري مدير الدائرة الثقافية في جامعة الدول العربية في ذلك الوقت، ودعا في المجلد الثالث من «حولية الثقافة العربية» التي كان يشرف عليها، إلى إلغاء اللغة الأجنبية من مناهج المرحلة الابتدائية في البلاد العربية. وكذلك عالم النفس التربوي الدكتور عبدالعزيز القوصي وكيل وزارة التعليم المصرية الأسبق، ومدير مكتب اليونسكو في البلاد العربية في بيروت لاحقًا الذي استطاع إلغاء تعليم اللغة الإنجليزية في المدارس المصرية بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م(٧).

المنظومة اللغوية للطفل العربي في التعليم بعد سنة ٢٠٠٠م

قلنا إن تعاظم قوة أمريكا سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا وتعاظم دور لغتها الإنجليزية في التجارة والعلوم والتكنولوجيا (وخاصة تكنولوجيا المعلومات والاتصال)، أدى إلى قيام دول كثيرة (ومن ضمنها الدول العربية) بإعطاء مكانة خاصة للغة الإنجليزية في المنهج المدرسي. ففي المشرق العربي، نجد أن

مصر التي لم تكن تعلّم اللغة الأجنبية في مدارسها الابتدائية، قررت مؤخرًا تعليم اللغة الإنجليزية ابتداءً من السنة الأولى الابتدائية. وهذا ما فعلته السعودية كذلك، وإن كان تعليم الإنجليزية في المدارس الابتدائية هناك يتم حاليًا بصورة تدريجية. وكذلك قررت سوريا التي لم تكن تعلم اللغة الأجنبية في المدارس الابتدائية قبل سنتين البدء بتعليم اللغة الأجنبية ابتداء من السنة الأولى الابتدائية، وللتلميذ أن يختار بين إحدى لغتين: الإنجليزية أو الفرنسية. أما الأردن الذي كان يبدأ بتعليم اللغة الإنجليزية في السنة الخامسة الابتدائية، فقد شرع مؤخرًا بتعليم اللغة الإنجليزية في السنة الأولى الابتدائية. وحدث تغيير جذري في المغرب العربي، الذي لم يكن يعلّم اللغة الإنجليزية إلا في المدرسة الثانوية إذ قررت تونس قبل سنتين تعليم اللغة الإنجليزية ابتداء من السنة الخامسة الابتدائية. كما قررت المغرب البدء بتدريس اللغة الإنجليزية ابتداء من السنة الأولى من المدرسة الإعدادية. وتتجه النية في هذا البلد إلى تقديم تعليم اللغة الإنجليزية إلى المدرسة الابتدائية بدل المدرسة الإعدادية، طبعًا مع الاحتفاظ باللغة الفرنسية في التعليم الابتدائي والثانوي.

وعلى مستوى آخر قررت الجزائر والمغرب في السنوات القليلة الماضية تعليم اللغة الأمازيغية (وهي لغة وطنية كانت تسمى البربرية) في المدارس الابتدائية. فالجزائر تعلم خمس لهجات أمازيغية حسب المناطق المستعملة فيها، وتكتب كل لهجة بالخط العربي والخط اللاتيني وخط تفيناغ (وهو خط قديم قريب من الكتابة الفينيقية). وفي المغرب، يتعاون المعهد الملكي للغة الأمازيغية مع وزارة التربية الوطنية في تجربة تعليم ثلاث لهجات أمازيغية حسب المنطقة التي تنتشر فيها كل لهجة.

وتكتب هذه اللهجات في المغرب بخط تفيناغ فقط. وقرار هاتين الدولتين بتعليم الأمازيغية في المدارس الابتدائية يستجيب لحاجات الأطفال الأمازيغ النفسية والعاطفية والتربوية، ويؤمن حصولهم على حقوقهم اللغوية، كما يعمل على تنمية الثقافة الأمازيغية وإسهامها في التنمية الثقافية في البلاد. وقد أكد «تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٤م» الذي يصدره البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة أن



تمتع جميع المواطنين بحقوقهم الثقافية، وفي مقدمتها الحقوق اللغوية، يسهم في تعميق الديمقراطية، وإزالة التوترات الاجتماعية والسياسية، ورفع الإنتاجية وتسريع التنمية الاقتصادية الاجتماعية في البلاد[٨].

تعليم اللغات الأجنبية في عصر العولمة

في النظام العولمي الجديد الذي تبلور في بداية التسعينيات من القرن الماضي، بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وبزوغ الولايات المتحدة الأمريكية قوة عظمى وحيدة، أصبح العالم «قرية كونية صغيرة» كما يقولون، وانفتحت أسواق جميع البلدان أمام منتجات أمريكا وتكنولوجيتها وثقافتها، وخاصة الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت)، التي ترتبط بها ١٨٦ دولة في العالم، والتي تستعمل اللغة الإنجليزية في حوال ٨٥٪ من وثائقها ومواقعها [٩]، والتي يسّرت «البريد الإلكتروني» و«التجارة الإلكترونية» و«التعلم الإلكتروني». ولما كانت اللغة الإنجليزية هي لغة أمريكا وشبكتها الإلكترونية، فقد عملت كثير من الدول على تعليم اللغة الإنجليزية في سن مبكرة لمساعدة التلاميذ على إتقانها قبل دخولهم سوق العمل. أضف

إلى ذلك أن دول الاتحاد الأوروبي أصبحت بحاجة إلى تعلم لغات بعضها البعض.

أسباب تعليم اللغة الأجنبية في سن مبكرة

في هذه الأجواء العالمية الجديدة، ظهرت علينا البحوث التربوية النفسية في الغرب بنتائج تؤيد بشدة تعليم اللغة اللغة الثانية في سن مبكرة. ويمكن تلخيص نتائج هذه البحوث فيما يأتي:

- إن العمر عامل حاسم في تعلم اللغة. ففي فترة الطفولة يتوفر الإنسان على قدرة استثنائية للتكيف لاكتساب اللغة، أصواتًا وتراكيب، بصورة تلقائية سواء أكانت لغته الأم أو أية لغة أخرى. وهي قدرة يفقدها الفرد تدريجيًا أثناء التقدم في العمر. وثبت أن تعلم لغتين أو ثلاث ليس بأصعب على الطفل من تعلم لغة واحدة(١٠).

- أيدت بحوث جراحي الدماغ الكنديين والأمريكيين ما ذكر سابقًا، إذ أثبتت هذه البحوث أن مخ الطفل الذي قل عمره عن عشر سنوات يتوفر على مرونة كافية بفضل استهلاكه لمادة الغلوكوز (سكر العنب) بمعدل سريع في هذه الفترة، والتي يقل استهلاكه لها بعد ذلك(١١). وأكد الباحثون الأوروبيون هذه النتائج التي لخصها البروفيسور «حجيج» الأستاذ «بالكوليج دي فرانس» بباريس، بقوله: «إن الطفل قادر على سماع ومحاكاة أصوات اللغات الأخرى التي ليست معروفة في لغته الأم، ولكنه يفقد تلك القدرة بعد السنة العاشرة من العمر»(١٢).

- أشارت بعض البحوث إلى وجود علاقة بين تعلم لغة ثانية وازدياد درجة الذكاء لدى الطفل. فقد أخضع الباحثون مجموعتين من الأطفال لاختبارات ذكاء لفظية وغير لفظية، فوجدوا أن الأطفال مزدوجي اللغة أذكى من الأطفال وحيدي اللغة. وردوا ذلك إلى أن الأطفال الذين يتعلمون لغة ثانية يكتسبون قدرات معرفية أكبر نتيجة تعودهم على التنقل من نظام رمزي إلى آخر(١٣).

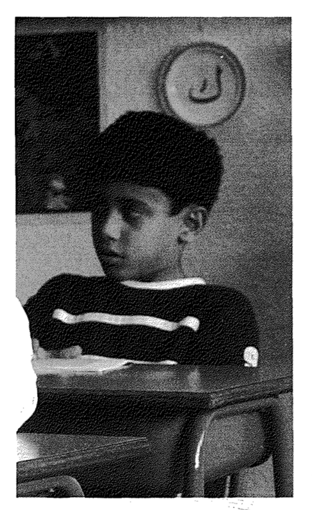
- يؤثر تعلم اللغة الأجنبية تأثيرًا إيجابيًا في مهارات التواصل لدى الطفل، ويعمقها، ويحسن مهارات الاستماع لديه، ويقوي ذاكرته، ويساعده على إدراك ظاهرة اللغة بصورة أفضل. ولأن مهارات تعلم اللغة تنتقل من لغة إلى أخرى، فإن تعلم لغة أجنبية يساعد الطفل على إتقان لغته الأم، ويسهل له تعلم لغة أجنبية ثانية وثالثة في المراحل الدراسية اللاحقة(١٤).

الأطفال الذين يتعلمون لغة ثانية يكتسبون قدرات معرفية أكبر نتيجة تعودهم على التنقل من نظام رمزي إلى آخر

- لتعلم اللغة الأجنبية تأثير إيجابي في تعلم المواد المدرسية الأخرى وتحسين الأداء المدرسي العام للتلميذ. وهذا ما يمكن استنباطه من نتائج اختبار القدرات الدراسية في الولايات المتحدة الأمريكية المعروف بـ(SAT) الذي تعتمده الجامعات الأمريكية في قبول خريجي المدارس الثانوية. فقد دلت نتائج هذا الاختبار على أن الطلاب الذين درسوا لغة أجنبية مدة أربع سنوات أو أكثر حصلوا في القسم اللفظي من الاختبار على علامات أعلى من علامات زملائهم الذين لم يدرسوا لغة أجنبية، كما أنهم حصلوا في القسم الرياضي على علامات مماثلة لأولئك الطلاب الذين درسوا الرياضيات مدة أربع سنوات أو أكثر(١٥).

- لتعلم اللغة الأجنبية في سن مبكرة أثر إيجابي على شخصية الفرد، وتعزيز ثقته بنفسه، وانفتاحه على الثقافات العالمية والتفاعل معها، وتطوير قدراته التواصلية والتنافسية، وزيادة طاقاته الإبداعية، لأنه لا يبقى حبيس نظرة ضعيفة للحياة أو اختيار محدد واحد، وسيسهم ذلك في حمايته من التطرف وكذلك في تفوقه في سوق العمل(١٦).

ونتيجة لهذه البحوث قرر الاتحاد الأوروبي أن تكون سنة ٢٠٠١م «السنة الأوروبية للغات»، وأطلق خطة أوروبية مشتركة لتعلم اللغات الحية وتعليمها



وتقييمها، وترمي هذه الخطة إلى إدخال لغة ثانية في بداية المدرسة الابتدائية وإضافة لغة ثالثة في نهايتها[١٧]. وقد تبنت الدول الأوروبية هذا التوجه حتى إن فرنسا قررت تعليم لغة ثانية ابتداء من السنة الثانية لرياض الأطفال.

ومن ناحية أخرى، أعلن المجلس الأمريكي لتعلم اللغات الأجنبية (ACTFL) في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ٢٠٠٥م «سنة للغات» وقررت عدة ولايات أمريكية تبني «برامج تعلم اللغة الأجنبية المبكر»، أي ابتداء من رياض الأطفال حتى التخرج من الجامعة[١٨].

لكي تكتمل صورة المنظومة اللغوية للطفل العربي في التعليم ينبغي الإشارة إلى ظاهرة الإزدواجية اللغوية السائدة في البلاد العربية والمتمثلة بوجود لغة عامية تستعمل لأغراض الحياة اليومية إلى جانب لغة فصيحة تستعمل في التعليم والمناسبات الرسمية. إضافة إلى ذلك، فهناك أقليات لغوية في عدد من الأقطار العربية كالعراق وسوريا والمغرب والجزائر والسودان وموريتانيا. وهذا يعني أن الطفل في تلك البلدان سيتعلم عند دخوله المدرسة الابتدائية ثلاث لغات: اللغة القومية الرسمية (العربية)، واللغة الوطنية غير العربية المستخدمة في منطقته (كالكردية والتركية والأمازيغية)، واللغة الأجنبية الأولى (الإنجليزية أو الفرنسية). وتتطلب مواجهة هذا الوضع اللغوي المكثف إجراءات نُجمل أهمها في التوصيات التالية:

- اتباع أحدث طرائق التدريس وأنجعها في تعليم اللغات واستخدام أرقى التكنولوجيات التربوية وأفضل الكتب المدرسية، وذلك لأن المنهج المدرسي لا يسمح بتخصيص عدد كبير من الساعات الأسبوعية لدراسة كل لغة. فلابد من أن تضطلع الكيفية بتعويض النقص في الكمية.

- إعداد مدرسين مؤهلين تأهيلاً عاليًا وإعادة تأهيل المدرسين الموجودين حاليًا ليتمكنوا من استخدام الطرائق التدريسية والتكنولوجيات التربوية المتطورة. فمعلمو المدارس الابتدائية، كما هو اليوم، لا يصلحون لتعليم اللغة الأجنبية. الحاجة ماسة إلى أساتذة يحملون شهادات عليا (الماجستير مثلاً) في اللغة التي يعلمونها بالإضافة إلى دبلوم في التربية وعلم النفس وطرائق التدريس (وهذه هي مؤهلات معلمي المدارس الابتدائية في فنلندة التي تصدر لنا هواتف نوكيا المحمولة).

- مساهمة مؤسسات أخرى غير المؤسسة التربوية في إنجاح عملية تعليم اللغات. وفي مقدمة هذه المؤسسات وسائل الإعلام، وخاصة التلفزيون. فلتخفيف صعوبة ظاهرة الازدواجية (عربية فصحى،عربية عامية)، لا بد من أن تلتزم وسائل الإعلام العربية بسياسة ترمي إلى تغليب اللغة الفصحى وزيادة المدة المخصصة لها في جميع البرامج.

وأن يخصص التلفزيون قنوات أو برامج للغات التي يتعلمها الأطفال تساعدهم على التمرن والتعود على سماعها واكتسابها. ■

بحث مقدم إلى مؤتمر «الطفل العربي في مهب التأثيرات الثقافية المختلفة»، مكتبة الإسكندرية، ٢٥-٢٧ سبتمبر ٢٠٠٥

الهوامش:

١- Charles Ferguson, "Diglossia" World, 15 (1959)-340 325

مثلما وردت ترجمة التعريف في:

علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم (بيروت: مكتبة لبنان، ٢٠٠٤) الطبعة الثالثة، ص٤٠.

٢- يذهب بعض اللغويين الغربيين إلى أن اللهجات العربية يمكن أن تنفصل عن اللغة العربية الفصيحة المشتركة وتكون لغات مستقلة تمامًا كما حصل للهجات اللاتينية التي استقلت في القرون الوسطى وشكلت لغات قائمة بذاتها مثل الفرنسية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية. وقد ردد في البلاد العربية بعضهم هذا القول ودعا إلى استخدام اللهجات في التعليم بحجة تحسين فهم الطفل إذا تعلم باللهجة التي يتحدث بها. وقد نسي أولئك اللغويون الفروق اللسانية والثقافية والاجتماعية بين اللاتينية والعربية، وهي فروق لا متسع هنا لبسطها، ويكفي أن نذكر هنا دور القرآن الكريم في حفظ اللغة العربية الفصيحة وتقريب اللهجات منها.

3- William Mackgy, Language Teching Analysis (London: Longman, 1969).

٤- علي القاسمي، «التداخل اللغوي والتحول اللغوي» في مجلة الفيصل، العدد ٢٢٤ (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ص٤٤-٥٥.

٥- خالد أحمد الناصر، العمالة الوافدة من دول العالم الثالث إلى المملكة العربية السعودية «في مجلة بحوث دبلوماسية»، العدد ١١ (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ص١٦١-٢٠٥.

٦- أنظر التفاصيل في كتاب:

علي القاسمي: اتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى (الرياض: جامعة الرياض، ١٩٧٩م) ص٦١-٦٦.

٧- المرجع السابق.

٨- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٤: الحرية الثقافية في عالمنا المتنوع (نيويورك: برنامج الأمم المتحمدة الإنمائي، ٢٠٠٤م) ص٦٠-٦٥.

وانظر كذلك: عبدالهادي بوطالب، الحقوق اللغوية (الدار البيضاء: دار الثقافة، ٢٠٠٤م).

٩- محمود إيراقن، «الإنترنت: دراسة اتصالية ومصطلحية، في مجلة اللغة العربية، الجزائر، العدد السابع (٢٠٠٢م)، ص٢٩٩-٣٢٩. وتشير إحصاءات الإنترنت بتاريخ ٢٤/٣/٢٠٠٥م إلى أن اللغات العشر الأولى من حيث نسبة المبحرين (عدد مستعملي الشبكة) هي: الإنجليزية ٣٢,٨٪، الصينية ١٢,٨٪، اليابانية ٦,٧٪، الإسبانية ٦,٤٪، الألمانية ٦,١٪، الفرنسية ٤,٢٪، الكورية ٣,٦٪، الإيطالية ٣,٢٪، البرتغالية ٢,٤٪، الهولندية ١,٦٪، بقية اللغات ١٩,٢٪. ولعل هذه النسب تؤشر إلى مدى التقدم العلمي والتكنولوجي في البلدان الناطقة بتلك اللغات. كما أن غياب اللغة العربية قد يدل على عدم انتشار الإنترنت في البلدان العربية، وأن بعض مستعملي الإنترنت العرب يستخدمون اللغة الإنجليزية أو الفرنسية لقلة المواقع العربية على الشبكة وضعف محتوياتها. المصدر:

www.internetwoldstats.com/stats7.htm

10-www.fdlm.org/fle/aricle/330/groux.php

11-www.country-day.com/preschoollanguages. htm

12- C.Hegege. L'enfqnt qux deux langues (Paris: Odile Jacob, 1996).

13- w. Lambert& E. peal, "The relation of bilingualism to intelligence" In Psychological Monographs, 76 (1962) pp. 1-23.

14- Glady C. Lipton. Practical Handbook to Elementary Foregin Language Programs (Washinton D.C,: FLES, 1998).

وكذلك Helena Curtain. Foreign Language Learning: An Early Start. In ERIC Digest.

www.eridigests.org/pre-9218/start.htm

www.cal.org/resources/faps/rgos/benes.htm

15-www.ericdigests.org/pre-9218/start.htm

16- W. Lambert& O.Klknebert (Children's View of Foreign People (NewYork:Appleton-Century-Crofts, 1976).

www.fdlm.org/fle/article/330/groux.php.

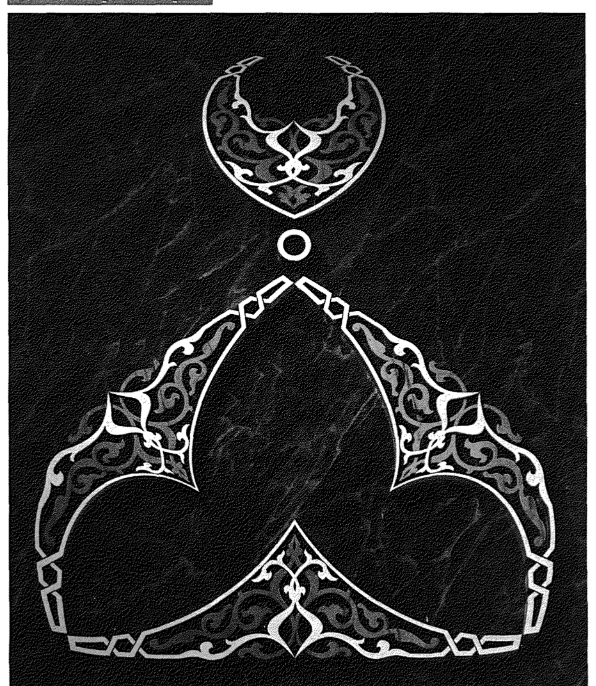
17- www.pedagogie.ac-monpellier.fr

18- www.actfl.org

الرسول القائد صلى الله عليه وسلم

مفهوم إسلامي في الإدارة

مجدي سعد المصري* ـ المدينة المنورة



*كلية المعلمين ـ قسم التربية وعلم النفس .

وصف القرآن الكريم الرسول صلى الله عليه وسلم كقائد بهدف تحقيق الاقتداء به كقيادة في أي مجال من المجالات الحياتية المختلفة من أجل إيجاد نجاح حقيقي في هذه المجالات كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاعدة مؤداها قوله تعالى﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا﴾ والاقتداء لا يكون في مجال واحد فقط كالصلاة مثلا أو الصيام منفردًا كل منهما إنما يكون في كافة مناحي الحياة وبالأخص أسلوبه صلى الله عليه وسلم في قيادته الأمة العظيمة

ولنضرب بعض الأمثلة لصفاته القيادية صلى الله عليه وسلم:

يصف المولى عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم وهو يمن بذلك على المؤمنين حيث يقول تعالى﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ وفي آية أخرى يقول الحق تبارك وتعالى﴿ وإنك لعلى خلق عظيم﴾ ويقول الله تعالى﴿قل أذن خير لكم﴾ وقوله تعالى﴿إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا﴾ وقوله﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ وغيرها من الآيات والدلالات القرآنية على دوره القيادي، وقوله صلى الله عليه وسلم «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». ولنقف مع الآية لنحللها بما توفر لنا من معرفة ضئيلة، وندرس ونتعلم كيف يجب أن تكون أخلاقنا وصفاتنا وأسلوبنا في التعامل مع الآخرين حينما نتحمل المسؤولية ونكون قادة في أي موقع أو ميدان حياتي.

رسول من أنفسكم

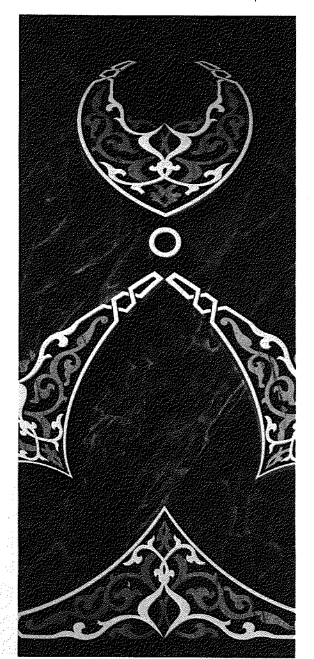
نعمة من الله أن يكون الرسول القائد والمعلم لنا واحد منا وليس من خلق أو طبيعة مختلفة لقوله تعالى﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ﴾ على عكس ما أراده الكفار، حيث تمنوه ملكًا أو تكون معه قوة خارقة تسهل له أمور الحياة وتوفر كل ما يتخيلوه من مطالب وشهوات، وردت هذه الأمور، حيث إنه صلى الله عليه وسلم ﴿رسول من أنفسكم﴾ ﴿وبشر مثلكم﴾، ويزيد على ذلك أنه ﴿يوحى إليّ﴾، وتتضمن تلك العبارات العظيمة الحكم الكثيرة، حيث يكون مناطًا للقدوة والتأسي، فلا قدوة بمن تختلف طبيعته عن طبيعة ما حوله، ويجعله ذلك أكبر وأكثر قابلية للتعامل الطبيعي والسهل غير المتكلف مع أصحابه وغيرهم.

عزيز عليه ما عنتم

يعد القائد مقبولاً من مرؤوسيه إذا كان متفاعلاً معهم مشاركًا لهم في مشاكلهم واهتماماتهم وآلامهم، إما إذا حدث العكس وتجاهلهم ونفر منهم وتعالى عليهم فإنهم يصابون بالبرود والتكاسل وتكثر آلامهم وشكواهم، وتتفاقم مشكلاتهم مع مواقف العمل المختلفة، حيث أثبتت الدراسات الإدارية الحديثة أن القائد المتفاعل اجتماعيًا والمثابر والمؤثر بالآخرين أكثر نجاحًا «وقبولاً» من القائد الذكي حتى لو كان الأول أقل كفاءة من الثاني، ولعل هذا يفسر نجاح رؤساء دول فقدوا كثيرًا من الذكاء لكنهم لم يفقدوا الحضور والتفاعل الاجتماعي والتأثير والتأثر بالأخرين، فما بالك وأستاذنا ومعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تمتع بالذكاء العظيم والتفاعل الاجتماعي المؤثر والروح الطيبة الفياضة والرقة والرحمة ﴿ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾.

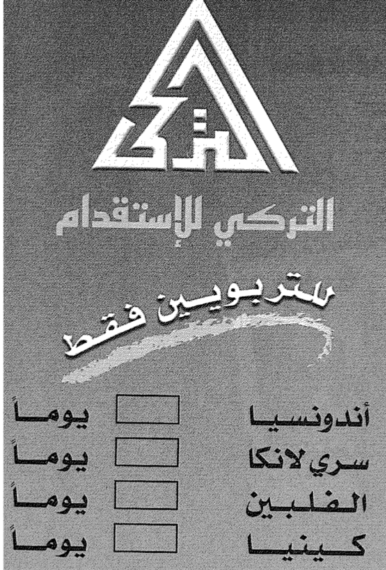
حريص عليكم

من أقوى العلاقات المؤثرة بين القائد ومرؤوسيه أن يكون حريصًا عليهم وعلى مصالحهم، والأقوى من ذلك أن يكون هذا الحرص ملموسًا وواضحًا ويشعر به الآخرون دائمًا، فقد يكون القائد حريصًا على من معه بالفعل لكن لا يستطيع أن يعبر عن ذلك بأية وسيلة تجعل هذا الحرص واضحًا ومفهومًا لهم مثل الأب الحريص على أبنائه إلا أن أسلوبه في التعامل معهم يجعلهم يشعرون أنه ليس حريصًا عليهم، بل ربما يقوم بسلوكيات تصيبهم بالإزعاج وتعكر صفوهم كما يعتقدون، إذًا ليس مجرد الحرص على



المصلحة يكفي وحده، لكن وصول ذلك إلى المرؤوسين والتعبير عنه بوضوح يعد هامًا جدًا في أداء القائد، لذا وصف الله تعالى رسوله بأنه حريص على من معه بأسلوب تطبيقي، ولذا نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول«أمتي أمتي» «وأنا موضع تلك اللبنة» «وما أصابك لم يكن ليخطئك» «وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» ومئات الأحاديث والمواقف التي تؤكد حرصه صلى الله عليه وسلم كقائد على من معه. ويعد حرص القائد على مرؤوسيه - انطلاقًا مما سبق- أحد الأدوار الرئيسة التي عليه أن يمارسها بإخلاص وكفاءة، بالإضافة إلى الحصول لهم على كل ما ينفعهم والسعي لهم في الخير سواء على مستوى الأداء الشخصي له أو عند المستويات الإدارية الأعلى، كما يقوم بما يؤكد لهم حرصه على مصلحتهم دون أن يسعوا إليه ليسألوه تلك المصلحة أو المنفعة فما بالك إذا سأله أحدهم ذلك، فلا يدخر وسعًا في تأديتها له بحب وعرفان وتفان وإخلاص. وهناك أربعة أنماط للقيادة حسب هذا البعد الإنساني تختلف في إبعادها وممارستها وردود فعل الآخرين تجاهها، وهذه الأنماط تتمثل في النقاط التالية:

❖ قائد حريص على من معه ويعبر عن ذلك بشكل واضح، ويعد أفضل نمط يمكن أن يكون فيه القائد، وهو ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من حرص تطبيقي عملي يتعدى مستوى الكلام والأماني إلى مستوى الفعل والأداء، ولذا نجد أحد الصحابة يقول بما فحواه :(كنا حينما نجلس مع الرسول صلى الله عليه وسلم ويكلمنا يوزع اهتمامه علينا حتى يشعر كل فرد حوله أنه يخصه دون غيره بالاهتمام والحب) وكان من شدة حبه وحرصه لا يفرط في مشاعر وأحاسيس من حوله مهما كان شأنه سواءكان طفلاً صغير أو شيخًا هرمًا، مسلمًا فقيرًا أو غنيًا رجلاً كان أو امرأة. وهناك المواقف والأحاديث المتعددة التي تنم عن عظمة قيادة رسول الله في هذا الشأن مثل تربيته الحسن والحسين وهم أطفال صغار، وحواره مع عمر حين كان يلعب، وحواره مع «خولة بنت ثعلبة» حينما كانت تحدثه عن مشاكلها مع زوجها، ونزل في ذلك قرآن كريم ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ وحرص الرسول صلى الله عليه وسلم كقائد يأخذ المستوى العام أي على الأمة



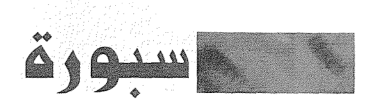
ككل، ويعد حرصًا أشمل جاءت رسالته كلها من أجله. حرصه علىمستوى الصحابة الذين معه أثناء إدارته اليومية للمجتمع الإسلامي، كحرصه على توفير الطعام لهم يوم الخندق وقت أن أشرفوا على الهلاك من الجوع حينما دعاه أحد المسلمين سرًا لطعام وهي شاة صغيرة فصاح صلى الله عليه وسلم في أصحابه وهم يحفرون الخندق هلم إلى وليمة أخيكم، وهذا هو الحرص على الأتباع والمرؤوسين بأسلوب تطبيقي حيث كفى الطعام ببركته جميع أصحابه الكرام.

❖ قائد حريص على من معه ولكنه لا يعبر عن ذلك بشكل واضح لأنه لا يمتلك مقومات تساعده على أن ينقل هذا الاهتمام لهم، قد تكون لأسباب شخصية فيه أو في المرؤوسين أو في الموقف الذي يشكل عملية إدارية مثل الأب الذي يقسو على أبنائه ظنًا منه أن ذلك وسيلة من وسائل حرصه عليهم، ووجدنا هذا النمط في بعض القيادات التي سرد لنا التاريخ إداراتها للحياة والمعارك في الدولة الأموية والفاطمية والعثمانية وغيرها.

❖ قائد غير حريص على من معه ولكنه يظهر غير ذلك، ويعد حريصًا على ذاته ومنفعته الشخصية ينصب اهتمامه على مقعده الإداري أناني بطبعه، يستخدم أساليب المكر والدهاء في إدارته وقيادته، وسرعان ما تتقلص دعائم مثل هذا النمط من الإدارة وتنهار عليه، حيث يكتشف المرؤوسون نواياه من نتائج قيادته وأسلوب إداراته لهم، وقد سرد لنا التاريخ انهيار إمبراطوريات أخذت قيادتها هذا النمط وخاصة في العالم الغربي غير الإسلامي حينما يسير القائد في ضلال وغي الأنانية، ويسعى للفرقة بين مرؤوسيه بهدف زيادة تسلطه عليهم.

❖ قائد غير حريص على من معه ويظهر لهم ذلك بغلظة وقسوة، يتسم بالجبروت واستخدام وسائل العنف في إداراته لمرؤوسيه، لا يقبل رأيًا مهما كان صوابه ولا يستمع لنصيحة مهما كانت نافعة، يعد نفسه فوق الجميع، لا يرعى أحدًا من أتباعه ولا يغيث ملهوفًا أو يقضي حاجة محتاج، يصب جام غضبه على من معه لأتفه الأسباب وينكل بمن يعارضه أو يلتمس منه إصلاحًا، ويعد هذا أسوأ أنواع الأنماط القيادية التي يرفضها الإسلام الحنيف موضوعًا وعملاً. ■

- نحن شعوب مجاملة ومراوغة
- الرصاصة ساخنة جدًا
- لغة العقل
- التربية على التخويف



تعقيبًا على «وجهة نظر» العدد ١٣٠

نحن شعوب مجاملة ومراوغة!

محمد أحمد شاهين - القاهرة

تناول الدكتور فهد العتيبي كثيرًا من عناصر العملية التربوية من خلال عرض وجهة نظره بمجلة المعرفة (العدد ١٣٠ محرم ١٤٢٧هـ الموافق فبراير ٢٠٠٦م). وقد استوقفني من ضمن كثير من النقاط ما يخص أهلية من يتصدون للتدريس. فقد أشار إلى صعوبة التأكد من تلك الأهلية، خصوصًا إذا قيست من خلال اختبارات ينقصها الكثير من الصدق والثبات والموضوعية.

ولفترة طويلة خلال دراستي في مرحلة الماجستير وبدايات حياتي العملية أشك كثيرًا في مثل هذه الاختبارات، وكذلك في وسائل جمع البيانات والمعلومات، لا سيما تلك الأداة التي نستخدمها كثيرًا في البحوث والدراسات الاجتماعية والتربوية، ألا وهي «الاستبانة» وامتد الشك بالتالي ليطول النتائج نفسها بعد تحليل البيانات، ولكن وبعد فترة وبعد المرور عبر مواقف وخبرات وتجارب واطلاع بدأ هذا الشك ينحسر عن «الاستبانة» وينسحب إلى الشخص المستبان أو المفحوص. فالاختبار أو أي أداة فحص هي أداة يتم ابتكارها وتصميمها لتعيننا على جمع بيانات غير منحازة حول المشكل المعين. وقد وضع لها كثير من الضوابط، كما أنها تمر عبر محكمين من ذوي الخبرة والاختصاص. والتساؤل الأفضل في رأيي هو ماذا عن الشخص موضع الاختبار؟ إلى أي مدى هو صادق في إجابته أو إعطائه المعلومة؟ وهل يتمتع بدرجة من الصدق والثبات والموضوعية فيما يدلي به من بيانات؟

أذكر أنني عندما كنت في دراسة الماجستير، وفي الفصل الدراسي الأخير وهو فصل البحث التكميلي عرض عليّ أحد الأساتذة الأجلاء (وهو بدرجة بروفسور) أن يكون موضوع البحث، تكنولوجيا التعليم وتطبيقاتها، ولكني فضلت موضوعًا آخر.

وتمر الأيام وبعد التخرج وبعد عام تقريبًا عدت إلى أستاذي وأنا أحمل مخططًا للبحث حول تكنولوجيا التعليم وتطبيقاتها بغرض نيل درجة الدكتوراه. ولدهشتي الشديدة رفض البروفسور الفكرة وحجته في ذلك أنها لن تعطي نتائج حقيقية، إذ لن يقول أحد إنه يستخدم الأسلوب التقليدي في التدريس، أو لا يستخدم أساليب التدريس الحديثة، رغم أن الفئة المستهدفة بالبحث هم الأساتذة، وأساتذة الجامعات!

وكانت كلماته تمامًا: «من الذي سيقول لك إنه لا يستخدم الأسلوب الحديث في التدريس؟ كلهم سيقولون إنهم يستخدمونه!».

إن المشكلة فعلاً تكمن في أنظمتنا التعليمية التي تعاني شروخًا عميقة، وتعطي مخرجات تتميز بكثير من عدم الموضوعية والصدق وبكثير من المجاملة وتزيين الواقع، وتفتقد للنظرة الثاقبة الفاحصة التي ترى السلبيات وتتطلع إلى التغيير.

جميعًا يمكننا ملاحظة انتشار مثل هذه الصفات وسط مختلف الفئات ومع اختلاف مستوياتها التعليمية حتى أصبحت هذه الصفات تميزنا كمجموعة بشرية. فنحن نتحدث في مجالسنا غير الرسمية عن أننا شعوب مجاملة وتراوغ كثيرًا في إعطاء المعلومة الصحيحة، وتلون الأشياء بما تحب، ولا نعتقد إطلاقًا أن هذه صفة سلبية وأنها إحدى أسباب مشكلاتنا وتعثرنا ■

الرصاصة ساخنة جدًا

قصة عبدالحليم البراك - القصيم

أسأل يا زرقاء..
عن جاري الذي يهم بارتشاف الماء،
فيثقب الرصاص رأسه.. في لحظة الملامسة
عن الفم المحشو بالرمال والدماء...!!

أمل دنقل

(حدث هذا قبل أن أموت!)، فالزناد الأسود كان يلمع لولا خدش بسيط عليه، كان يكشف عن بقعة فضية صغيرة تطل من خلف الدهان الأسود، الخدش كان صغيرًا، لم يتخلق هذا الخدش من فرط الاستعمال، بل ربما من زمن وضع وشمه عليه، أو ربما كان من المبالغة في تنظيفه!

كانت مساحة الزناد التي يدور فيها الإصبع لا تتجاوز الـ ٢,٩سنتيمتر لدوران أصبع واحدة فقط. الرصاصة - أيضًا- لم تكن طويلة جدًا، فقد كان طولها تحديدًا: ١,٦ سنتيمتر، كانت قاسية بدرجة كبيرة جدًا، فصناعتها من الصلب المجلفن جعل منها سهمًا صلبًا غير قابل للثلم.

لم تستقر في موقعها طويلاً، بل تحركت محدثة جلبة كخشخشة حديد اصطك ببعضه، في أول الأمر، ومن خروجها من بيت النار نحو الاستعداد، إلى أن استقرت في أول القصبة، استعدت لضربة متسلطة على ظهرها المطروق! (كل تلك الأصوات تخترق أذني كرنين حاد!).

بيت النار كان يختزن عدة رصاصات لا تتجاوز العشر، مشطها كان طويلاً جدًا، زاد عن الـ ٧ سنتيمترات بقليل.

لقد كانت ضربة الزناد على ظهر الرصاصة، مؤذنًا بتحركها باستقامة واحدة متقنة، وبسرعة البرق، لتمر من قصبة دقيقة، فتحتها تنبئ عن فتحة جحر أسود مربع بـ ١,٨ سنتيمتر.

ثمة نار غير مرئية صدرت من تلك القداحة، تلاشت مع ضيق المكان، فلم يبن منها شيء رغم أن حرارة خفية ألهبت المكان الضيق وأورثت رائحة حديد محترق! استوعب أنفي كل تلك الروائح الجادة.

لف القصبة دخان لطيف، وانتشرت رائحة برادة الحديدة المحتك جراء ممشى الرصاصة بالقصبة، أورثت تلك الرائحة هبة موت بعث من جديد..

(عندما غادرت الرصاصة القصبة، لمحتها حدقة عيني!) كانت تسير بثقة مفرطة، واستقامة نادرة، فرغم الاهتزاز الواضح الذي صاحب لحظة خروجها ومغادرتها القصبة، إلا أنها لم تلبث أن استعادت توازنها، وهي تخترق الهواء: (باتجاهي...!!).

كانت تخترق الهواء نحوي في نعومة غير مسبوقة، اختراقها يشبه لسعة سوط أو سلك منداف من حديد مشدود يقرص به، قسوة الرصاصة وهي تخترق الهواء، بدت ناعمة في ملامستها للهواء أول الأمر، لكنها محرقة وكاوية!

الهواء كان باردًا في رأس الرصاصة المدبب لكنه لم يلبث أن يسخن حد الاحتراق في مؤخرتها.

(ما إن استغرقت بضع ثوان نحوي حتى خز رأس الرصاصة صفحة جلدي، كل شيء اختفى تمامًا!!) ■



سبورة

رباعيات

شعر: حارث طه الراوي- أبوظبي

عندما لا يسمع الحقُّ.. ... ويُصغَى للنفاقِ
ويظلّ الحرُّ منبوذًا.. ... يلاقي ما يلاقي
ويُصد الفكر بالتهريج.. ... والزّيفِ المُراقِ
يصبحُ العيشُ جحيمًا ... والرَّدى حلوَ المذاقِ!

* * *

تغني لي الآلام دومًا فأطربُ ... ويملي علي الجرحُ شعرًا فأكتبُ
إذا الشعرُ لم يصهر حشايَ بناره ... أقول له: دعني فإنك تكذبُ
وإن لم يجئني بالدموع سخينةً ... أقول: لغيري أنت يا شعر تُنسبُ
عجبتُ لمن يُزجي القريض تكلفًا ... ويدفعه نحو المطامع مأربُ!

* * *

ألمي أن يعيش قومي بذلٍ ... بين أنياب فرقةٍ وشتاتِ
إن دعاهم إلى التضامن داع ... وصموه بأبشع السّيئاتِ!
أو نهاهم عن الشتائم ناهٍ ... نبذوه ظلمًا كنبذِ النواة
ولأني أردتُ خيرًا لقومي ... ضاع صوتي في ضجةِ الأصواتِ!



لغة العقل

ياسر داود- الرياض

«أبناؤنا».. هذه الكلمة التي تحمل بين حروفها أحلام عمر ورحلة كفاح وحبات عرق وتخطيط عقل. هذه الكلمة التي تتمحور حولها حياة الكثيرين من الآباء لدرجة تجعلهم يتخلون عن كل (أو بعض) أحلامهم ويختزلوها في حلم واحد هو نجاحهم (أي الأبناء)! والسؤال: هل تغير الأبناء في سلوكهم وعقولهم عن أبناء الجيل الذي سبقهم؟ والرد البديهي هو بالإيجاب. نعم لقد تغيروا.. ما من شك في ذلك، حيث أصبحوا الآن أبناء عصر المعلومات والحاسوب، وأصبح لنا في التربية شركاء آخرون، لا نبالغ إذا قلنا إنهم أصبحوا أكثر اقترابًا منا لهم، بل وأكثر تأثيرًا!

لكن في الحقيقة سؤال آخر أهم طرحًا وأخطر مردودًا: هل تغير الآباء بما يتناسب مع تغير الأبناء؟ وهل تغير أسلوب التربية والمعاملة بما يسمح لأبناء هذا الجيل بالتواصل مع آبائهم وعدم شعورهم بأن البون شاسع والفجوة واسعة؟ لقد صدق الإمام علي كرم الله وجه حينما قال عن أبنائنا:«إنهم خلقوا لزمان غير زماننا» فلم تعد اللغة الآمرة والسلطة الأبوية هي الحاكمة والمسيطرة على علاقة الأبناء بالآباء بقدر ما أصبحت هناك لغة أخرى أكثر إقناعًا وأشد عمقًا وأسرع قبولاً وتأثيرًا وهي لغة العقل والحوار. فهل جربت هذه اللغة مع أبنائك؟ هل جربت أن:

- تجلس مع ولدك لمدة عشر دقائق في اليوم تتحاور معه كصديق؟
- تسأله: كيف يقضي يومه؟
- تأخذ رأيه في بعض الأمور وتشركه معك في بعض مشكلاتك، إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- كان يستشير الأطفال، ولما سئل عن ذلك قال إنهم أحد منا ذكاء لأنهم لم يرتكبوا معصية بعد.
- هل تحترم عقل ابنك وتقدر تفكيره بما يشعره أنه كائن مقبول ومؤثر؟
- هل تهاتفه وأنت خارج البيت لتعويض انشغالك عنه وإشعاره بأنك مهتم به؟

إن هذه الأمور الصغيرة البسيطة هي التي تصنع شخصية مؤثرة قادرة على التواصل مع المجتمع وقبل ذلك التصالح مع الذات.

إن تربية أبنائنا تحتاج منا أولاً أن نربي أنفسنا على تلك المفاهيم والقيم التي نريد أن نغرسها فيهم، ومن ثم يخرج جيل صالح يحمل قيم وثوابت الجدود ومفاهيم ولغة العصر.■



سبورة

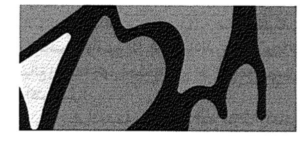
التربية على التخويف

غالية خوجة - دبي

لماذا اعتمد مجتمعنا الإسلامي على جحيم الله وحده في تربية الأرواح وتهذيب النفوس وتنمية الأخلاق، علمًا بأن الله سبحانه وتعالى هو المنجي الملجأ والأمان والطمأنينة والسلام وعنده مرآة أخرى من الجزاء: الجنة؟! ولماذا أسرتنا تربي طفلها على التخويف من الله والترهيب به متناسية الفضاء الترغيبي في ديننا الكامل؟! لماذا الأم والأب والمقربون والمعلمون لا يتذكرون وهم يوجهون الطفل حين يذنب أو يرتكب ما لا يرغبون به بعباراتهم الوحيدة اليتيمة «سيحرقك الله بالنار». لماذا يزرعون النار في البراءة منذ اللحظة الأولى ناسين أن يضيفوا للجملة فيما إذا كان لابد منها: «وإذا لم تفعل كذا، لأنه يسبب كذا، فإن الله سيحبك أكثر ويهديك، ويجعلك في الدنيا ضوءًا منيرًا، ولك في الآخرة بيت في الجنة»؟ أي (بمعنى) لماذا لا نضيف كلامًا آخر للطفل لنزرع فيه عقاب الذنب وثواب الخير سواء الخير الناتج عن الفعل أو الامتناع عن الفعل؟!

نقول: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا﴾ إذًا الخلل (أبدًا) لا يمكن أن يكون في النص. وعلى هذا فإن الإسلام براء من كثير من الذين فهموا النص وفسروه وأولوه طبقًا لدرجات عقولهم ووعيهم وفهمهم، وليس طبقًا لشبكته العلائقية في النسق المكاني، وفي النسق الزماني حيث المواكبة لكل العصور والنفوس والأمكنة. هل جاء هذا الفهم من الجهل أم الأمية، أم من أنصاف المتعلمين، أم المتعلمين غير المثقفين، أم المثقفين المبتعدين عن جوهر الثقافة والدين؟ تعددت الأسباب والنتيجة واحدة!

إذًا أليس علينا أن نستعيد ما تباعد منا في الظلام لنفتتح الضوء قبل أن تفوتنا مشكاة النور؟



الإخوة:

- فهد عبدالستار عامر- النجف.
- مفيد نجم- أبوظبي.
- محمد بن عبدالعزيز المسند- الرياض.
- عبداللطيف بن إبراهيم الغضية - الرياض.
- جهاد صالح.
- أحمد فؤاد أمين - القاهرة.
- عبدالله محمد العوفي - المدينة المنورة.
- عمادالدين أبو العلاء - الجوف.
- إبراهيم عمر باعقيل - جدة.
- راشد خريزان القباني - الأفلاج.
- محمد رائد الحمدو- المدينة المنورة.
- محمد محمود العطار- مصر.
- عبدالعزيز قريش- المغرب.
- سليمان بن محمد النجران- القصيم.
- سعيد بن مشبب الدوسري - الرياض.
- محمد دريهم الغامدي - الخبر.
- بسام الطعان - سوريا.
- عوض بن علي الوهابي - سراة عبيدة.
- حسن بن علي العوفي - الطائف.
- عصمت صالح النادي.
- غازي حاتم - سوريا.
- محمد الشاوي - الرياض.
- أمير عبدالكريم جابر- النجف.
- سالم مبارك الفلق - حضرموت.

مشاركاتكم وصلت، وبانتظار الجديد.



أسامة شبكشي

البحث عن الشمس الدافئة

تكلف الألمان ٧٧ مليار مارك .



شهادة و . . ملابس داخلية



الحاج «هتلر»!



الحياة جملة من الأحداث والمواقف..
ومع كل حدث هناك وجهة نظر..
وملامح الشخصية تحددها وجهات النظر..
و«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول: إن اختلاف وجهات النظر طبيعة إنسانية ينبغي ألا تفسد للود قضية كما نردد دوماً.
وإذا كان تضاد وجهات النظر نقمة، فإن تنوعها نعمة يجب أن نحسن تناولها.
ضيفنا العزيز: معالي الأستاذ الدكتور أسامة شبكشي - وزير الصحة السعودي سابقًا - السفير السعودي في ألمانيا حاليًا.
يقدم لنا شيئًا من وجهة نظره فيما يلي:

أسامة شبكشي

لو كان بإمكاني لشجعت كل الجامعات السعودية على إدخال اللغة الألمانية كلغة أجنبية ثانية

❖ **«يجب على الإنسان ألا يتهاون في طلب العلم والمعرفة» (شعار أطلقه الكاتب والشاعر الألماني فيلهيم بوش Wilhelm Busch).**

سبق ذلك الأثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم بطلب العلم من المهد إلى اللحد.. واطلبوا العلم ولو في الصين.

❖ **التعليم في ألمانيا يصنع المرسيدس.**

كما أنه يصنع الدقة والإتقان في إجادة العمل المنوط بالإنسان.

❖ **الالتحاق بسوق العمل يبدأ بعد ١٠ سنوات من الدراسة الإلزامية.**

والتطبيقية، أي الميدانية.

❖ **الدراسة في ألمانيا مثيرة للطالب أكثر من غيرها من الدول.**

تبدو الدراسة فيها للوهلة الأولى صعبة، ولكن من أراد العُلى فعليه أن يسهر الليالي.

❖ **اختبار الثانوية العامة في ألمانيا في ٤ مواد فقط.**

ولكنها امتحانات شاملة ويسبق ذلك الكثير من الامتحانات.

❖ **رياض الأطفال ابتكار ألماني (فروبل) ولذلك كانت رعاية الطفل في ألمانيا حق تكفله الدولة.**



- ١٥٣٠٠٠ طالبة وطالب أجنبي يدرسون في الجامعات الألمانية .
- ٨٥ مليار يورو فقط!! لمتابعة تأهيل الطلاب .
- الجامعات الألمانية مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بمركز البحوث التابعة للصناعات المختلفة .
- حرية الصحافة مضمونة . .ولكن العقاب يكون قاسيًا .
- البحث عن الشمس الدافئة تكلف الألمان ٧٧ مليار مارك .

لجميع الأطفال ألمانًا كانوا أم مقيمين.

❖ الشركات والمصانع والورش تساهم في التعليم المهني جنبًا إلى جنب مع المدارس المهنية.

هناك تداخل دقيق فيما بين المدارس المهنية النظري منها والتطبيق العملي تلقائيًا.

❖ الجامعات الألمانية تقوم على أساس «وحدة الأبحاث والتعليم... لا على أساس صالة المحاضرات.

ولقد أثبتت نجاح تجربتها.

❖ في جامعات ألمانيا حوالي ١٥٣,٠٠٠ طالب وطالبة من جنسيات أجنبية.

يعاملون معاملة الألماني.

❖ يدرس ١,٨ مليون طالب في شتى أنحاء العالم في موقع آخر غير وطنهم الأصلي. وقد وقع اختيار قرابة ١٠٪ منهم على ألمانيا من أجل الدراسة بها.

أرجو أن يكون من بينهم كثرة من الطلاب السعوديين إن شاء الله.

❖ «لدينا توجه إلى ابتعاث الطلاب السعوديين إلى جامعات ألمانيا الاتحادية المتميزة لمرحلة البكالوريوس في مجال الهندسة والتقنية والحاسب الآلي» (د.عبدالله المعجل - وكيل وزارة التعليم العالي للعلاقات الثقافية).

هناك تعاون وثيق بين القطاعات الألمانية المختلفة بقبول الطلاب السعوديين الجادين.

❖ ٧٠ مليار مارك تصرف في ألمانيا فقط لمتابعة التأهيل.

علمت بأن البرلمان الألماني «البودستاج» يناقش زيادة المبلغ إلى ٨٥ مليار يورو (واليور ضعف المارك..!!).

❖ مع مطلع القرن الحادي والعشرين بلغ عدد الألمان العاملين في حقل البحث العلمي والتطوير نحو ٤٦٠٠٠٠ شخص يشكل العلماء والمهندسون منهم نحو ٥٠٪.

الجامعات الألمانية مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بمركز البحوث التابعة للصناعات المختلفة.

❖ الإنفاق على البحث والتطوير بلغ نحو ٨٣ مليار أي ما يعادل ٢,٢٧٪ من الناتج المحلي مما يجعل ألمانيا في المرتبة الرابعة بين مجموعة السبعة (الدول الصناعية الكبرى).

الأحزاب السياسية الألمانية تأمل زيادة الإنفاق على البحث والتطوير إلى ٤٪ من الناتج المحلي في غضون السنوات الثلاث القادمة.

❖ الحقيقة الماثلة للعيان.. ألمانيا بلد صناعي، ولكنه فقير بالموارد من المواد الخام.

إلا أنه غني بالعقول.

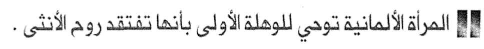
❖ ألمانيا من محاولة اجتياح العالم في بدايات القرن العشرين... إلى مقر لمنظمة السلام الأخضر في نهايته.

تعلمت ألمانيا من الحربين العالميتين السابقتين وركزت منذ ١٩٤٥م على الصناعة والإتقان فيما تقوم بصناعته في ظل سلام دائم.

❖ هتلر هل انتصر لألمانيا.. أم جنى عليها.

لو انتصر هتلر لقيل إنه انتصر لألمانيا.. ولكنه





يصعب على الألماني مناقشة الهولوكست لحساسيته .




أسامة شبكشي

خسر الحرب؛ لذا فلقد جنى على ألمانيا.

❖ الوحدة الألمانية رغم كونها مطلبًا قوميًا.. إلا أنها وضعت البلاد أمام مآزق وتحديات لا تنتهي.

هذا صحيح إلا أن الألمان يخططون إلى المستقبل البعيد مؤكدين بأنهم سيتجاوزون تلك الصعاب بالتصميم والإرادة والعزيمة.

❖ «ألمانيا واحدة من البلدان القليلة في العالم التي تحترم فيها الدولة المكانة القوية للصحافة» (تصريح للمعهد الدولي للصحافة في فيينا).

حرية الصحافة يضمنها الدستور الألماني إلا أنه يعاقب من يخطئ عقابًا صارمًا.

❖ الإعلام الألماني يبث بالعربية لخطب ود العرب...

بل لتوضيح ما تقوم به ألمانيا للوطن العربي.

❖ منذ نهاية الخمسينيات من القرن العشرين أخذت الصحف المستقلة تتراجع في ألمانيا عددًا وتأثيرًا.

نظرًا للتكلفة العالية وارتفاع مستوى المعيشة توحدت بعض الصحف إلا أنها بقيت مستقلة إلى حد كبير.

❖ رغم جمال ألمانيا ومساحتها الشاسعة، إلا أن الألمان ينفقون ما يزيد عن ٧٧ مليار مارك على السياحة الخارجية سنويًا.

رداءة وبرودة الجو في ألمانيا وحرمان الألمان من الشمس الدافئة يغريهم للتعويض عن ذلك بالسياحة الخارجية.

❖ النساء هن الأكثر تسريحًا من العمل في ألمانيا وهن الأقل فرصة في الحصول على فرصة عمل.

الكفاءة هي المعيار.. وليس بالضرورة إن كان العامل ذكرًا أو أنثى.

❖ في ألمانيا يزيد عدد النساء بحوالي ٢ مليون نسمة على عدد الرجال.

علينا ألا ننسى أن ألمانيا فقدت ملايين الرجال في الحرب العالمية الثانية، كما أن الظروف الاقتصادية القاسية تحرم الألمان من إنجاب الأطفال بكثرة.

❖ المرأة الألمانية آلة تفتقد روح الأنثى.

غير صحيح، فالمرأة الألمانية توحي للوهلة الأولى بأنها تفتقد روح الأنثى ليكتشف المرء بعد فترة أنها تتمتع بروح الأنثى مثل بقية نساء العالم.

❖ في ألمانيا يتقاسم الزوجان المطلقان الراتب التقاعدي.

الوضع الاقتصادي يجبر على ذلك.

❖ «العالم ضيف عند أصدقاء» (شعار مونديال ٢٠٠٦م في ألمانيا).

ذلك ترحيب من الألمان.

❖ الرياضة تطغى عليها السياسة في تفاصيل كثيرة.

الألمان يفرقون بين وقت العمل ووقت اللهو.

❖ هزيمتنا من ألمانيا ٨-صفر في المونديال الماضي.. هل ستتكرر.

لا أرجو ذلك لا سيما أن احتمال تقابل الفريقين تكاد تكون مستحيلة.

❖ مهدي مهدافيكيا، لاعب إيراني يلعب لنادي هامبورغ الألماني، متزوج بامرأتين هناك وهو في وضع حرج: إذا اعترف بالزوجة الثانية صار مجرمًا في ألمانيا، وإذا لم يعترف بها -كزوجة - صار

الإعلام الألماني يبث للعرب ليس لخطب ودهم .. بل لتوضيح ما تقوم به ألمانيا من أجلهم!

الظروف الاقتصادية القاسية تحرم الألمان من إنجاب الأطفال بكثرة .

مجرمًا في إيران.

العقل زينة!

❖ في أوليمبياد ميونيخ عام ١٩٧٢م هجمت جماعة من الفلسطينيين على القرية الأولمبية هناك.. وهناك مخاوف من تأثير الصراعات العالمية مونديال ٢٠٠٦م.

احتاطت وزارة الداخلية الألمانية لذلك واتخذت كثيرًا من الاحتياطات الأمنية لتلافي تكرار ذلك.

❖ السينما والفن الألماني لايواكب مكانة ألمانيا عالميًا.

تشتهر ألمانيا بالموسيقى الكلاسيكية، فإن لم يكن ذلك من الفن فما هو المقصود بالسؤال.

❖ الصهيونية العالمية جعلت من الهولوكوست



النازي، أسطورة لا تقل عن أساطير التاريخ القديم استعصاء على المناقشة العلمية المحايدة والوثائقية والمنطقية.

يصعب على الألماني مناقشة هذا الموضوع لحساسيته.

❖ وفقًا للصهيونية اليوم فإن النازيين كانوا يقولون لليهود: ادخلوا هذا الصالون لتستحموا، وإذا ما دخلوه كان يفتح الغاز من الطابق الأعلى.. ويقتلون على هذه الهيئة، ثم كانت تنقل الجثث إلى المحرقة كي تمحى آثار الجريمة بطريقة الحرق حتى التفحم!!

لا علم لي بما كان النازيون يقولونه لهم.

❖«تهمة الهولوكوست استمرار لمحاكمات نورمبرغ ضد ألمانيا المهزومة في الحرب العالمية الثانية» (المفكر الفرنسي روجيه جارودي).

الألماني حريص كل الحرص على ألا يثير المواجع مرة أخرى!

❖ الثقافة الألمانية.. سادت ثم بادت.

لم تسد ولم تنته بل بدأت تزدهر من جديد.

❖ اللغة الألمانية لاتطرب لها الأذن كثيرًا!

تشبه اللغة الألمانية النظام الألماني الدقيق وهي لغة منطق.

❖ سأدخل اللغة الألمانية الجامعات السعودية.. (تصريح لأسامة شبكشي).

لو كان بإمكاني لشجعت كل الجامعات السعودية على إدخال اللغة الألمانية كلغة أجنبية ثانية حتى يتسنى لطلابنا الدراسة في الجامعة الناطقة باللغة الإلمانية في ألمانيا والنمسا وسويسرا بيسر وسهولة حتى يتذوق المرء ثراء الشعب الألماني من الحضارة والفن والأدب.

أسامة شبكشي

حياة كل واحد منا جملة من النجاحات والإخفاقات . .
وأجمل شيء أن يترك الواحد منا الحديث عن نفسه، ويدع الآخرين يتحدثون عن إنجازاته ونجاحاته.
حسنًا . . وعماذا هو يتحدث إذًا، عن إخفاقاته؟ ربما!
الفشل ليس عيبًا، فهو وقود الانتصارات . .
«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول للشباب من الجيل الجديد إنه ليس هناك إنسان لم يذق طعم الفشل في حياته، نريد أن نقول لهم إن الجيل الذي سبقهم هو جيل إنساني يخطئ ويصيب . . ينجح ويفشل، ثم ينجح مع الإصرار.
ف: فرصة تمنحك إياها - المعرفة - لتسجيل اعترافاتك.
ش: شهادة.
ل: ليس عيباً أن تفشل . . ولكن العيب أن تزعم أنك لم تفشل في حياتك!
وضيف هذا العدد هو :محمد بن سليمان الأحيدب ـ كاتب بجريدة الرياض ـ مدير عام المركز الوطني لإنتاج الأمصال واللقاحات.

محمد سليمان الأحيدب

ضحك د.الجبرتي ضحكة مدوية فغضب د.الصيني وطار اللقب!!

- في الصف الخامس الابتدائي فشلت في النجاح في مادة (الحساب) في الدور الأول ونلت درجة متدنية ٥ من ٣٠ فأمر والدي رحمه الله بنقلي نقلاً تأديبيًا أو قل ترحيلي إلى منزل صهره عبدالعزيز بن إبراهيم السلمان (زوج أختي) ليدرسني طيلة عطلة الصيف وكان أمد الله في عمره معلمًا عصبيًا عند التدريس مرحًا بقية الوقت وتعب معي كثيرًا وغضب أكثر وكانت النتيجة أن أخذت بعد ذلك الجهد درجة أقل في الدور الثاني ٣ من ٣٠ وأعدت السنة، فعلمت أن النفي والإبعاد لا يجلب النجاح. لكن حكمة والدي كانت أعمق فلم أرسب بعد ذلك وحققت الماجستير في الصيدلة بتفوق، رحم الله (شيابنا) فهم الخبراء الحقيقيون الذين يجدر الاستعانة بهم عندما يكون بعد النظر مطلبًا.

- فشلت في تحقيق لقب الطالب المثالي بجامعة الملك سعود للعام ١٩٨٠م عندما حققت لقب الطالب المثالي بكلية الصيدلة ونافست على اللقب على مستوى الجامعة وفشلت في الفوز. ولهذا الفشل قصة طريفة حيث كانت اللجنة مشكلة من د.أنور الجبرتي عميد كلية العلوم الإدارية والدكتور إبراهيم بن



- فشلت في إقناع المديرين ألا يسرقوا إنجـازات وأفكار موظفيهم وينسبوها لأنفسهم .

- أنا ضد أن يتولى الطبيب شأنًا إداريًا بما في ذلك الشؤون الصحية وهو لا يفقه في الإدارة ونجاحه منبعه الطب أو الجراحة!

- المسابح والمـزارع التي يصلها الماء بأنابيب (٨ بوصة) أهم من (السيفون) في أمر هدر المياه .

- فشلت في إقناع د . القصيبي بفرض حد أدنى للأجور للسعوديين .


محمد الأحيدب

(شبابنا) هم الخبراء الحقيقيون الذين يجدر الاستعانة بهم عندما يكون بعد النظر مطلبًا.

فشلت في تحقيق لقب الطالب المثالي بجامعة الملك سعود للعام ١٩٨٠م.

عبدالرحمن المشعل عميد الصيدلة (عضو الشورى حاليًا) ود.محمود الصيني عميد معهد اللغة العربية آنذاك (على ما أعتقد) وقد أجبت عن جميع الأسئلة السياسية والعلمية والاجتماعية إلا أن الدكتور محمود الصيني سألني متى وقت صلاة الفجر؟! وكان يريد أن يرى إن كنت أصلي الفجر مع الجماعة أم لا!! أما أنا فاعتقدت أنه يريد أن يختبر دقتي، فالمثالي يجب أن يكون دقيقًا فأجبته: الوقت يتغير حسب موعد غروب وشروق الشمس والتوقيت الصيفي والشتوي، لكنه أصر في سؤاله مكررًا متى يصلون الفجر؟! قلت له المواقيت تتغير ولكن بالتأكيد أنهم يصلون بعد أن يؤذن المؤذن وتقام الصلاة. فضحك د.الجبرتي ضحكة مدوية فغضب د.الصيني وطار اللقب فقد علمت لاحقًا أنني أجدت في كل إجاباتي إلا أن إضحاكي للجبرتي أفشلني، فقلت تكفينا الضحكة.

- فشلت أيما فشل عبر عمودي «بصوت القلم» في إقناع المديرين ألا يسرقوا إنجازات وأفكار موظفيهم وينسبوها لأنفسهم، وبلغ الفشل في هذا الصدد أشده



عندما أفرطت في الثقة بأحد المديرين فسرق فكرتي ثم كذب علي (عيني عينك) ووعدني بردها وأخلف ثم كذب على نفسه وصدق كذبته فأعلنها، فقلت لو لم أفشل في إقناعه كقارئ لما فشلت في إصلاحه كمدير.

- أيضًا عبر زاوية «بصوت القلم» ومن خلال حوارات تلفزيونية فشلت في إقناع معالي الدكتور غازي القصيبي بضرورة فرض حد أدنى للأجور للسعوديين على القطاعين الخاص والحكومي، وأن حجته بالجانب الإنساني في التفريق بين أجر الموظف السعودي وغير السعودي ليست واقعية ففي المستشفيات وشركات الزيت وخلافه فإن أجر الأمريكي أعلى من البريطاني وهذا أعلى من السعودي والأخير أعلى من العربي ثم الآسيوي وهكذا.. المهم أنني فشلت وكفى.

- فشلت في إقناع الأطباء أن من يكتب عن الممارسات الطبية الخاطئة ومخالفة أخلاقيات مهنة الطب ليس ضد الأطباء بل معهم ومع مهنتهم وبذلك فإنني لست ضدهم وإنما ضد الإساءة لمهنتهم وهضم حق المريض وضد أن يتولى الطبيب شأنًا إداريًا بما في ذلك الشؤون الصحية وهو لا يفقه في الإدارة ونجاحه منبعه الطب أو الجراحة.

- فشلت فشلاً ذريعًا في مجاراة الأستاذ الأديب حمد القاضي في التواصل وزيارة المريض وأداء واجبات الزمالة والتعامل بصبر وتسامح وملاطفة مع كل الناس.

- فشلت في زاوية «بصوت القلم» وعبر الجوال أن أقنع وزير المياه والكهرباء أن مراقبة المسابح والمزارع التي يصلها الماء بأنابيب (ثمانية بوصة) أهم من (السيفون) في أمر هدر المياه وأن عدم ذكرها في حملة الترشيد يستفز أهل (السيفونات) ويقلل تفاعلهم مع الحملة ولا يحقق المصداقية الكاملة في التشخيص والعلاج لهذه المشكلة الوطنية.

محمد سليمان الأحيدب


أثاث الرياض
مصنع الرياض للأثاث
RIYADH FURNITURE INDUSTRIES
الخبرة ... الجودة
الالتزام

شهادة و.. ملابس داخلية !!

سعيد الدوسري - الرياض

ترتبط كلمة «عمل» دائمًا بالسحر، يقول المصريون: فلان «اتعمل له عمل»، ولا أدري ما سبب ارتباطها الوثيق بالمدرسة! فيقال مثلاً: عمل الطالب فلان، ويقال: عمل فني، ويقال: عمل درس نموذجي. والأدهى والأمر من ذلك كلمة «تحضير» التي ترتبط حتى الآن بدفتر إعداد الدروس. والمعروف أن التحضير يختص بالجن والأرواح وأهل الأرض. كفانا الله وإياكم شرهم!

نما إلى علمي أن كثيرًا من المشرفات التربويات يجبرن المعلمات على عمل درس نموذجي في المدرسة ويدعون لحضور هذا الدرس عددًا من المشرفات وعددًا من المعلمات من مدارس أخرى في التخصص ذاته. ويسجل هذا العمل لصالح المشرفة، ونادرًا ما تستفيد المعلمة من هذا الدرس، بل على العكس قد تضطر إلى الاستدانة من أجل وجبة فطور دسمة تكفي لإطعام هذه الأفواه الجائعة!

أما إذا رغبت إحدى المعلمات في العمل مشرفة تربوية، فإن أداء درس نموذجي يعد شرطًا أساسيًا لمجرد التفكير في ذلك، ولأن الكمال لله فنادرًا ما تنجو المعلمة من النقد اللاذع بعد انتهاء الدرس، وخصوصًا بعد إفراغ الصحون مما لذ وطاب!

ولأن النوايا الحسنة هي أقرب الطرق إلى جهنم «كما يقال» فإن إحدى المعلمات أخبرت طالباتها عن حسن نية بأنها تنوي القيام بدرس نموذجي في صباح الغد، وسيحضره عدد من المعلمات والمشرفات، وليتها لم تفعل!

كانت المعلمة تريد من الطالبات أن يكن على أهبة الاستعداد، وهذا ما حصل بالضبط.

تخيلوا معي ماذا كانت استعدادات البنات «اللاتي يطلق عليهن زورًا وبهتانًا الجنس الناعم».

إحدى الطالبات منحت خادمتهم إجازة في ذلك اليوم مقابل أن تصطاد لها «وزغًا» بكامل قواه العقلية، دون أن تكسر له عظمًا، أو تجرح له لحمًا، أو تريق له دمًا، ووضعت لها مكافأة مجزية. (ولمن لم يسبق له الشرف بالتعرف على الوزغ، فهو المدعو برص البعرصي) وكان للطالبة ما أرادت، فوضعته في علبة فاخرة وحملته كما يحمل الأبطال الفاتحون إلى المدرسة.

بدأ اليوم الدراسي، واتفقت الطالبات على تفاصيل الخطة، وفور انتهاء الحصة التي تسبق الدرس النموذجي، وساعة قدوم وفد المشرفات والمعلمات قامت الطالبة بإطلاق سراح الأسير المسكين، لتبدأ الطالبات بناء على اتفاق مسبق بالصراخ والعويل والقفز والنياحة. وبالفعل نجحن في أداء المسرحية، وتجمعت معلمات المدرسة ليستطلعن الخبر. وبدأت رحلة البحث عن السيد «ضعروط» الذي تسلق أحد الجدران واختفى عن الأنظار لاجئًا سياسيًا لدى أحد أبناء فصيلته.

انتهت الخطة بنجاح تام، وضاعت حصة الدرس النموذجي كاملة واضطرت المعلمة إلى استعارة حصة إضافية، ونقلت الطالبات اللاتي رفضن البقاء في ذلك الفصل المسكون بالأشباح إلى مختبر المدرسة، وشرحت الدرس النموذجي. وبعدها حرمت على نفسها القيام بدرس نموذجي مدى الحياة!



لا أخفيك كرهي للدروس النموذجية وهذا الكره لم يولد من فراغ، فله قصة طريفة سأسوقها لكم.

عرض علي بعض الزملاء الاشتراك في دروس نموذجية وكنت أرفض في كل مرة حتى مجرد حضور الدرس. إلى أن جاء ذلك اليوم الذي تمت فيه دعوتي من قبل مسؤول من العيار الثقيل أكن له كل احترام وتقدير.

كان العرض عبارة عن الاشتراك في تصوير طرق تدريس نموذجية، وليست دروسًا نموذجية، إذ إن الهدف هو طريقة التدريس وليس الدرس نفسه. وستسجل المادة على أفلام فيديو وستوزع على جميع مدارس المملكة. نعم.. جميع مدارس المملكة! العبد الفقير الذي لم يصور في حياته إلا صورًا شمسية بالأبيض والأسود، ولم يصور إلا مضطرًا من أجل بطاقة أو رخصة أو شهادة، سيظهر في فلم فيديو يوزع على جميع مناطق المملكة!

كان أول سؤال خطر ببالي هو: ما هو أفضل خياط رجالي في مدينة الرياض؟ استعنت بصديق، دلني مشكورًا على خياط مخصص للعرسان وكبار الشخصيات. ولأن المشرف على العمل قد وعدنا بمكافأة، وهي عبارة عن راتب شهر كامل، فقد انقشعت عني مؤقتًا غيمة البخل التي ما زالت تظللني حتى هذه اللحظة.

لا أحب أن أدخل في التفاصيل، إلا أنني فصلت ثيابًا جديدة وابتعت ملابس جديدة وبأغلى الأثمان وأفضل الماركات من الشماغ حتى الملابس الداخلية!

وكنت قد عزمت على شراء «بشت حساوي مذهب» إلا أنني ترددت في اللحظة الأخيرة وأنا أمام أحد محلات المشالح في سوق الزل.

نسيت أن أخبركم أنني اشتريت من جيبي الخاص مراجع تربوية لهذه المهمة بقيمة ٥٠٠ ريال تسببت في كسر أحد رفوف مكتبتي.

بدأ التدريب الذي استمر شهرًا كاملاً، وبدأ المعلمون المشاركون «وأنا من ضمنهم» في تدريب طلابهم. وجاء الموعد المحدد لبداية التصوير، ولكن.. يا لهول الفاجعة! مع الأسف الشديد لم يستطع المشرف على العمل توفير كاميرا للتصوير!

اجتمعنا في مبنى الوزارة في إحدى الليالي، وقدم لنا مشرف العمل اعتذاره الحار، وبادلته المجموعة الشعور نفسه، وودعنا بتسليمنا شهادات تدريبية تثبت تلقينا لدورة متقدمة في طرق التدريس. ووفى بوعده مشكورًا!

أما المكافأة المرتقبة.. «فيا فرحة ما تمت» فقد اعتذر المشرف عن تسليمها لنا، على الرغم من أنه أطلعنا على صورة من خطاب رفعه للوزارة من أجل المكافأة.

قدرنا موقفه، وأخبرناه في ذلك الاجتماع بصوت واحد أن الشهادة التي حصلنا عليها لا تقدر بثمن!

«ليس كل ما يعلم يقال». ولكن لا أكتمكم سرًا.. فقد كنت على يقين تام في تلك الليلة بأن هذه الشهادة لن تعيد لي ولا حتى قيمة الملابس الداخلية التي اشتريتها! ■

أحياناً المشاعر الكبيرة لا تحتاج إلا إلى عبارات صغيرة، كما أن بعض الأفكار الكثيرة تحتاج إلى كلمات قليلة للتعبير عنها.

هذه هي لغة السر في سر اللغة!

«ثرثرة» ..لا يقصد بها دوماً كثرة الكلام، بل قد تعني الكلام الذي يُلقى على عواهنه.. بكل بساطة.

هكذا «ثرثرة» هنا، كلام يلقى على عواهنه.. فخذوه أنتم أيضًا على عواهنه.. بكل رحابة صدر.



عبدالغني رجب - مصر

- أن تصبح كاتبًا ليس بالشيء العسير، ففصول محو الأمية التي تعلم القراءة والكتابة منتشرة في كل صقع من الأصقاع وفي كل مصر من الأمصار. وأن تصبح كاتبًا كبيرًا ليست أيضًا بالشيء العسير، فكل الناس يتقدمون في السن وبعضهم يبلغ المئة.

- بعض كبار كتاب الأعمدة الصحفية يكتبون (فقط) حتى يعلم القراء أنهم ما زالوا أحياء!

- الذي يكتب إبداعه على لوحة المفاتيح يجب أن يتقاسم معها ما يحصل عليه من أجر.

- الصحفي العبقري هو الذي يسأل القائد العسكري أثناء اشتعال المعركة عن آخر نكتة.

- من ينكر دور الصحافة جاهل أو مكابر، فزوجتي (على سبيل المثال) تنظف زجاج النوافذ بالجرائد، كما أنها لا تضع أطباق الطعام على المائدة إلا بعد أن تضع تحتها صحيفة كاملة تتلقى فتات وبقايا الطعام المتساقط. وأذكر أنني في أحد أيام المطر الشديد لم أجد ما أحتمي به وقد كنت في طريقي للعمل سوى أن أضع الصحيفة فوق رأسي.

وفي يوم آخر وكنت عائدًا للمنزل والشمس القاسية متوسدة كبد السماء لم أجد ما أحتمي به منها سوى الصحيفة. وكيف بعد ذلك كله ينكر الإنسان دور الصحافة الحرة في بناء المجتمع السليم؟!

- الحوار الصحفي يعني تبادل العلم، أما الجدل الصحفي فيعني تبادل الجهل.

- في طفولتنا قبل اختراع الأكياس البلاستيك كانت السلع الغذائية تلف في أوراق الصحف والمجلات، فكنا نقرأ تلك الأوراق فنغذي عقولنا ونحن نأكل ما فيها فنغذي أجسامنا. وإذا كان الطعام الموجود في الورقة يحتوي على زيت أو سمن فإن بعض الحروف والكلمات تلتصق بالطعام فتزداد ثقافة بعد أن نأكلها!

- عندما نشر الصحفي خبرًا عن امرأة سقطت في حفرة احتجت المنظمات النسائية المدافعة عن حقوق المرأة، إذ كيف يصف المرأة «بالسقوط» الذي يعني الرذيلة؟! مما يبرهن على النية المسبقة لتلطيخ سمعة المرأة وصورتها في العالم الذي يسوده الرجال، وهددت المنظمة بمقاطعة الجريدة ومقاضاتها.



- سئل الصحفي في المطار إن كان يحمل أي أسلحة حادة، فقال: لساني فقط!

- غشي على رجل فاعتقد أهله أنه مات وقاموا بتغسيله وتكفينه وحملوه ليدفنوه وكان جحا يسير في الجنازة التي اجتمع لها حشد هائل من الناس يبغون الأجر والثواب. أفاق الرجل في الطريق واستغاث بجحا لكن جحا قال له: كيف أصدقك وأكذب هؤلاء الناس جميعهم؟ لا شك أنك أنت الكاذب وأنك مت فعلاً وتدعي أنك علي قيد الحياة. كذلك «الرأي العام» يظل صادقًا دائمًا.

- الحرية المطلقة لا وجود لها فللحياة قوانين تحدها.

-كان المحرر الأدبي في المجلة التي أزودها بإنتاجي يضع صندوق قمامة كبير بجوار مكتبه يتلقى فيه إنتاج الشعراء والأدباء والنقاد وعندما كنت أسأله عن إبداعاتي كان يقول: إنها في أيد أمينة.

- تعلمت طريقة الاختزال وكنت أكتب بها بصورة جيدة، لكنها كانت تستغرق مني وقتًا أطول من الكتابة بالطريقة العادية المطولة!

- من المناظر التي تكون قد انقرضت وكنا نشاهدها في طفولتنا بكثرة منظر «الكاتب العمومي» و هو رجل يضع على رأسه طربوشًا وخلف أذنه قلمًا وقد جلس على مقعد تحت مظلة وأمامه منضدة عليها أوراق. ومحله المختار في السوق أو أمام محكمة أو مصلحة حكومية كبيرة.

ويتوافد عليه البسطاء من الناس الأميين لكي يكتب شكاواهم لقاء أجر. علمًا بأن أكثر تلك الشكاوى سيلقي بها المسؤولون في سلال المهملات، لا سيما أن الكثير منها وهمي أو كيدي، لكنها تعالج الشاكي علاجًا نفسيًا.

وأذكر أنه أثناء الاحتلال الإنجليزي لمصر كان البعض يعتقد أن «هتلر» الطاغية الألماني الكبير «وكان في حالة حرب مع إنجلترا» هو الذي سوف يخلصهم من الاحتلال الإنجليزي البغيض، إذا انتصر عليهم في الحرب العالمية الثانية، فيعمد إلى «الكاتب العمومي» يملي عليه شكاية إلى هتلر مباشرة متخطيًا سلطات بلاده التي لم تنصفه وكان الخطاب مناشدة للحاج «هتلر» إنصافه. فقد كان يعتقد أن هتلر قد أسلم وحج البيت الحرام. ■



زياد الدريس
ziadd101@almarefah.com

نادي الأشرار

هتلر « وأخواتها» !

في شبابي قرأت «كفاحي» لهتلر، لن أكذب وأخفي إعجابي ببعض أفكاره ـ خصوصًا المتناغمة مع عنفوان الشباب آنذاك! ـ ولن أجامل أيضًا حين أقول إني اشمأززت من البعض الآخر من أفكاره، وبالذات التي تعظم العرق الآري وتزدري ما سواه.

مضى هتلر بحياته وذكرياته، لكنه بقي لقمة في حلوق الصهاينة- يجترونها كلما جاعوا!. وغصة في حلوق الألمان. تباغتهم كلما شبعوا !

لا يستطيع أحد أن يكتب أو يتحدث عن تاريخ ألمانيا الحديث دون أن يقع في مأزق الحديث عن هتلر.. ذمًا أو ذمًا، لا خيار آخر وإلا وصفت بالنازية !

انتقائية الأعداء ليست سلوكًا جديدًا في كتابة التاريخ البشري، لكن وسائل الإعلام والتقنية الحديثة خدمت هذه الانتقائية بدرجة مذهلة في التحقق والنجاح.

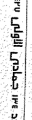
لماذا هتلر وحده بقي رمزًا للشر والجنون الديكتاتوري؟ أين رموز الفاشية والإمبريالية والبلشفية التي قتلت الملايين وشردت أضعافهم من قائمة «نادي الأشرار»؟!

لماذا بدأنا ننسى موسوليني وستالين و« رامبو! » من ذاكرة الشر؟ هل قتل هلتر أكثر مما قتلوا وشرد أكثر مما شردوا !

أم أن المسألة ليست متعلقة بقوة القاتل.. بل بقوة المقتول ؟! (تذكر تقارير دولية أن ستالين ترك ٦ ملايين إنسان في عداد المفقودين في مناطق النفوذ السوفييتي ، « ما قصة الرقم ٦ ملايين هذا في نادي الأشرار ؟! » بالمثل يمكن القول إن شارون ورفاقه قتلوا وشردوا أيضًا أكثر من ٦ ملايين فلسطيني).

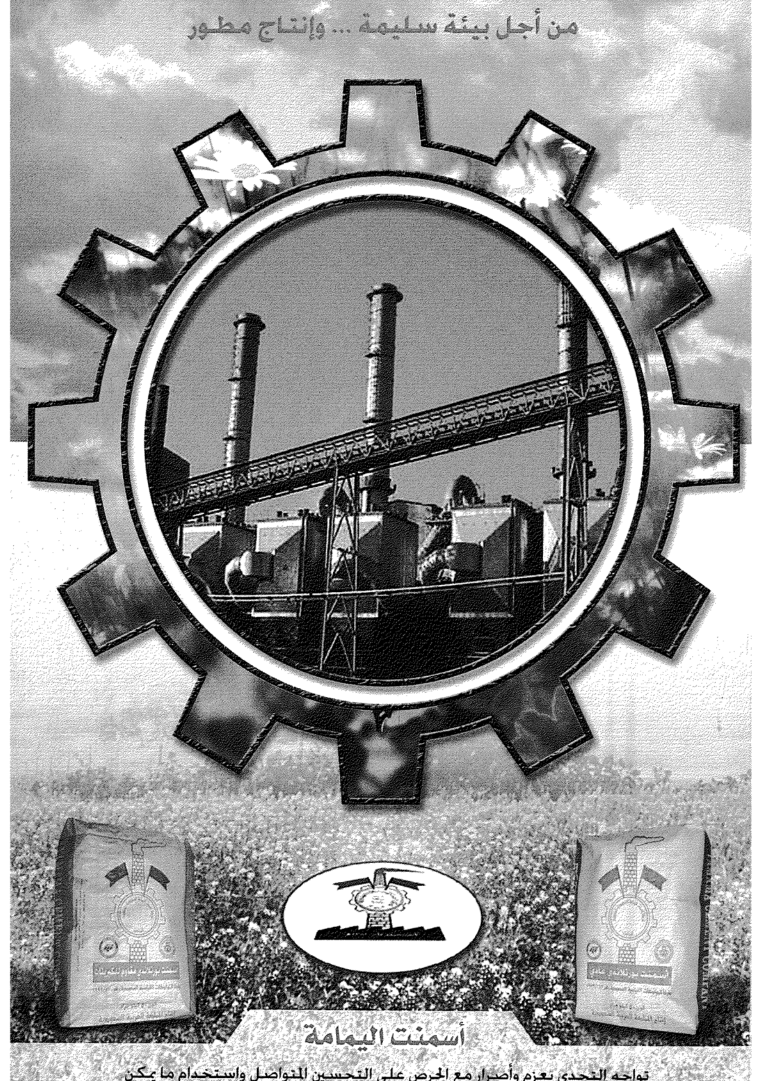
المؤكد أن هتلر شرير، لكن هناك أشرارًا غيره يجب ألا ننساهم، بفعل التحيز والانتقائية.. وطول لسان المقتول!

أقول هذا الكلام ليس دفاعًا عن هتلر، بل عن الشعب الألماني.. المذنب بغير ذنب ! ■





تكوين


من أجل بيئة سليمة ... وإنتاج مطور
أسمنت اليمامة
تواجه التحدي بعزم وأصرار مع الحرص على التحسين المتواصل واستخدام ما يمكن
الحصول عليه من تقنيات التحكم في الانبعاثات للمحافظة على البيئة